



سلسلة كتب المستقبل العربي (٣٥)

مستقبل العراق

الاحتلال - المقاومة - التحرير والديمقراطية

الدكتور خير الدين حسيب



مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة كتب المستقبل العربي (٣٥)

مستقبل العراق

الاحتلال - المقاومة - التحرير والديمقراطية

الدكتور خير الدين حسيب

مستقبل العراق

الاحتلال ـ المقاومة ـ التحرير والديمقراطية

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد مركز دراسات الوحدة العربية
حسيب، خير الدين
مستقبل العراق: الاحتلال ـ المقاومة ـ التحرير والديمقراطية/ خير الدين حسيب.
٢٦٨ ص. ـ (سلسلة كتب المستقبل العربي؛ ٣٥)
يشتمل على فهرس.
ISBN 9953-450-41-2
١. الحرب الأمريكية ـ البريطانية على العراق (٢٠٠٣). ٢. المقاومة العراقية. ٣. العراق ـ الظروف السياسية. أ. العنوان. ب. السلسلة.
956.70443

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص.ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ ـ لبنان
تلفون: ٨٦٩١٦٤ ـ ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت
فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)

e-mail: info@caus.org.lb
Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى
بيروت، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤

المحتويـــات

القسم الثالث
مستقبل العراق

مقدمـــة

أعترف، ابتداءً، بعُسْر الحديث حديثَ حيادٍ عن رجل مثل الدكتور خير الدين حسيب. ما جمعني به ويجمعني يختصر الكثير من مسافات الرؤية ويضع روايتي قريباً منه. لن أقدم شهادة عنه لأنه في غير حاجة إلى مَنْ يشهد له؛ ولن أزعم أني أملك من امتياز القُرب منه ما يشهد لشهادتي بَعَدْلِهَا، أو ما يمنحها حقّاً في أن تبوح بروايةٍ قد لا تكون عناصُرها في حوزة غيري، أو في حوزة بعضٍ ممَّن يقاسمونني الصلةَ نفسَها به. أبْغِي فقط أن أدوِّن رأياً في ما يقوله الرجل في هذا الكتاب: مُطِلاً، من خلال مَقُولِهِ، على شخصيةٍ تدعو إلى الإعجاب بما ملَكَتْ من نادر الخصال عسى الإطلالة تلك تضيءُ جوانبَ مما قد لا يَتَبَيَّنها قارئُ هذه النصوص. إنها ليست سيرةً، ولا تقديماً، لرجُلٍ تستعصي على مقدمةِ كتابٍ كتابةُ سيرته أو اختصارُ تجربته في صفحاتٍ معدودات؛ هي ـ بالأحرى ـ محاولةٌ لإضاءة **الشخصيّ** في أفكار د. خير الدين حسيب ومواقفه؛ أي في بَيَان الخلفية السياسية والأخلاقية والنفسية التي منها تستمد تلك الأفكار حرارتَها وجرأتَها.

ـ ١ ـ

لهذه النصوص ـ التي يحتويها الكتاب ـ أكثرُ من قيمةٍ تبرّر قراءَتها. **أولاها** أهمية الخطاب الذي تحمله **من موقع وطني عراقي**. خطاب يلتزم قضية الوطن، ويلتزم خيار التعبير الشجاع عن الموقف الوطني منها في لحظة حرجة ومفصلية من تاريخ العراق الحديث: لحظة امتدت تأثيراتُها عميقاً في نسيج المجتمع العراقي، وتضع اليوم مصيره الوطني أمام امتحان تاريخي عسير. لكن هذا الخطاب ليس سياسياً بالمعنى الحرفي لأن صاحبه يأبى له أن يكون كذلك، بل يأبى أن ترتبط الصفة (السياسية) بدوره كرجل آثَر أن يبتعد عنها في لحظة معلومة:

بعد خروجه من السجن بأربع سنوات، نُصِحَ د. خير الدين حسيب بمغادرة العراق لأن ثمة من ضاقت صدورهم بوجوده فيه. كان صدام حسين: نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، حينَها، مَن قدَّم النصيحة. وحين غادر بغداد، قطع على نفسه

عهداً بأن لا يمارس أيّ عملٍ حزبي أو يتقلد منصباً في السلطة، وأن يتفرغ للعمل العلمي. وظل وفيّاً لما عاهدَ نفسَه عليه حين أسَّس: بمعيَّة جمع من رفاقه، **مركز دراسات الوحدة العربية**(*) ملتزماً الأخلاق الأكاديمية في رؤية قَضايا الأمة، وحين أسَّس **المؤتمر القومي العربي**(**) ـ وكان أوّل أمين عام له ـ دافعاً به بعيداً عن التمثيل الحزبي أو عن التطلع إلى الصيرورة تجمعاً حزبياً جديداً. وإذ يعبّر ـ في هذا الكتاب ـ عمّا عبَّر عنه من آراء سياسية، فليس يَبْرَحُ الموقعَ الذي اختاره لنفسه منذ ثلاثين عاماً. سيقال: أليس في ذلك دليل على أنه عاد إلى العمل السياسي من جديد؟ الجواب بالنفي قطعاً، فما كل قولٍ في السياسة سياسيّ، وما كل قولٍ سياسيٍّ حزبيٌّ أو قرينةٌ على شكلٍ من الانخراط في العمل السياسيّ. لِنَقُل إذن إنه **موقف وطني**، وهذا ليس شأناً مخصوصاً لأهل السياسة والعمل السياسي دون سواهم، فهو حقّ مشاع لسائر المواطنين خاصة حين تتهدد الوطن نائبة من النوائب.

ولقد تهددت العراق نائبة كبرى، بل وقعت عليه وقْع الطامة الشديدة، منذ العدوان الأمريكي ـ الأطلسي عليه في العام ١٩٩١ وحتى احتلال حاضرة دولته بغداد في ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣. لم يكن تفصيلاً ما جرى للعراق في امتداد جرائم الحصار والحرب والاحتلال. دُمِّرت مكتسباته الصناعية والعلمية والاقتصادية، وقُتِل ما يربو على المليونين من أبنائه، وأُبِيدَتْ بيئتُه وشروط الحياة فيه لأجيال قادمة، وانتُهبت ثرواتُه، واستُبيحَت سيادتُه، وفُكِّكَتْ دولتُه، ومُزِّق نسيجُه الاجتماعي، وبات مصيره الوطني قاب قوسين أو أدنى من السقوط. وإذا كان د. حسيب قد جَهَر بموقفه الوطني من كل هذه المسائل جهراً قد يظنُّه بعضٌ في باب السياسة والصراع والتنافس، فجهْرُه به إنما كان من باب الواجب الوطني الذي هو فرض عين على كل مواطن عراقي يتعرض مصير وطنه للتبديد، فكيف إذا كان القائمَ به رجلٌ مثل خير الدين حسيب، وهو مَن هو في تاريخ العراق المعاصر.

سببٌ **ثانٍ** يبرر قولَ د. حسيب ما قاله في هذا الكتاب يضاف إلى حقه الشخصي كمواطن وإلى واجبه الوطني كعراقي هو: **حق العراقيين عليه** في أن يعرفوا رأيه في مسائل كبرى تتعلق بالمصير الوطني. هو حقٌّ لهم عليه لأنه ليس مجرَّد أكاديمي ورجل دولة تَقَلَّد يوماً مهمات حساسة في التخطيط وإدارة الاقتصاد الوطني(***) فحسب،

(*) تأسس في آذار/ مارس ١٩٧٥.

(**) انعقدت دورته الأولى في تونس العاصمة في آذار/ مارس ١٩٩٠.

(***) من المناصب التي شغلها الدكتور خير الدين حسيب في العراق: مدير عام اتحاد الصناعات العراقية، ومحافظ البنك المركزي العراقي، ورئيس المؤسسة الاقتصادية بالوكالة، ورئيس المؤسسة العامة للمصارف، وعضو مجلس إدارة شركة النفط الوطنية، ناهيك بمهنته كأستاذ في قسم الاقتصاد بجامعة بغداد.

بل هو ـ فضلاً عن ذلك ـ واحد من رجالات الحركة الوطنية العراقية الكبار في العقود الأربعة الأخيرة يحظى باحترام كبير لدى قطاعات واسعة من المجتمع العراقي، ورأيُه ـ لذلك السبب ـ موضع انتباهٍ وعناية. إن تجربته في العمل السياسي في الستينيات، كناصري، من خلال «الحركة الاشتراكية العربية»، ثم من خلال حزب «الطليعة العربية» الذي أسسه الرئيس جمال عبد الناصر ـ وكان في جملة من أسَّسوا فرعه في العراق، ثم مسؤولاً عنه ـ وعلاقتَه بالتيار القومي الذي سيطر في السلطة في العراق منذ العام ١٩٦٣، ثم علاقته المباشرة بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ومعارضتَه لانفراد «حزب البعث» بالسلطة بعد ٣٠ تموز/يوليو ١٩٦٨، واهتمامَ الرئيس صدام حسين ـ على ما بينهما من تباينات في الموقف ـ بمعرفة رأيه في الشؤون العراقية والقومية، وسَعْيَه في جَسْر الاختلاف بين العراق وسورية (إبان حكم الرئيس الراحل حافظ الأسد). . . ، كانت جميعُها سبباً في طلبٍ عراقيّ متزايد على رأيه في سنوات العراق الحرجة، وفي ظروف عزَّت فيها الشخصيات الوطنية التي يمكن الاطمئنان إلى رأيها وموقفها في الظُّلْمَة الظلماء. وعندي أن رجلاً بهذه الخلفية الوطنية، وبهذا الغنى في التجربة السياسية والقومية، لا يستطيع أن يُمْسِك عن الحديث في شأن الوطن لمجرد أنه آلَ على نفسه يوماً أن يمتنع عن ممارسة النشاط السياسي، فنداء الوطن عميق، ولا يمكن دَفْعُه.

* * *

نُظِر إلى د. خير الدين حسيب، منذ صيف العام ١٩٦٨، كمعارض لنظام «حزب البعث» في العراق. وليس مردّ هذه الصورة التي تكونت عنه ـ وهي صحيحة ـ إلى كونه انتمى إلى تيار ناصري في العراق ـ وكان من مؤسسيه ـ في وقت تَنَازَعَ فيه الناصريون والبعثيون التمثيل القومي في البلاد؛ ولا إلى كونه تأذّى من نظام «حزب البعث» وكان من أوائل المعتقلين السياسيين القوميين الذين دخلوا سجونَه بعد تصفية «البعث» لجناح عبد الرزاق النايف في السلطة يوم ٣٠ تموز/يوليو ١٩٦٨؛ وإنما مردّ معارضته إلى جنوح «البعث» للانفراد بالسلطة وتصفية القوى السياسية الأخرى. وحتى حينما قامت بين «حزب البعث» وبعض الأحزاب العراقية الأخرى جبهة، لم يكن خير الدين مقتنعاً بأن شراكةً سياسيةً جديدة تقوم في العراق، أو أن انفتاحاً سياسيّاً حقيقيّاً على الأحزاب يأخذ طريقه نحو التحقق، وما كان يرى فيها أكثر من غطاءٍ سياسي داخلي لسلطة حزب واحد.

لقد تعرَّض الرجل لمحنة شخصية شديدة الوطأة على نفسه وبدنه، هي اعتقاله على يد مَن لم يكن يتوقع أن تمتد أيديهم إليه. كان قد اختفى مباشرة بعد قيام سلطة ١٧

تموز/ يوليو ١٩٦٨، لِعِلْمِهِ أن حياته في خطر من بَأس وجوهها المعلنَة مثل عبد الرزاق النايف. وكان يعرف أن «حزب البعث» شريك في عملية التغيير، ولذلك لم يلبث أن خرج من سريته ما إن بَلَغَه أن البعثيين أقصوا شركاءَهم في السلطة واستلموا زمام الأمور في الثلاثين من تموز/ يوليو ١٩٦٨. كان مطمئناً إلى قرار عودته إلى حياته الطبيعية على خلفية أن لا شيء بينه وبين «حزب البعث» يدعوهُ إلى القلق على حياته أو الخوف من المساس بحريته. لكنه ما أصاب التقدير، أو قل ما قدَّرَ أن صدر النظام الجديد ضيّق من معارضيه وحتى من حلفائه المُفْتَرَضين. وهكذا كان على خير الدين أن يعيش ـ في أول عهد الرئيس أحمد حسن البكر ـ تجربة اعتقالٍ قادته إلى «قصر النهاية»: المعتقل الشهير الذي تقشعر له الأبدان عند الذكر، وإلى سجونٍ أخرى «حَلَّ ضيفاً» عليها. وأصابه الكثير في نفسه من هذه التجربة: من التعذيب الذي تعرَّض له بدناً ونفساً؛ من ألم وهو يشاهِد كيف يُكَافَأ قوميون عرب من قوميين عرب؛ من خوفٍ على مستقبل الحياة السياسية في العراق؛ من حسرة على ما تعرَّض له رفاقُه في السجن من صنوف الامتهان لآدميتهم. ولم يَحْظَ باستعادة حريته إلا بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠، وكأن سجَّانيه اطمأنوا إلى أن «شبح» الناصرية زال عن سلطانهم!

مع ذلك، قرَّر الرجل أن يتعالى على جراحه الشخصية، فآثر رياضَةَ النفس على الترفُّع لتَخْلِيَتِهَا من الحقد وتَحلِيَتَها بالصَّفح والتسامح. وحين تَاجَر مَن تاجروا بمعارضتهم للنظام ـ وفيهم مَن لم يتلَقَّ صفعةً واحدة من شرطيّ مرور في بغداد ـ آثر الرجل أن يعيد قراءةَ خيارِه المعارض على نحو مختلف. ويكاد يكون د. حسيب من قلةٍ قليلة لم تَذْهَلْ عن مَحَجَّةِ العقل ولم تُضِعْ بوصلةَ النظر بعين التمييز بين النظام والوطن. وهكذا حينما كان «معارضون» كثر يَعْمَهُون في إسقاط الفروق والفواصل بين الوطن والنظام، اعتصم خير الدين بحبل الوطن وما بدَّل تبديلاً.

على أنه في عزّ تسليمه بأن نظام صدام حسين دافع عن العراق طيلة سنوات الحصار، وجرّب طويلاً أن يتفادى الحرب، وأن يُسْقِط الذرائع، وأن يصحّح نظرته إلى المجتمع الدولي والنظام العربي من المقاطعة إلى التعامل الإيجابي، وبأن هذا النظام ظل متمسكاً بموقف ثابت من القضية الفلسطينية ولم يساوم عليها في أحلك ظروف الضغط والابتزاز؛ ومع تسليمه بأن شعار إسقاط صدام حسين ليس إلا اسماً حركياً لاحتلال العراق وإسقاط الدولة العراقية، وأن صمود العراق في مواجهة مخاطر الغزو والاحتلال يقتضي صمود النظام في وجه الحصار والضربات العسكرية المتتالية والحظر الجوي في الشمال والجنوب. . .، مع تسليمه بذلك، لم يساوم د. حسيب يوماً على حق العراقيين في الحرية والديمقراطية حتى تحت الحصار والضغط الامبريالي. ويشهد

كاتب هذه السطور أن الرجل كان حريصاً في كل دورات المؤتمر القومي العربي، منذ الدورة الثانية في عمان (نيسان/ أبريل ١٩٩١)، على التشديد على موضوع الديمقراطية في العراق. وحتى حينما كانت بيانات المؤتمر، وبيانات أمانته العامة، تُكَرِّسُ الحيّز الأوفر من الفقرات الخاصة بالعراق لإدانة الحصار والعدوان ومن يقوم بهما ومن يقدم التسهيلات لهما، وتُعلن التضامن اللامشروط مع الشعب العراقي في مواجهة محنته، كان د. حسيب يتدخل للتشديد على وجوب النَّصِّ على دعوة الحكومة العراقية إلى احترام حقوق الإنسان وإطلاق الحريات العامة: حرية الصحافة وحرية تشكيل الأحزاب، وفتح حوار وطني داخلي لتحصين العراق في وجه التهديد الأجنبي. وكان يردّد دائماً بأن الديمقراطية رصيدٌ استراتيجي في تماسك العراق ضد العدوان. وقد يكون من باب إفشاء الأسرار أن آخر لقاءٍ له مع الرئيس صدام حسين، بضعة أشهر قبل الغزو[*]، وفي مقابلة بينهما على انفراد وغير معلنة، فَاتَحَ د. حسيب صدَّاماً في أمر الحاجة إلى الإقدام على إصدار عفو عام والإقدام على انفتاح سياسي في العراق يتضمن إرساء الديمقراطية والتعددية السياسية وإعادة النظر في النظام السياسي القائم آنذاك. ولعله وحده كان يقوى على ذلك واثقاً ممّا يؤمن به خلاصاً لوطنه، ومطمئناً لإدراك الرئيس العراقي بأن الرجل يقول ما يقوله حرصاً على ذلك الوطن.

لكن خير الدين حسيب الذي عارض النظام، وجرى إيراد اسمه في يوم من أيام العام ١٩٨٦، ضمن مشاورات إقليمية على هامش الحرب العراقية ـ الإيرانية، كمرشح لرئاسة الجمهورية ليردَّ على العرض بأنه ليس الرجلَ الذي يأتي إلى السلطة على صهوة حصانٍ أمريكي ولا الرجل الذي يَنْقُضُ عهداً قَطَعَهُ على نفسه بالابتعاد عن السلطة. . . ، لم يكن يشبه غيره من المعارضين، حتى الوطنيين منهم ممن لم يخلطوا بين النظام والوطن؛ فهو لم يكن معارضاً عَدَميّاً، بل كان يستطيع أن يُنْصِفَ النظامَ الذي عَارَضَه إن وَجَد في سجلّ أعماله ما يستوجب الإنصاف سياسيّاً وأخلاقياً. ولأن معارضته لم تكن الشجرة التي أخفت عنه المكتسبات التي تحققت في عهده، كان يمكنه أن يسجل له ـ بكل موضوعية ـ إقدامه على تأميم نِفْط العراق (وليس سرّاً أن د. حسيب هو الأب الروحي لهذا القرار)، وعلى محاربة الأمية وتعميم النظام التعليمي والصّحّيّ في عقد السبعينيات، وعلى بنائه قاعدةً صناعية وعلمية متطورة وقدرةً عسكرية قوية قبل أن تدمرها الحروب، وعلى دعمه الثابت لنضال الشعب الفلسطيني في مواجهة الاغتصاب الصهيوني، وعلى تقديمه المساعدة والعون الماديَّيْنِ للبلدان

(*) خلال الأسبوع الثان من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢.

العربية الفقيرة، وعلى سياسة التعاون الاقتصادي التي نهجها عربيّاً مدفوعاً بفكرة الوحدة الاقتصادية . . . إلخ.

وهذا سببٌ آخر يمنح آراء الدكتور حسيب في الشأن العراقي مصداقية إضافية على مصداقيةٍ أَصْل، لأن الرجل يقول ما يقوله وهو معارض: بعيد عن السلطة ولا يطمح فيها أو يتطلع إليها.

ـ ٢ ـ

قيمة **ثانية** لنصوص هذا الكتاب تكمن في أن ما قِيلَ فيها لم يُقَل من موقع وطني عراقي فحسب، بل من **موقع قوميّ عربيّ** أيضاً. ولأن د. خير الدين حسيب يمثل اليوم أحد أكبر رموز هذا الموقع، فإن رأيه يعني قسماً كبيراً من النخب السياسية والثقافية خارج العراق وفي عموم الوطن العربي. إذا كان مشروعاً تماماً أن يُنْظَر إليه من العراقيين كعراقي، بل قُل كرمز من رموز الوطنية العراقية، فهو يُنْظَر إليه خارج العراق كعربيّ في المقام الأول، ويُطْلب رأيُه في الشأن العراقي من باب معرفة ما هو الموقف القومي السليم من المسألة العراقية. والذين يَعْرفون د. حسيب، يَعْرفون عنه تحرُّره من الوطنية الضيقة وتجاوُزَه للنظرة القومية الكُلاَّنية التي تُسْقِط الوطنيات وتتجاهلُها. لم يَتَشَرْنَقْ على هويةٍ وطنية مُغْلقة تنْفُر من ماهيةٍ قومية أعلى كما كثيرون فعلوا وارْتَضَوْا أقطارَهُم ودويلاتهم الصغرى أوطاناً نهائية! ولم يَجْنَح نحو رؤيةِ رابطة قومية ترانسندنتالية (Transandentale) تأبى النزول من عليائها و«التلوُّث» بالوطنيات الصغرى! أو قُل إنه تَحَرَّر من ذلك الجنوح منذ زمن بعيد، وبات يدعو جهراً إلى ضرورة مراجعة الفكر القومي العربي موقفه الايديولوجي غير الواقعي من الدولة الوطنية (القطرية)، بل بات يدعو إلى المصالحة الفكرية والنفسية معها بمنظور قومي يتعامل معها كخامة قابلة للتصنيع في مشروع قومي ديمقراطي في المستقبل ليس قطعاً من باب إلغائها بالعنف البسماركي.

مَن يَعْرفه، يعرف عنه أيضاً تحرُّرَهُ من المذهبية القومية التي قادت كثيرين في ما مضى ـ وما برحت كذلك ـ إلى تَحَزُّبٍ سياسيّ تحت عناوين قومية متباينة لا تقوم بينها أواصر أو وشائج: فهذا ناصري، وذاك بعثي، وذلك من القوميين العرب وقِسْ . . . ! نشأ ناصريّاً وعلى ذلك تربَّى؛ لكنه سرعان ما اسْتَدْخَلَ ناصريَته في مشروع للقومية أرحب من ذي قبل. تَسْأَلُه اليوم عن ناصريته، يجيبُك أنه ما عاد يَعْتَصِبُ لها اعتصابَ المعتكف في محرابها قبل عقودٍ ثلاثة خَلَت، وأنه يفهمُهَا اليوم لحظةً في المشروع القومي بعد إذْ كانت عندَه ـ وجَيْلَهُ ـ المشروعَ القوميَّ ذاتَه. بل يزيد على ذلك قولاً ـ من باب النَّوافل والإِفاضات ـ إنه كثيراً ما استشعر قربَه من يساريين

وإسلاميين متنورين من قُرْبه من ناصريين لَمَّا يغادروا بعدُ مركزيتَهم القومية ووعيَهم الاختزالي للأمة ومشروعِها القومي في عصبيتهم المذهبية. وإذْ تسألُه ماذا يعني القوميُّ لديك اليوم؟ يُجيبُك أنه كل من آمن بقضايا الأمة ومشروعها النهضوي بعناصره وأهدافه الستة (الوحدة، والديمقراطية، والتنمية المستقلة، والعدالة الاجتماعية، والاستقلال الوطني والقومي، والتجدُّد الحضاري). وفي ذلك تتَّسِعُ الصفةُ لتشمل القومي ـ بمعناه التقليدي ـ واليساري، والليبرالي الديمقراطي، والإسلامي العروبي؛ وفي ذلك. . . فليتنافس المتنافسون.

مَكَّن هذا الموقعُ القوميُّ، بهذا المفهوم الرحب والمنفتح، أستاذَنا الدكتور خير الدين حسيب من أن ينهض بأدوارٍ سَلَّمَ له بها كثيرون وما كانوا ليسلّموا بها لغيره: سلَّموا له بإدارة اختلافهم، وباجتراح إجماعهم أو تفاهمهم فيما اختلفوا فيه أو ـ أحياناً ـ في ما شَجَرَ بينهم. بعضُهم فَعَلَ ذلك مُرْغماً وهو عَلِيمٌ بأن التسليم قرينةٌ على اعترافٍ منه بتناقُصٍ ما في منسوب «مرجعيته» أمام رَجُل ينعقد حوله إجماعٌ تلقائي بأنه رجل «الحلّ والعقد» في مرحلة التشظّي والتذرُّر السياسي القومي؛ فيما بعضٌ ثانٍ فَعَلَ ذلك راضياً مختاراً: لِعِلْمِه بأن الرجل وحده من يملك، اليوم، أن يَرْتَقَ الخُروق ويَجْمَعَ الأمشاج والأرخبيلات القومية إلى بعضها ليضُخَّ فيها بعض الحياة وبعض الحركة. وكثيراً ما كان هذا البعض (الثان) ـ وهو شديدُ الانبهار به ـ مدفوعاً إلى أن يَقْفُو أَثَرَ الأسباب التي صَنَعَتْ له في الناس تلك المَهَابة التي بها تَفَرَّد عن سائر أترابه وتنزَّل بها منزلةَ المرجع منهم، في زمنٍ لم تَتَعَوَّد فيه الناس أن تعود إلاّ إلى المراجع الفقهاء المالكين لشرائط الاجتهاد.

يعرف كاتب هذه السطور ـ أو يدّعي ـ أن كثيرين ممّن دُعُوا إلى الانتساب إلى المؤتمر القوميّ العربي، غِبَّ تأسيسه، ما لانَتْ عَرِيكَتُهُم أو تراخَتْ ممانعتُهم السياسية والنفسية ضدّ أن يُضْوُوا في كيانٍ قوميّ جديد إلا بعد أن اطمأنوا إلى أن خير الدين حسيب في قلب هذا المشروع وعلى رأسه. وإذا كان ذلك حَالُ من تَقَلَّب في مؤسسات العمل القومي، فهو أجلى في حالةِ من لم يَسْتَهْوِهِمْ يوماً أن يكونوا في جملة المُحَازِبَة المنتمين ـ كما حال كاتب هذه السطور ـ لإيمانهم بأن التزامَ قضيةٍ ليس يَلزَمُ عنه حُكْماً التزامُ إطارٍ سياسيّ يحتكر النطق باسمها، أو حتى ينتدبُ نفسَه ليكون واحداً من أدوات التعبير عنها. كان د. حسيب مؤسِّساً، ود. حسيب أميناً عامّاً أَوَّلَ، ضَمَانَتَهم بأن المؤسسةَ هذه ليست حجراً جديداً يضاف إلى حائطٍ تَصَدَّع ويتهدَّده السقوط، بل فسحة أخرى للنظر في حال الأمة والتداول في أكفل السبل إلى تقديم مساهمة النخب العربية ـ قسماً من مُؤْمِنَتِهَا على الأقل ـ في معركتها من أجل البقاء الشريف في عالمٍ شديد القسوة على الضعفاء.

حال المثقفين العرب مع د. خير الدين كحال السياسيين والمناضلين. يحسبونه منهم ولهم كما يَحْسَبُ ذلك الأخيرون. ولهم من مركز دراسات الوحدة العربية دليلٌ على ما ذهبوا إليه . . . وما كانوا مخطئين. فخير الدين ـ المؤمن بمبدإ «الخبز مع الكرامة»: الذي يتصدّر وجدانه ومكتبه عنواناً لاستقلاليةٍ أرادَهَا رأسمالاً لمركز دراسات الوحدة العربية وذَخيرةَ أخلاقٍ فيه ـ يؤمن بمبدإ «وعي الوحدة العربية، وحدة الوعي العربي» الذي يتصدّر مجلة المركز (**المستقبل العربي**). وترجمةُ الشطر الثانِ منها أن لقاء المثقفين العرب من مشارق بلاد العروبة ومغاربها هو المدخل الذي لا مدخلَ سواه إلى صناعة وحدةِ الوعي العربي ذاك. والرجل وَضَع المركز، وسَخَّر إمكانياته، برسم تحقيق ذلك المبدأ، وما ادَّخَر وُسْعاً في أن يلتقي أهلُ المشرق بأهل المغرب في ندواته، وفي أن تتجاور أسماءُ رجالات الثقافة من جناحيْ الوطن في عناوين المركز الصادرة عنه. وكان في ذلك رائداً، يشهد له بذلك الخصوم قبل الأنصار، الأَبْعَدُونَ قبل الأقربين.

لا يجتمع السياسيون إلاّ على سياسيّ؛ هذا إن اجتمعوا. ولا يجتمع المثقفون إلاّ على مَنْ في جملتهم: إنِ اجتمعوا. لكن الفريقين يجتمعان على خير الدين حسيب. ليس لأنه مناضل وأكاديمي فحسب، بل لأن شروط انعقاد الصلة بين البعدين في شخصه توافرت على نحو نادرٍ وعزيز. قد يشعر السياسيون إزاءه بالنقص لأنه أكاديمي وباحث؛ وقد يشعر المثقفون إزاءَه بذات الشعور لأنه مناضل. لكنه يقدم لهم جميعاً درساً في الحالَيْن: حاجة المناضل إلى المعرفة لتدارُك عِيٍّ فكريٍّ ليس يجوز لمن يحمل قضيةً كبرى أن يُصَابَ به؛ وحاجة المثقف إلى الالتزام لتصحيح خطيئة انفصال المعرفة عن الواقع والوطن والأمة. درسٌ بيداغوجي؟ ربّما، لكن د. حسيب يقدمه ـ من خلال تجربته الخاصة ـ بتلقائية ودونما ادعاءٍ كبير أو صغير.

من نافلة القول إن رجلاً بهذه الخصال لا يمكن لآرائه في شأنٍ من شؤون السياسة والوطن والمصير ـ كشأن بلاد الرافدين ـ إلا أن تكون محطَّ اهتمام من النخب العربية: الفكرية والسياسية؛ إذ هي آراء رَجُلٍ غنيٍّ خبرةً ودُرْبَةً ومرَاساً بحيْث ليس عنها غَنَاءُ.

ـ ٣ ـ

من يبحث عن تنظير أو مقاربة فكرية في هذا الكتاب، فلن يجدهما، وله إن أراد ان يتعرف على خير الدين الأكاديمي أن يعود إلى كتبه ودراساته الاقتصادية(*). أما

(*) يجد القارئ قائمةً بها في الصفحة ٢٥٥ من هذا الكتاب.

هنا، فالقول سياسيٌّ في المقام الأول. وليس معنى ذلك أنه حزمة من مواقف سياسية مباشرة متراصفة مع بعضها، وإنما يأتي القولُ الحاملُ للموقف السياسي: الوطني والقومي، في ركاب رؤيةٍ وتحليل يمنحانه طعماً خاصّاً مختلفاً، فأنت لا تستطيع أن تقرأ مادة هذا الكتاب دون أن تستوقفك فيه الخلفيةُ الثقافية لصاحبه. تَلْحَظُها من خلال **مَلْمَحيْن** يَسِمَان حديثَهُ ويغلبان عليه:

المَلْمَح **الأول** ما يمكن تَعْيينُه **بالمتابعة اليقظة** أو المتيقظة لما يجري في العراق وفي المحيطين العربي والاقليمي وفي النظام الدولي من سَرِيع الأحداث والتحولات. كأي باحث رصين يَسْكُنُهُ هاجسُ المعرفة، وكأي مناضل ملتزم يَغْمُرُهُ الشعور بالمسؤولية، ينغمس د. حسيب في قراءة ما يحصل على سطح هذا العالم. يبالغ أحياناً في الذهاب بعيداً في التفاصيل، يبحث عن المعلومة كأنه يبحث عن الجواهر النفيسة. الحدث عنده ليس وَحَدَةً مغلقة ميتافيزيقية: له ما قَبْلَه وله ما بعْدَه. وهو (الحدثَ نعني) ليس منفصلاً عما يحيط به، بل شديد الصلة به. يتابعه كما المحقِّقُ يتابُع خيوطَ الصلة بين الحوادث ومَن ارتبطت بهم. وفي هذه المتابعة، يَعْرض الرجل أمام ناظريه كل ما يَفْترض أنه على علاقةٍ ما بما يجري: السياسة الأمريكية، السياسة العربية، السياسات الاقليمية، النفط، الصراع العربي ـ الإسرائيلي، توازنات القوى الاقتصادية الدولية، صراع الاستراتيجيات الكبرى على الإقليم، صورة المنطقة في منظار مصالح كل فريق، المشروع القومي أو ما بقيَ منه، «الإسلام السياسي» . . . إلخ. ومن تلك الحوادث والأطراف والقوى يَنْسُجُ خيوط الترابط والتَّمَفْصُل كي يعيد إدراكَ الوقائعِ في سياقاتها، وكي يفهم الأهداف التي رامَهَا صانعُو تلك الحوادث، والغايات التيَ تقف خلف سياساتهم. وعندي أن قارئ هذه النصوص لا شكَّ واجدٌ فيها شيئاً كثيراً من هذا النَّفَس: يعيد تنظيم حوادث العراق في وعيه على نحوٍ أكثر وضوحاً.

أما المَلْمَحُ **الثان**، فيمكن تعيينُه **بروح الممارسة والاستشراف** التي تَسْكُن الكتاب وتسكن تفكير د. خير الدين عموماً. تبدأ هذه الروح عنده بكلمة لا تكاد تُبَارِحُهُ ولا يكاد يذهل عنها هي: ما العمل؟ لتنتهي بالمغامرة المعرفية في وضع سيناريوهات للمستقبل للتفكير من داخلها في ذلك المستقبل. الرجل في جملة قلةٍ قليلة تفكر في الشأن العام وهي مسلحة بمفردة «ما العمل؟». إنها نزعة البراكسيس التي تحدَّث عنها أنطونيو غرامشي. لا يكفي التحليل، لا يكفي الفهم، لا بدَّ من عملٍ يَرُدُّ، يصحِّح، يغيّر. من جوف هذه العقيدة في الممارسة خرجت المنظمة العربية لحقوق الإنسان[*]

(*) تأسست على هامش ندوة «أزمة الديمقراطية في الوطن العربي» التي عقدها مركز دراسات الوحدة العربية في العام ١٩٨٣ في قبرص (ليماسول).

مثلاً: الأكاديمية الملتزمة تقتضي أن تخرج المعرفة من حيّزِ العقل إلى رحاب الممارسة، أن تنتقل من النص إلى المؤسسة، من النخبة إلى الناس. ثم إن د. حسيب في جملة قلّةٍ قليلة أدركت مبكراً القيمة الحيوية لفكرة الاستشراف واهتمت بإطلاق تجربة الدراسات المستقبلية في الفكر العربي. وكثيراً ما ردَّدَ ـ دفاعاً منه عن فكرة الاستشراف ـ بأن التاريخ أو المستقبل ليس قدراً، ليس حتميةً عمياء موضوعية أو منفلتة من عِقال الإرادة الإنسانية، بل هو قابل لأن يُبْنَى بمقتضى الفعالية الإنسانية الواعية. إن المستقبل يحمل بدائل مختلفة وبعضها أفضل من البعض الآخر وإن اختيار هذا المستقبل أو ذاك يتوقف على إرادة صنعه، وعلى القدرة على صنعه، ثم على الثمن الذي ينبغي دفعه في هذه الحال أو تلك من حالات المستقبل. لذلك، فالمستقبل عنده قابل لأن يُقْرأ من مدخل السيناريوهات أو المشاهد المفترضة. والرجل الذي رَعَى مشروعاً علمياً، هو الأول من نوعه في الفكر العربي، لاستشراف المستقبل العربي(*)، يجرب اليوم ـ في هذا الكتاب ـ أن يستأنف النظر إلى مستقبل العراق بذات أدوات الاستشراف التي خبرها منذ عقدين.

وأخيراً، لا يَسَع قارئَ الكتاب إلاّ أن يستشعر الشحنة الحارة من الصدق في لهجة صاحبه. لا تضارعها في الحرارة إلا جرأَتُهُ في قول ما يرتئي قولَه دون خشيةٍ أو محاباة. ذلك في جملة مناقبَ كثيرة عَرَفَهَا عنه من عَمِلُوا معه أو كانوا قريبين منه، ولم يُنْكِرها عنه كثيرٌ من خصومه. هي أخلاق الملتزمين؟ نعم. لكن معدَّلَها عند د. حسيب أعلى.

عبد الإله بلقزيز
بيروت: آب/ أغسطس ٢٠٠٤

(*) «مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي» الذي نشر المركز دراساتِه وحصيلته النهائية.

القسم الأول

مـن الحصـار إلى الغـــزو

(١)
الفكر القومي، والعمل القومي، ومحنة العراق(*)

■ *د. خير الدين حسيب أهلاً وسهلاً بك. نحن الآن على الهواء مباشرةً. أعزائي المشاهدين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نحييكم من شاشة الحرية من شاشة تلفزيون «المستقلة» في لندن، ونرحب بكم في هذا اللقاء الخاص. لقاء غير عادي، أسميناه في إعلاناتنا طيلة الأيام الماضية جولة أفق مع عَلَم من أعلام الثقافة العربية المعاصرة، لا يحتاج إلى أن نبالغ في إطرائه؛ ولكن بعض الإنصاف وليس كل الإنصاف أن نقول فيه أنه اسم لامع وبارز ورئيسي في الثقافة العربية على امتداد العقود الثلاثة أو الأربعة الماضية، ولعله هرم من أهرامات الثقافة العربية المعاصرة. فرد ولكنه فرد أكثر نجاعة وعملاً وعطاء من مؤسسات كثيرة. وهو أنشأ مؤسسات لها إشعاعُها البارز ومكانتها المرموقة في الساحة الثقافية العربية وفي الساحة الفكرية العربية. ولذلك نخصص أمسية الخميس هذه الليلة لهذه السهرة مع جولة أفق في المحطات الرئيسية البارزة لعطائه في الساحة الفكرية والثقافية العربية. وأنا أعد كل مشاهدينا الأعزاء الذين يستمتعون بعطلة نهاية الأسبوع في المشرق العربي بأن سهرتنا هذه سوف تكون هدية جميلة جداً لهم في عطلتهم، كما في عطلة مشاهدينا في المغرب العربي وفي أوروبا وفي كل مكان، لأننا نتحدث حقيقة مع ضيف يندر مثله في الساحة الفكرية العربية. هذا وقلنا منذ البداية أننا لا نريد إطراءَه كثيراً. وإذا أردتم أن تعرفوا أسباب هذه الأوصاف فكونوا معنا في هذا اللقاء الذي نستضيف فيه الدكتور خير الدين حسيب المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، والمبادر الأساسي إلى تأسيس المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي والمنظمة العربية لحقوق الإنسان. د. خير الدين حسيب نورت «المستقلة» في لندن.*

حسيب: شكراً لك الأخ الهاشمي، وأنا سعيد بوجودي في «المستقلة». فأنا

(*) أجريت هذه المقابلة مع الدكتور خير الدين حسيب على قناة «المستقلة» في ٢٥ نيسان/ أبريل ٢٠٠٢، وقد حاوره فيها الدكتور محمد الهاشمي الحامدي.

نادراً ما أظهر على التلفزيون وخلال الثلاثين أو الأربعين سنة الماضية ظهرت مرتين فقط بدعوة من الأخ غسان بن جدو وهذه هي المرة الثالثة. كما أود أن أشير إلى أنني أتحدث بصفتي الشخصية، ولا يعكس ما سأقوله بالضرورة موقف مركز دراسات الوحدة العربية.

البدايــات في العـراق

■ *أنا أشكرك جزيل الشكر على تلبية هذه الدعوة، وأنا حقيقة مسرور أن أقدم هذه الحلقة معك، وسعيد بهذا الحوار الذي أرجو أيضاً أن يكون، وأعول كثيراً إن شاء الله أن يكون، إضافة حقيقية لهذه الحوارات التي تفخر بها الفضائيات العربية. وأنا واثق أنه حوار نادر من نوعه.*

د. خير الدين حسيب تقريباً الأغلبية الساحقة من وجوه النخبة العربية العاملة في الساحة الثقافية وفي الساحة الفكرية تعاملت معك، قرأت الكتب والحصاد الكبير لمركز دراسات الوحدة العربية. على ما أظن ٧٠ بالمئة أو ربما ٨٠ بالمئة من طلاب الدراسات العليا في الجامعات العربية لا بد أن يرجعوا ويستشهدوا بِـ ـ ويعودوا إلى ـ المراجع والكتب التي أشرفتم على إصدارها طيلة هذه السنوات. ولدينا مشكلة في الحقيقة من أين نبدأ هذه العقود الزاخرة بالعمل والعطاء؟ لكن إن سمحت لي فلنحاول أن نبدأها من بداياتها. نريد أن نأخذ البداية الأولى قبل تأسيس مركز دراسات الوحدة العربية، وهو على حد علمي أُسس في بيروت في لبنان، وقبل أن تأتي إلى لبنان كنت في العراق، وعملت أيضاً في العراق، فهل يمكن أن نبدأ من البدايات في العراق؟

حسيب: وُلِدْتُ بالموصل في العراق، ويقال في أول آب/ أغسطس ١٩٢٩، وتوفي والدي بعد خمسة عشر يوماً من ولادتي، وإلى الآن أنا لا أعرف شكل والدي ولا أملك له صورة ولا أثراً. وتبناني جدي، وكان وضعه الاجتماعي جيداً حيث كان يملك قرى وأراضي وقطعان أغنام. وفي فترات معينة، عشت عيشة مرفهة مع جدي. وكان ينعقد عنده مجلس يومي. حتى أعمامي لم يكن باستطاعتهم أن يدخلوا المجلس، وذلك حسب التقاليد التي كانت متبعة حينذاك؛ أما أنا، فكنت أجلس بجانب جدّي في صدر المجلس. ولذلك منذ طفولتي اعْتَدْتُ على الجدية، ولم أكن ألعب مع الأطفال إلا نادراً. وكان لوجودي مع جَدّي وفي المجلس معه تأثير بالغ في طابع الجدية الذي ترك بصماته عليّ مبكراً في طفولتي.

وبعدها توفي جدي في أواخر الثلاثينيات، وبدأ أعمامي يبيعون أملاكه، فباعوا كل ما كنا نملكه من أراضٍ. كما سبق ذلك، وقبل وفاة جدي، حصول عاصفة ثلجية

أضاعت قطعان الغنم التي لم يعثر لها على أثر. ووصلنا بعد وفاته وبسبب كل ما سبق إلى مرحلة لم نكن نستطيع فيها أن نؤمِّن قُوتَنَا اليومي. فأنا عشت، إذاً، حالتي الغنى والفقر، وبالتالي لا يُوجد لديَّ عقدة الغنى ولا عقدة الفقر. وهذه ساعدتني في حياتي كثيراً.

تخرجت في الثانوية في الموصل عام ١٩٤٧، وكان عليَّ أن أعيل عائلتي، خاصة وأن أخاً لي ضابطاً كان مريضاً يتلقى العلاج في لبنان. واضطررت إلى تأجيل الالتحاق بالجامعة لأبقى في الموصل وأتعين في وظيفة صغيرة ككاتب في متصرفية الموصل (تسمى المتصرفية محافظة حالياً). راتب خريج ثانوية في ذلك الوقت كان ثمانية دنانير عراقية. ولم تكن هناك وظيفة شاغرة إلا بستة دنانير وأنا قبلتها، ومع غلاء المعيشة يصبح الراتب أحد عشر ديناراً، أي حوالى أربعة وثلاثين دولاراً شهرياً. وبقيت أعمل ثلاث سنوات في متصرفية الموصل، وفي السنة الرابعة فُتحت كلية التجارة والاقتصاد في بغداد، وتَسَجَّلْتُ فيها وكنت موظفاً في الوقت نفسه في الموصل. في السنة الأولى كنت آخذ إجازات اعتيادية وأداوم في الكلية ولمدة لم تتجاوز الثلاثة أشهر خلال السنة الدراسية الأولى. وكان صديق لي يرسل إلي المحاضرات، وكنت الرابع في نتائج امتحانات السنة الأولى. ثم نقلت وظيفتي إلى بغداد في وزارة الداخلية، وكنت أداوم في الوزارة وفي الجامعة، ثم تخرجت وكنت الأول في الكلية. وفي السنة نفسها التحقت بمدرسة لندن للعلوم الاقتصادية (London School of Economics)[١] في لندن وتابعت الماجستير فيها، ثم ذهبت إلى جامعة كمبردج (Cambridge) وتابعت الدكتوراه هناك، وعدت إلى العراق في أوائل شباط/ فبراير ١٩٦٠.

■ ***كيف كان الوضع السياسي عام ١٩٦٠، وهل كنت مهتمّاً به في ذلك الوقت؟***

حسيب: كانت فترة عبد الكريم قاسم. ومنذ أن ذهبت إلى بريطانيا انخرطت في العمل القومي، فبعد وصولي إليها بشهرين أو ثلاثة انْتُخِبْتُ رئيس جمعية الطلبة العرب في مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية والعلوم السياسية، ثم انْتُخِبْتُ رئيس الجمعية العربية في جامعة لندن، ثم كنت نائب رئيس رابطة الطلبة العرب في بريطانيا. وعندما ذهبت إلى جامعة كمبردج انتخبت رئيس الجمعية العربية فيها.

---

(١) رغم أنها تابعة لجامعة لندن إلا أنها مشهورة أكثر من جامعة لندن نفسها وتعرف في العالم باسمها وليس باسم جامعة لندن، ويطلق عليها عادة اسم مختصر هو (L. S. E.).

■ ***إذاً أنت عريق في النشاط العربي العام.***

حسيب: حاولت دائماً أن أوفق بين التزاماتي الدراسية والتزامات العمل العام. وكانت مدة بعثتي سبع سنوات، وأنهيتها في خمس سنوات وعدت إلى العراق. وربما استعجلت العودة. وحين أستعيد اليوم ذلك، يخامرني الشعور بأنه ربما كان من المفيد إقامة سنتين إضافيتين هناك. أنا ذهبت في بعثة على حساب وزارة النفط. ووزارة النفط، والحكومة العراقية كان لها اتفاق مع شركات النفط، وكانت الأخيرة ترسل بموجبه سنوياً خمسين طالباً من خريجي الثانوية للدراسة في بريطانيا في تخصصات مختلفة وعلى حساب شركات النفط الأجنبية حينذاك. قبل كان الذين يرسَلون كلُّهم للحصول على درجة جامعية أولية (بكالوريوس) (Undergraduate)، وبعدها أصبحت الوزارة ترسل بعثات قليلة للدراسات العليا (Postgraduate)، وأنا كنت من ضمنهم. عندما عدت، نسبوني للعمل في شركة النفط العراقية (IPC). وكنت مسؤولاً عن قسم الإحصاء والأبحاث. عملياً لم يكن لديَّ شغل يذكر. كانت فقط وظيفة مع سكرتيرة. ولكن راتب شركة النفط كان ثلاثة أضعاف راتب أستاذ الجامعة. وبعد عدة شهور، قمت بتقديم طلب إلى وزير النفط، طلبت فيه نقلي إلى الجامعة، وتخليت عن الراتب الخاص بشركة النفط.

بدأت حياتي حياة بسيطة، ولا يتوفر لدينا كل ما نحتاج إليه. أجّرت داراً متواضعة، وأحد الأقرباء أهداني كراسي حديدية، وآخر اشترى لنا بعض الفرش للنوم. وكان لي ابن عم ضابطاً، وكانت هناك حوانيت للجيش تستطيع أن تأخذ منها بالتقسيط، فأخذ لنا حاجات المطبخ بالتقسيط. وبعد مدة في التدريس في كلية التجارة والاقتصاد، تم تعييني مديراً عامّاً لاتحاد الصناعات في سنة ١٩٦١. وأعطتني هذه الوظيفة فرصة للاطلاع على الصناعة العراقية من الداخل. وكنت أمثل كذلك اتحاد الصناعات في «لجنة التنمية الصناعية» التي تحدد الإعفاءات من الرسوم الجمركية على استيرادات المشاريع الصناعية من المكائن والمواد الأولية المستوردة، وهذا أعطاني فرصة لأكوِّنَ صورة من الداخل. بعد ذلك، وفي صيف ١٩٦٣، تم تعييني محافظاً للبنك المركزي. وبقيت أشغل ذلك المنصب إلى آخر عام ١٩٦٥.

في تموز/يوليو ١٩٦٤، كانت هناك رغبة باتخاذ بعض الإجراءات الاشتراكية، وكنت قد قمت، منذ عام ١٩٦٢، بمبادرةٍ مني بالسفر إلى مصر وسوريا لدراسة التجربة الاشتراكية هناك.

كنت أنا والذين أرتبط معهم سياسياً مهتمين بقضية الوحدة. وكان الوضع في العراق متسماً بعدم الاستقرار السياسي وبغياب نظامٍ ديمقراطي. ورجال الأعمال قد

أمسكوا عن الاستثمار في مشاريع جديدة مخافة أن تفاجئهم الأحداث، وخاصة مع التداخل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية واحتمال صدور أي قرار مفاجئ دون أن يطَّلع عليه أحد أو يبدي رأيه فيه مسبقاً. وأنا أفهم تماماً أن ذلك الجبن لدى رأس المال طبيعيّ.

كانت الأزمة الاقتصادية قائمة، وكان عدد من المشاريع الصناعية يتلقى دعمَ حمايةٍ من منافسة المنتوج الأجنبي المماثل، لضمان السوق للإنتاج المحلي، كما كانت تلك المشاريع تتمتع بإعفاءات من الرسوم الجمركية على المواد الأولية المستوردة وكذلك من ضريبة الدخل، وإعفاءات غيرها. وبسبب هذه التشجيعات والامتيازات كان قسم منها يحقق أرباحاً تتراوح أحياناً بين ٥٠ بالمئة إلى ٧٠ بالمئة سنوياً. لكن هذه الأرباح لا يعاد استثمارها جزئياً أو كلياً في مشاريع جديدة، رغم نسبتها العالية جداً، كما يجب، أو كما يحدث في النظام الرأسمالي الحر. هكذا كان وضع العراق: كان في حاجة إلى تنمية، وفي حاجة إلى استثمارات جديدة. كما كانت هناك حاجة إلى إعادة صياغة أوضاع البنوك. فالبنك لا يعمل برأسماله. البنك رأسماله مثلاً ربع مليون أو نصف مليون دولار، لكن ودائعه تبلغ عشرة ملايين وعشرين مليوناً، هذه الودائع التي تعود غالبيتها للناس تكون تحت تصرف البنك، فكيف توجه هذه الودائع؟ صاحب البنك يهمه أن يحقق أكبر ربح ممكن، ومن مصلحته أن يمول التجارة مثلاً، لأن الفترة الزمنية ما بين عملية الاستيراد والبيع تأخذ أربعة أو ستة أشهر، بينما منح قرض لإنشاء مشروع صناعي يأخذ إنشاؤه ما بين سنتين إلى ثلاث سنوات على الأقل، وبعدها فقط يبدأ بتسديد القرض للبنك. وعلى سبيل المثال كان أحد البنوك، وهو البنك البريطاني للشرق الأوسط ورأس ماله كان ربع مليون دولار على ما أذكر، قد أعطى قرضاً لشركة النفط الأجنبية آنذاك (IPC) بعشرة ملايين دينار، وهي من ودائع العراقيين لديه، لأن الفائدة في العراق كانت أقل من الفائدة في بريطانيا. وهذه الشركة الأجنبية من المفروض أن تمول عملياتها من رأسمالها من خارج العراق وليس من ودائع العراقيين. طبعاً من جانب البنك هي عملية سليمة لأنه أعطى القرض لشركة واحدة بدلاً من أن يعطيها لمئة مقترض أو أكثر، وبذلك تكون مصاريفه الإدارية أقل، كما أن قرضه مضمون أكثر. وبالنسبة إلى شركة النفط فإنها دفعت فائدة أقل مما لو أخذت القرض من بريطانيا حيث مقرها. لكن بالنسبة إلى العراق هذه الودائع من المفروض أن تستخدم في عملية التنمية في العراق وهي ودائع عراقية، فهل من المعقول أن يمول العراق بعض عمليات شركات النفط الأجنبية في العراق؟ وقد اطلعت على كثير من هذه الأمور نتيجة وجودي في اتحاد الصناعات العراقية، وفي البنك المركزي حيث أتيح لي كذلك الاطلاع على الصورة من الداخل.

أنا لست ماركسياً، ولذلك لا أنطلق فكرياً من حتمية الملكية العامة لوسائل الإنتاج، ولو كنت في أمريكا فمن المحتمل أنني ما كنت اتجهت هذا الاتجاه. لكن الوضع العراقي حينذاك كان خاصاً ومختلفاً، وكانت أحداث معينة في حياتي بالعراق قد أثّرت في توجهي التقدمي. ففي سنة ١٩٥٧، أثناء التحضير للدكتوراه في جامعة كمبردج، ولحاجتي إلى معلومات ميدانية خاصة لتقدير الدخل القومي في العراق، زرت العراق كله وذهبت إلى منطقة العمارة في الأهوار، وكان ذلك في أواخر شهر آب/ أغسطس وكانت فترة حر شديد. ولم تكن هناك وسيلة للانتقال في الأهوار إلا بواسطة «المشحوف» الذي يتم تحريكه بالقصبة. وكان هناك في منطقة العمارة اثنان من الأهوار، واحد اسمه «هور البيضا» والآخر «هور السودا». وفي الأهوار لا يوجد ماء صالحة للشرب، والمياه فيها دود، والناس لا تستطيع أن تشرب المياه من دون أن تغليها لكي يقتل الدود. وكان في آخر الهور الثاني منزل الشيخ، وكان عنده مولد كهربائي، فأخذت عنده حماماً. وفي أثناء السير في الهور رأيت أناساً بدون ملابس (مصاليخ) يزرعون الشلب (الرز) برجليهم وتحت الحر الذي تجاوز حينذاك الخمسين درجة مئوية. وقد أثرت هذه الزيارة، إضافة إلى ما شاهدته في مناطق أخرى من العراق، كثيراً في رؤيتي وتفكيري الاجتماعي، وبخاصة ما يتعلق بالإقطاع وأوضاع الكثيرين من الفلاحين. أنا مررت أثناء تجولي في هوري «البيضا» و«السودا» على شيخي الهورين هناك، وتحدثت معهما طويلاً، وكانا يعدان ملكيتهما بعدد الفلاحين الذي يشتغلون عندهما، وليس بالمساحة، كذا هكتار أو كذا دونم. وكانوا يشكون بأنه كان عندهم ١٢٠٠ فلاح وصار عندهم الآن ٨٠٠ فلاح، حيث هاجر الباقون إلى المدن، وخاصة بغداد. كما اطلعت من قرب ومن الداخل على قطاع الأعمال وسوء الاستعمال الجاري فيه.

ونتيجة لكل ذلك، ففي تموز/ يوليو ١٩٦٤ صدرت القرارات الاشتراكية في العراق، وتم تأميم قطاع البنوك وشركات التأمين والصناعات الرئيسية، كما تم إشراك العاملين في الإدارة والأرباح، وتم أيضاً تعديل قوانين ضريبة الدخل والإرث لتحقيق عدالة أفضل في توزيع الدخول والثروات، وتم إنشاء «المؤسسة الاقتصادية» لإدارة القطاع العام الصناعي وقطاع التأمين والتجارة، وتم أيضاً إنشاء «المؤسسة العامة للمصارف» لإدارة قطاع البنوك.

■ ***هل هذا في عهد عبد الكريم قاسم؟***

حسيب: لا، هذا في عهد الرئيس عبد السلام عارف. وأنا بالإضافة إلى عملي في البنك المركزي أصبحت رئيس المؤسسة الاقتصادية بالوكالة، ورئيساً للمؤسسة العامة للمصارف بحكم وظيفتي كمحافظ للبنك المركزي العراقي.

■ ***التي هي وزارة ضخمة للصناعة والاقتصاد.***

حسيب: لا، هي مؤسسة مستقلة فيها حرية العمل. العمل في القطاع العام يحتاج إلى إدارة مختلفة عن إدارة الدولة، وإلى نظام خاص للعمل. فأقمنا نظاماً خاصاً للعاملين في المؤسسة الاقتصادية أسميناه «قواعد العمل في المؤسسة الاقتصادية». وبعد أن تركت مهمتي فيها، ألغيت المؤسسة الاقتصادية. ولا تزال قواعد الخدمة هذه، والتي وضعت في عام ١٩٦٤، وحتى الآن وبعد ثمانٍ وثلاثين سنة تعتمدها الدولة، فكل مؤسسة جديدة تُنشأ من قبل الدولة ينص قرار أو قانون إنشائها غالباً على أن تُطبق عليها «قواعد الخدمة المعمول بها في المؤسسة الاقتصادية **الملغاة**».

وقد رجعت إلى التدريس في جامعة بغداد بعد ما تقدمت باستقالتي من العمل في البنك المركزي في أواخر ١٩٦٥.

■ ***خلاف مع المسؤولين؟***

حسيب: خلاف مع رئيس الوزراء المرحوم عبد الرحمن البزاز، ووزير المالية السيد شكري صالح زكي.

■ ***كان خلافاً حول السياسة الاقتصادية.***

حسيب: نعم.

عدت إلى جامعة بغداد، وطوال الفترة التي كنت فيها في اتحاد الصناعات والبنك المركزي لم أترك الجامعة بل كنت محاضراً فيها. عدت إلى الجامعة إذاً، وفي سنة ١٩٦٧ عُينت عضواً في مجلس إدارة شركة النفط الوطنية بعد إعادة تنظيمها.

وخلال تلك الفترة تم إصدار القانون رقم ٩٧ الذي يمنع إعطاء امتيازات للنفط في العراق لشركات أجنبية. وكانت هناك حقول مكتشفة، وكان من بينها في ذلك الوقت الحقل المشهور «حقل الرميلة»، وقد قررنا استثماره استثماراً مباشراً، وأخذنا قرضاً من بنك الرافدين التابع للقطاع العام لتمويله بمبلغ خمسة ملايين دينار (حوالى ١٨ مليون دولار).

وكان قد صدر عام ١٩٦١ القانون رقم ٦٠ في زمن عبد الكريم قاسم، والذي بموجبه استرجعت الدولة جميع الأراضي غير المستثمرة من شركات النفط والتي تبلغ حوالى ٩٩,٥ بالمئة من أراضي العراق التي كانت كلها ضمن امتيازات شركات النفط الأجنبية وتُرك لها حوالى ٠,٥ بالمئة فقط. ولكن لم تستطع أي حكومة عراقية أن تتعاقد مع أية شركة نفط لاستثمار الأراضي التي استعادتها الدولة من شركات النفط، لأن

شركات النفط كانت تمنعها وتهددها بإقامة دعاوى عليها مدّعية أن هذه الأراضي تعود قانونياً إليها. ولأول مرة استطعنا أن نتفق مع فرنسا لاستثمار أحد الحقول في العمارة بواسطة ما يدعى «اتفاقية خدمة» (Service Contract)، ووقعنا تلك الاتفاقية مع شركة «ايراب» (ERAP) الفرنسية التي تملكها الدولة. وهكذا ولأول مرة يوضع القانون رقم ٨٠ موضع التطبيق.

وفي النصف الأول من عام ١٩٦٨ كنا على وشك توقيع اتفاقية ثانية مع اليوغسلافيين، ولكنهم كانوا بطيئين.

وبعد ذلك حدث أن ارتفعت أسعار الكبريت في العالم؛ وكان لدى العراق كميات كبيرة من الكبريت لم تستخرج بعد، مما حَدَا عدة شركات على التنافس عليها بما فيها شركة بان أميركان (PANAMERICAN) الأمريكية. وكنا قررنا أن يتم الاستثمار عن طريق الاستثمار المباشر وليس عن طريق الامتيازات.

وهكذا دخلنا في عام ١٩٦٧ والنصف الأول من عام ١٩٦٨ في معركة غير متكافئة مع شركات النفط العملاقة، ومع شركة بان أميركان الأمريكية ومن وراءها. وهذا أشبه ما يكون بمعركة بين قزم وعملاق.

ثم حصل تغيير في تموز/ يوليو ١٩٦٨، حيث أزيح الرئيس عبد الرحمن محمد عارف وجاء بعده السيد عبد الرزاق النايف كرئيس للوزراء، وهو واجهة أمريكية. وجاءوا يبحثون عني صباح يوم ١٧ تموز/ يوليو قصد توقيفي، فاختفيت، إلى أن انقلب البعثيون على الانقلابيين، وسيطروا على الحكم في ٣٠ تموز/ يوليو ١٩٦٨؛ وحينها عدتُ إلى منزلي لأنه لم تكن لديّ مشكلة مع «حزب البعث». وبعدها بيومين، جرى اعتقالي، وبقيت في السجن سنتين ونصف السنة تقريباً.

■ ***سنتان ونصف زمن أحمد حسن البكر.***

حسيب: نعم، أحمد حسن البكر.

■ ***لماذا أوقفوك؟***

حسيب: دورة تدريبية! إنني أسمي هذه الاعتقالات السياسية «دورات تأديبية» ويعتمد طول مدة الاعتقال على مدى صلابة الموقوف والعلاقة طردية بينهما!!

■ ***عندما كانوا يحققون معك، ماذا كانوا يريدون؟***

حسيب: لم يكن هناك تحقيق جدّي، وكان توجيه بعض الأسئلة أحياناً مقدمة لأمور أخرى!!

■ ***فقط وضعوك في الحجز؟***

حسيب: بلادي وإن جارت علي عزيزة.

خرجت من السجن في عام ١٩٧٠ بعد وفاة الرئيس عبد الناصر، وعدت إلى عملي للتدريس في الجامعة، وبقيت فيها إلى عام ١٩٧٤. وفي عام ١٩٧٤ بدأت مشاكل مع بعض الطلبة ونُصحت بأن أترك العراق.

■ ***ما هي هذه المشاكل؟***

حسيب: الطلاب يقدمون تقارير عن الأستاذ وعما يقوله أثناء التدريس...

■ ***الطلاب المؤيدون للحكومة؟***

حسيب: نعم، فنُصحت بترك العراق. فذهبت إلى بيروت في تموز/يوليو ١٩٧٤ لأشغل منصباً في إحدى المنظمات الاقليمية التابعة للأمم المتحدة (اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا (ECWA)). وكان لديَّ عرض للعمل فيها لمدة سنتين. ومنذ ذلك الوقت وأنا مقيم في بيروت. وفي آذار/مارس ١٩٧٥، التقيت صدفة بمجموعة من الإخوة العرب في بيروت من المهتمين بالعمل الفكري لقضية الوحدة العربية، وأسسنا مركز دراسات الوحدة العربية.

■ ***تركت السياسة في العراق، ألم يكن لديك حافز أن تعود، وأن تعتبر إقامتك في بيروت مؤقتة؟***

حسيب: أنا منذ أن تركت العراق إلى بيروت، قمت برياضة نفسية، أولاً حتى أتخلص من الحقد، لأن فترة السنتين والنصف التي قضيتُها في السجن حصلت فيها أحداث مؤسفة. كان لا بد من هذه الرياضة النفسية للتخلص من أي حقد متراكم. وبعدها فكرت كيف يمكن أن أساهم في قضية الوحدة، وما هي أفضل طريقة لإفادة الأمة العربية.

■ ***أنت تفكر في المشروع العربي؟***

حسيب: أنا كنت دائماً أفكر في الإطار القومي العربي، ومنذ البداية، ونتيجة التفكير وصلت إلى قرار الابتعاد عن السلطة كلياً أياً كانت الأوضاع في العراق، والتفرغ للعمل الفكري المتوجه نحو تحقيق الوحدة العربية.

■ ***قرار صعب، لأن السياسة فيها إغراء رهيب، فكيف وأنت كنت جزءاً منها في قطاع حساس هو قطاع النفط؟***

حسيب: أنا كنت في البنك المركزي وكان بإمكاني أن أشغل أي منصب، وفي

عام ١٩٦٣ طلب مني البعث الذي كان في السلطة آنذاك قبول منصب وزير المالية بعد استقالة السيد صالح كبة، ولكنني اعتذرت. وفي بعض الأوقات كنت أرشح بعد الوزراء، ولكنني لم أقبل أن أكون وزيراً، لأن منصب الوزارة يفرض قيوداً غير عادية على الإنسان في ظروفنا الخاصة مما لا أطيقه، ولهذا لم أرغب في أن أكون وزيراً. هذا القرار اتخذته منذ ذلك الوقت. ولكن بعد انتقالي إلى بيروت اتخذت القرار بالابتعاد عن السلطة كلياً. وحتى الآن أنا سعيد بذلك القرار الذي اتخذته وغير نادم عليه. وهو قراري لما تبقى من حياتي. وأعتقد أن المثقف العربي، وبعضهم على الأقل، يستطيعون أن يكونوا أكثر استقلالية في آرائهم، وأن يقدموا نصائح وأفكاراً أكثر موضوعية من خلال ابتعادهم عن السلطة. والآن دعنا نأتي إلى مركز دراسات الوحدة العربية.

مركز دراسات الوحدة العربية: ظروف النشأة

■ ***في الفترة التي عملت فيها في المركز جاء وزراء كثيرون في العراق وذهبوا. ولكن الآن نحن نتكلم عن مؤسسة عربية عريقة جداً. هل لك أن تحدثنا عن ظروف النشأة؟***

حسيب: في عام ١٩٧٤ صادف وجود عدد من الأخوة من أقطار عربية مختلفة: د. سعدون حمادي، د. بشير الداعوق، أ. برهان دجاني، د. وليد الخالدي، د. يوسف صايغ.. وكنا كلنا بعد هزيمة ١٩٦٧ نفكر لماذا حدث ما حدث؟ ولماذا فشلت تجربة وحدة «الجمهورية العربية المتحدة» ولم يتقدم العمل الوحدوي العربي الرسمي؟ ووصلنا إلى نتيجة أن أحد أسباب الهزيمة وانتكاس الوحدة والعمل الوحدوي السياسي الرسمي هو أن العمل السياسي الوحدوي لم يرافقه فكر وحدوي يدعم هذه الحركة إلى الأمام ويطورها. وبالتالي وصلنا إلى أن هناك حاجة لعمل فكري وحدوي حتى يقتنع الناس بقضية الوحدة ليس عاطفياً فقط وإنما فكرياً أيضاً وبناءً على مصلحتهم، حيث الوحدة غاية ووسيلة في الوقت نفسه. ولذلك قررنا أن نؤسس مركز دراسات للوحدة العربية غير تابع لأية حكومة أو أي حزب، ويكون له مجلس أمناء من أقطار عربية مختلفة، وأن نقبل التبّرعات من أية جهة مستعدة لأن تقدمها ولكن دون أن تطلب شروطاً. وقمنا باتصالات أولية مع عدد من الإخوان في مصر وفي سائر الأقطار العربية. كان لدينا اتصال بالأخوة الأخضر الإبراهيمي (الجزائر)، ومحمد الميلي (الجزائر)، ومصطفى الفيلالي (تونس) وآخرين. وتشكل مجلس أمناء من خمس وثلاثين شخصية من أقطار عربية مختلفة.

وأعلنّا في آذار/ مارس ١٩٧٥ عن قيام مركز دراسات الوحدة العربية. ولم يكن لدينا غير الفكرة والإرادة، وهذا هو «نيشان» تجربة المركز، والمثال على أن الإنسان إذا

توفرت لديه الإرادة يمكن أن يصنع المعجزات.

■ ***تأَسَّسَ في بيروت التي كانت عاصمة حرة وفيها حيوية فكرية.***

حسيب: وبعدها بشهر بدأت الحرب الأهلية، فعقدنا الاجتماع التأسيسي في الكويت في كانون الثاني/ يناير ١٩٧٦، وصادقنا على النظام الأساسي والداخلي للمركز، وانتخبنا لجنة تنفيذية، واخترنا الدكتور عبد الله عبد الدائم مديراً عاماً للمركز. ولعدم إمكانية بدء العمل في لبنان، قررنا أن نفتح مكتباً مؤقتاً في الكويت إلى أن تتحسن الأوضاع في بيروت، فنعود إليها.

كان الاعتقاد في ذلك الوقت أن الحرب مؤقتة ستستمر فقط لعدة شهور وفعلاً استأجرنا مكتباً وأثثناه وسمَّينا مديراً مؤقتاً له الأخ محمد الخولي. لكن سوء الحظ لاحقنا إلى الكويت. ففي سنة ١٩٧٦ تم تعليق الدستور في الكويت، ولم يكن ممكناً فتح حساب في البنك ولا صندوق بريد. فبقينا سنة كاملة بدون أي عمل. فأخذنا قراراً بالعودة إلى بيروت. عدنا وبدأنا العمل في ١/ ١/ ١٩٧٨. ولنا حتى الآن ٢٤ سنة. وكنا قد بدأنا من الصفر. واستأجرنا مقراً وأثثناه. ثم صدرت مجلة المركز **المستقبل العربي** في ١/ ٥/ ١٩٧٨. وكانت تصدر مرة كل شهرين، ومنذ ١/ ١/ ١٩٨٠ أصبحت شهرية ولا تزال شهرية حتى الآن. وكانت خلال ما يسمى «الحرب الأهلية» في لبنان إحدى العلامات على أن لبنان لا يزال على قيد الحياة. فقد كان المطار مغلقاً وكنا نبعث بالمجلة إما إلى عمَّان أو إلى قبرص أو إلى دمشق براً، ومن هناك نشحنها جواً. وكان المشتركون يستلمون الأعداد بشكل منتظم. مجلة **المستقبل العربي** حتى الآن صدر وبيع منها حوالى مليونيْ نسخة. ثم بدأنا بإصدار الكتب.

وقد تلقى الدكتور عبد الله عبد الدائم عرضاً من اليونسكو للعمل فيها، فكُلِّفتُ بالقيام بالعمل كمدير عام بالوكالة بالإضافة إلى عملي في الأمم المتحدة. وكنا حاولنا مع أخوين آخرين، هما المرحوم الدكتور لبيب شقير، والدكتور يحيى الجمل للعمل كمدير عام للمركز. وقد وافق د. لبيب شقير (رحمه الله) ونظمنا له حفل استقبال في القاهرة، ولكنه تلقى عرضاً من صندوق النقد العربي فقبل العرض هناك وتركنا. وفي أوائل الثمانينيات انتقلت منظمة الأمم المتحدة إلى بغداد، فاستقلت منها، وتفرغت كلياً للعمل في مركز دراسات الوحدة العربية.

■ ***في ذلك الوقت كان لديكم بناية خاصة بالمركز.***

حسيب: كنا مستأجرين طابقاً كاملاً من شقتين، وبدأنا في إصدار الكتب، وبدأنا من الصفر كما قلت، ولم تكن لدينا خبرة في الموضوع. وإضافة إلى المجلة التي

تحدثت عنها، أصدرنا حتى الآن ٤٠٠ دراسة[٢]، وتمثل كتبنا المنشورة مكتبة عن الوطن العربي بجميع أوجهها. ومن هذه الـ ٤٠٠ كتاب بعنا حتى الآن أكثر من مليون نسخة. ومقاييس النضال عندنا كانت إدخال مطبوعات المركز إلى أكبر عدد ممكن من الأقطار العربية.

■ *تحايل على الرقابة.*

حسيب: يكاد يكون لكل بلد عربي قصة معنا في هذا الأمر. والحمد لله الآن مطبوعاتنا تدخل إلى كل البلدان العربية ما عدا كتاباً يمنع هنا أو آخر يمنع هناك أو عدد مجلة يُمنع هنا أو آخر يمنع هناك. لكن من باب الإنصاف، وبعد أن تأكد للحكومات العربية أن المركز مستقل وغير تابع لأية جهة، باتت تعاملنا معاملة تفضيلية عموماً سواء السعودية أو سوريا أو غيرهما. فإذا حَصَل وكان في مقالة أو عدد من المجلة صفحة ليسوا راضين عنها لا يمنعون العدد كله بل ينزعون تلك الصفحة.

■ *وهذا لا بأس به.*

حسيب: إضافة إلى الكتب والمجلة، نحن نعقد ندوات كبيرة سنوياً، وأحياناً أكثر من ندوة في السنة. وحتى الآن نظمنا خمساً وثلاثين ندوة كبيرة إضافة إلى ندوات صغيرة يشارك فيها بين عشرة إلى خمسة عشر مشاركاً، أو ندوة حول موضوع معين من أربعة أو خمسة أو سبعة أشخاص. والآن نركز على عقد حلقات نقاشية حول موضوع معين مهم وساخن. ونعد أوراق عمل تكون مادة خلفية للمناقشة، على أن تقترح المناقشة رؤى وتصورات مستقبلية وعملية. والحلقات النقاشية تكون مغلقة، كما يتنوع المشاركون فيها من حلقة إلى أخرى تبعاً لطبيعة الموضوع واختصاص المشاركين. ثم تنشر ورقة العمل مع المناقشات في المجلة، أو في كتاب مستقل إذا كان الحجم يسمح بذلك.

كذلك ندعو عدداً من المحاضرين لإلقاء عروض فكرية في لبنان. ولقد كانت أول ندوة عقدناها في بيروت بعد نهاية الحرب الأهلية هي ندوة «لبنان وآفاق المستقبل» في العام ١٩٩٠. ولأول مرة منذ خمسة عشر عاماً يأتي باحثون لبنانيون مما كان يسمى بالمنطقة الشرقية إلى ما كان يسمى بالمنطقة الغربية ليشاركوا في هذه الندوة التي انعقدت في فندق البريستول. وعلى مدى سنة، عقدنا حلقات نقاشية شهرية تناول بعضُها قضايا تخص لبنان، وشارك فيها لبنانيون من كل التوجهات، وحصل بينهم تفاعل كبير.

---

(٢) كان ذلك عند إجراء المقابلة، أما عدد الكتب المنشورة حتى الآن (منتصف عام ٢٠٠٤) فقد وصلت إلى ما يزيد على ٤٧٠ دراسة منشورة.

■ ***لم تتعرض في لبنان للمضايقة بعد كل هذا؟***

حسيب: حتى يحافظ المركز على استقلاليته، وحتى يبتعد عن المشاكل اللبنانية الداخلية، فرضت على نفسي عزلة شديدة، وابتعدتُ عن كل أطراف الصراع. وكان ذلك حتى مع الفلسطينيين. مثلاً أنا أعرف «أبو عمار» منذ عام ١٩٦٥ على ما أذكر وقبل أن يُعْلَن عن قيام حركة «فتح»، حيث التقيت به في منزل الدكتور طاهر كنعان في بيروت. وطوال وجودي في بيروت، لم ألتق به أبداً لكي لا أكون طرفاً في الصراع. هكذا حافظنا على استقلالية المركز، حيث تمثل هذه الاستقلالية أهم ما يملكه المركز.

■ ***والنزاع السوري ــ العراقي، ألم يؤثر عليك في لبنان؟***

حسيب: لي علاقة شخصية بالمرحوم الرئيس حافظ الأسد. وكان دوري دور التقريب ما بين الموقفين السوري والعراقي قدر الإمكان. وهذه قصة طويلة ليس هنا مجال سردها.

■ ***حينما تتحدث عن ملايين النسخ التي تباع من المجلة والأربعمائة كتاب والندوات، فإننا نعرف أنها تُكَوِّن مصدراً من مصادر الدخل ومصدر سرور للقائمين على المشروع. الآن، كيف كان أثر المركز في الحياة العربية، ما المقياس الذي تقيسون به نجاحكم في أداء رسالتكم في الوطن العربي؟***

حسيب: في الغرب، في أمريكا بشكل خاص وفي بريطانيا، عندما يقيمون تأثير أي كتاب، يُحصُون كم مرة يشار فيها إلى هذا الكتاب أو ذاك في كتب أو أبحاث تصدر في ما بعد. وللأسف لا يوجد لدينا مثل هذا المعيار أو هذه الطريقة لصعوبة تطبيقها. لقد قام المركز من خلال الندوات، بدور مهم في تحقيق التلاقي والتفاعل ما بين المفكرين والمثقفين في المغرب العربي وفي المشرق العربي. كما كان من مقاييس النضال لدينا أن نُدخل مطبوعات المركز إلى كل بلد عربي لم تكن تدخل إليه سابقاً، ثم أن نتمكن من إشراك باحثين من تلك البلدان. وقد ساهم في نشاط المركز وفعالياته باحثون ومفكرون من المغرب العربي والخليج العربي إضافة إلى المشرق العربي ووادي النيل. وأول ما استطعنا اختراقه من بلدان المغرب العربي كانت تونس، وبمساعدة من الأخوين الطاهر لبيب وعبد العزيز عاشوري.

■ ***الطاهر الآن في بيروت.***

حسيب: في المنظمة العربية للترجمة ويشغل منصب مديرها العام. ومن ثم انتقلنا إلى المغرب والجزائر وغيرهما والحمد لله الآن المساهمات من الإخوان في المغرب

العربي مساهمات كبيرة، وبعضهم قُدِّمَ عربيّاً من خلال المركز: مجلَّةً وكتباً وندوات.

■ ***في المشرق العربي كنتم تعملون فقط في نطاق مصر ولبنان وسوريا، لكن أيضاً، وإلى حدّ، الخليج واليمن.***

حسيب: في ندوات المركز يلتقي باحثون ومثقفون من جميع الأقطار العربية، ويلتقي فيها من بعض البلدان العربية مفكرون لا يلتقون مع بعضهم في بلادهم. وهذا ما سمح بتواصلٍ أكبر. ومثلما قلت لك، المركز يعتبر استقلاليته أساس عمله وأساس وجوده وعلى قاعدة العمل بصيغة «**الخبز مع الكرامة**». نحن في أول سنوات التأسيس (ثلاث أو أربع سنوات)، ومن خلال أعضاء مجلس الأمناء، حصلنا على تبرعات من بعض الحكومات العربية. حصل المرحوم عبد الله الطريقي (عضو مجلس أمناء المركز) على تبرع بنصف مليون دولار من الكويت. ونجح الأخ أحمد السويدي من الإمارات (عضو مجلس الأمناء) في أن يجمع على دفعات ما يعادل نصف مليون دولار أو أكثر. فضلاً عن مبالغ أخرى بـ: ١٥٠ ألف دولار من ليبيا، و١٠٠ ألف من قطر، و٥٠ ألفاً من البحرين، و١٥٠ ألفاً من العراق في وقت متأخر. وبلغ مجموع المساعدات التي حصلنا عليها من البلاد العربية أقل من مليونيْ دولار خلال الأربع والعشرين سنة الماضية. وهي توقفت منذ سنة ١٩٨٠ وحتى الآن.

■ ***من سنة ١٩٨٠ وحتى الآن!***

حسيب: لم نطلب.. ولم يصلنا قرش واحد، ما عدا تبرّعاً من الشيخ سلطان القاسمي حاكم إمارة الشارقة بمبلغ ٣٠٠ ألف دولار بعد أن اطلع على مقالة نشرها د. عبد الإله بلقزيز في جريدة **الخليج** عن مركز دراسات الوحدة العربية، وأشار في خاتمتها إلى ضائقة المركز المالية واحتمال إغلاقه إن استمرت أوضاع الاختناق المالي.

من البداية قررنا أن نعتمد بشكل متزايد على دخل مطبوعاتنا. نحن نسوِّق كتبنا والمجلة، ولدينا وكلاء في كل الأقطار العربية. ووصلنا في مراحل إلى درجة أن عائدات المطبوعات تمول حوالى ٦٠ بالمئة من مصاريفنا. أما الآن، فتمول حوالى النصف. وأسسنا صندوقاً ماليّاً لدعم موارد المركز. وضعنا صيغاً مختلفة: صيغة «عضو مؤازر» يستلم جميع مطبوعات المركز وله الحق في أن يحضر كل ندوات المركز كمراقب وله الحق في أن يقدم مقترحات إلى المركز حول شؤون المركز، ونرسل له سنوياً تقريراً عن وضع المركز. وهذه الصيغة مقابل مبلغ خمسة آلاف دولار لمدى الحياة أو ألف دولار سنوياً. وهناك صيغة أخرى نسميها صيغة «عضو مشترك» في مطبوعات المركز ونرسل له المطبوعات فيدفع إما ثلاثة آلاف دولار لمدى الحياة أو خمسمائة دولار سنوياً. بدأنا هذا الترتيب منذ خمس سنوات تقريباً. الآن تحصَّل لنا من مساهمات

المشتركين المؤازرين والمشتركين مدى الحياة حوالى نصف مليون دولار. ودخلها هو لدفع ثمن المطبوعات التي ترسل لهؤلاء الأشخاص.

ثم أسسنا وقفية لعبد الناصر بتبرُّعٍ من أحد الإخوان في الجزيرة العربية بمليون دولار، ارتأى تواضُعاً عدم ذكر اسمه.

■ *دراسات خاصة بعبد الناصر.*

حسيب: حول الموضوعات التي تتضمن اهتمامات ثورة يوليو وهي واسعة كالوحدة العربية والاستقلال الوطني والقومي والتنمية... إلخ. واستحدثنا من الوقفية «جائزة جمال عبد الناصر» قيمتها خمسون ألف دولار. حصل على الجائزة الأولى الأستاذ محمد حسنين هيكل تبرع بها للمركز، وعلى الجائزة الثانية الأخ جاسم القطامي من الكويت وتبرّع بها للمنظمة العربية لحقوق الإنسان. ثم أسسنا وقفية ثانية للمرحوم عبد الله الطريقي بالطريقة نفسها. جمعنا منها حتى الآن ٦٠٠ ألف دولار، ولا نزال نطمح في أن نصل بها إلى المليون دولار.

■ *هل هناك قسم مالي للمركز يتابع هذه الأمور؟*

حسيب: طبعاً هناك. وبدأنا الآن في تأسيس وقفية للمرحوم برهان الدجاني.

وللأسف الشديد نشاط المركز توسع كثيراً والمصروفات زادت. وفي السنتين الأخيرتين كان لدينا عجز كبير: بلغ في سنة ٢٠٠٠ حوالى ٥٣٩ ألف دولار؛ وبلغ في سنة ٢٠٠١ ٦٣٣ ألف دولار، مما اضطرَّنَا إلى أن نسحب مبالغ من صندوق الدعم المالي. وإذا ما استمر الوضع المالي على ما هو عليه، فإن ما لدينا لن يكفي سوى لسنة واحدة. وقد اضطررنا لبيع مكتب المركز في لندن. وقد يعطينا هذا نفساً لمدة سنتين. ونأمل خلالها أن نجد طرقاً لحل هذه المشكلة الخانقة.

المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي

■ ***ربما كان سعر دبابة عربية واحدة لا تقاتل كافياً لحلّ عجز المركز المالي. بعد أن تحدثنا عن العراق والانتقال إلى لبنان وتأسيس المركز، سنتحدث الآن عن أفكار أخرى للمركز علاقة بها مثل المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي والمنظمة العربية لحقوق الإنسان والمنظمة العربية للترجمة، وسنأخذ في النهاية بعض المكالمات والأسئلة من بعض السادة المشاهدين، ونريد أن ننتقل الآن إلى المؤتمر القومي العربي. كيف تأسس وما علاقته بعملكم؟***

حسيب: فكرة المؤتمر نشأت سنة ١٩٨٩ تحت القصف خلال ما سمي محلياً بـ «حرب التحرير»، حيث كان العماد ميشال عون يقصف على مواقع في ما كان

يسمى بيروت الغربية حيث يوجَد سَكَني وبكثافة نيران شديدة. وقد أصيبت شقتي في المنارة ببيروت مما اضطرني إلى الانتقال إلى فندق الكافالييه حيث لديه ملجأ آمن تحت الأرض. وأمام شدة القصف، لم يكن لدينا إلا أن نفكر. لاحظت أن عمل المركز لا يكفي وحده، ولا بد من أنشطة تدعم هذا العمل. ولاحظت أن الأمة العربية فقدت أية مرجعية قومية، بعد أن كان عبد الناصر يمثل مرجعية إلى حد كبير، في الخمسينيات والستينيات. أي حين كان «صوت العرب» يبلِّغ رسالة قومية إلى كل مواطن عربي، وحين كنا نضبط أوقاتنا على نشراته الإخبارية كي نعرف ما هو الموقف القومي في هذه المسألة أو تلك (وأنا اليوم لا أفتح محطات القاهرة إلا إذا مررت عليها صدفة وأنا أبحث عن محطة ما). الآن لم يعد هناك مرجعية، ولم تستطع دولة عربية أو مجموعة دول عربية أن تمثل تلك المرجعية. في الوقت نفسه، أثبتت صيغة العمل الحزبي أنها لم تكن إيجابية دائماً. لذلك فكرت في صيغة لتجمع فكري سياسي أسميناه «المؤتمر القومي العربي»، لا يهدف إلى أن يكون حزباً ولا يسعى إلى السلطة، ويكون مفتوحاً لكل من يؤمن بالعناصر الستة للمشروع الحضاري العربي التي هي: الوحدة، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، والتنمية المستقلة، والاستقلال الوطني والقومي، والتجدد الحضاري. ووصلت كذلك إلى استنتاج أن كل القوالب القديمة لم تعد تصلح، وإن كانت لها ظروف ومبررات تاريخية، أما التقسيمات إلى ناصري وبعثي وشيوعي وماركسي وقومي عربي إلخ، فلم تعد تعني شيئاً. وهكذا فتحنا باب المؤتمر لكل شخص يؤمن بالعناصر الستة للمشروع الحضاري العربي. ولذلك عندنا إسلاميون، يساريون وآخرون من كل الأطراف. وعقدنا أول اجتماع تأسيسي في تونس في نيسان/ أبريل ١٩٩٠.

■ ***قبل حرب الخليج.***

حسيب: نعم، وتم وضع تصور للمؤتمر. ولسوء الحظ حدثت في آب/ أغسطس حرب الخليج الثانية؛ فاجتمعنا في الأردن في نيسان/ أبريل ١٩٩١ وتم إقرار النظام الأساسي والداخلي، وتم انتخاب أمانة عامة وأُنتخبت أميناً عاماً للمؤتمر. وتألفت الأمانة العامة من خمسة وعشرين عضواً، وأُقّر حقّ إضافة خمسة آخرين إليها. وبدأنا بالعمل؛ وبدأت تدريجياً فكرة المؤتمر تترسخ، حيث كان كثيرون يعتقدون أنه حزب، وأن لديه خطة غير معلنة وغير ذلك. لكن هذه المخاوف زالت الآن وكل الأنظمة العربية الآن تعرف أن هذا تيار فكري سياسي، ولا يريد إلا أن يسعى ليكون مرجعية قومية شعبية. عقدنا مؤتمرات في تونس، في الأردن، في بيروت، في المغرب، في الجزائر، في مصر. وفي البحرين عقد آخر مؤتمر في نيسان/ أبريل من هذا العام، وهو كان أكبر مؤتمر حيث حضره أكثر من ٢٠٠ عضو. عضوية المؤتمر الآن تجاوزت الـ ٥٠٠ شخصية ممثَّلة بصفتها الفردية.

■ ***أتدفعون لهم تذاكر السفر؟***

حسيب: لا كلهم يتحملون نفقات سفرهم لأنه لا يوجد لدينا تمويل للمؤتمر. ونحن نحاول أن نؤسس وقفية للمؤتمر. ومن خلال أعضاء المؤتمر جمعنا ٨٠ ألف دولار؛ ومؤخراً، أثناء وجودي في لندن، حصلنا على تبرع بـ ٢٠ ألفاً، ونحاول تدريجياً أن نزيد الوقفية إلى أن تصل إلى مليون دولار، والتي مع الاشتراكات السنوية التي لدينا وهي حوالى ٤٠ إلى ٥٠ ألف دولار تكفي الحد الأدنى من نفقات عقد المؤتمر.

■ ***المؤتمر يعقد سنوياً إذاً.***

حسيب: المؤتمر سنوي وكل ثلاث سنوات يتم انتخاب أمين عام وأمانة عامة.

■ ***أمينه العام الحالي. . من هو؟***

حسيب: الأمين العام الحالي هو الأخ ضياء الدين داوود، وقبله كان الأخ عبد الحميد مهري وقبله أنا. نحن حاولنا أن يكون المؤتمر القومي نموذجاً للديمقراطية ومنها تداول المسؤولية، فعملنا على أن لا يتم التجديد للأمين العام إلا مرة واحدة. وأنا حتى قبل انتهاء الفترة الثانية من مسؤوليتي، ونتيجة لبعض التناقض بين عملي في المركز وعملي في المؤتمر فضلت التفرغ للمركز وجاء الأخ عبد الحميد مهري بعدي. أما الأخ ضياء الدين داوود، فتنتهي مهمته في السنة القادمة. وستكون هناك انتخابات لأمين عام جديد وأمانة عامة جديدة. كما أننا نقوم كل سنة، وأثناء الاجتماع السنوي للمؤتمر، بإجراء تقييم نقدي للمؤتمر. وفي المؤتمر الأخير، قدمت تقييماً نقدياً وكان من ضمن مقترحاته إعطاء فرصة للأجيال الجديدة لتتدرب وتأخذ فرصة وتأخذ مسؤوليات. ولدينا في المؤتمر أعضاء من ثلاثة أجيال، والحد الأدنى للعمر في العضوية هو ٣٠. فعندنا جيل ٣٠ ــ ٤٥، وجيل ٤٥ ــ ٦٠، وجيل ٦٠ وما فوق.

■ ***لكن لم تكفكم فكرة المؤتمر القومي العربي، وبعدها بفترة وجيزة جاءت فكرة المؤتمر القومي ــ الإسلامي.***

حسيب: عندما تأسس مركز دراسات الوحدة العربية، وقبل اندلاع الثورة الإيرانية في أول ١٩٧٩، كانت أول ندوة عَقَدَها المركز هي «القومية العربية والإسلام» لإزالة أي غموض أو أي لبس في ما يتعلق بالصلة بين القومية العربية والإسلام، لأن المحتوى الأساسي للقومية العربية هو محتوى حضاري إسلامي. كانت هذه الندوة واحدة من أهم ندوات المركز. وبعدها في عام ١٩٨٥ أقدمنا على إطلاق مشروع كبير هو «استشراف مستقبل الوطن العربي» خلال الثلاثين سنة القادمة أي إلى

عام ٢٠١٥. وبعد إنجاز هذا المشروع، عقدت ندوة لمناقشة نتائجه في تونس في عام ١٩٨٧، وكانت ندوة كبيرة شارك فيها أكثر من ١٠٠ مشارك.

وقد انتهى المشروع ــ الذي تبنى ثلاثة مشاهد (سيناريوهات): التجزئة، والتعاون الإقليمي أو الوظيفي، والوحدة الفدرالية ــ إلى أن هناك حاجة إلى مشروع حضاري عربي وإلى التفاعل مع كل التيارات الرئيسية الموجودة.

■ ***أظن بأن هذا هو الكتاب؟***

حسيب: هذا كتاب **مستقبل الأمة العربية: التحديات والخيارات** وهو صدر بالعربية والإنكليزية. وهو مجرّد التقرير العام للمشروع والذي صدرت دراساته التفصيلية في عدة كتب عن المركز.

■ ***من يرغب في أن يشتريه يتصل بكم طبعاً في المركز.***

حسيب: الكتاب موجود في الأسواق. ولكن لمن يرغب في طريقة أخرى، هناك موقع للمركز على الانترنت يستطيع أن يشتريه مباشرة من الموقع، وهو http://www.caus.org.lb.

■ ***نعود إلى سؤالنا الذي كان عن موضوع المؤتمر القومي ــ الإسلامي.***

حسيب: منذ تأسيسه، كان **المركز** مهتماً بهذا الجانب. ونتيجة لمشروع الاستشراف، انعقد حوار بين القوميين والإسلاميين في عام ١٩٨٩ في ندوة «الحوار القومي الديني» في القاهرة. وكانت أيضاً من أهم الندوات من حيث التأثيرات الثقافية والسياسية؛ حيث نوقشت فيها كل الأمور. ولأول مرة أقدم القوميون والإسلاميون على ممارسة نقدٍ ذاتي. وكانت نتائجها هائلة. وفي ضوء نتائج هذه الندوة، وبعد أن تأسس المؤتمر القومي العربي، طرحنا فكرة إنشاء مؤتمر قومي ـ إسلامي، وتم الاتفاق عليه، وكُلفت بالاتصال لهذا الغرض، فأخذت العملية وقتاً للاتصال بكل الساحات وكل التيارات سواءً القومية أو الإسلامية. وتم إنشاؤهُ في سنة ١٩٩٤ وعُقِد أول مؤتمر له في السنة نفسها. كما جرى الاتفاق على برنامج عمل مشترك سياسي وفكري فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، والوحدة العربية، والموقف من أمريكا، والديمقراطية والتعددية السياسية وبرنامج عملي للقاءات وحوارات ونشاط مشترك إلخ. وفي المؤتمر الأول كان يمكنك أن تفرق بين من هو إسلامي ومن هو قومي من خلال خطابه. وتأكد ومن دون مبالغة أن ذلك لم يعد ممكناً في المؤتمر الثاني لأنه حصل تقدم كبير في الحوار والانسجام. وأكثر بلد تم فيه هذا التفاعل هو لبنان. وأنت تعرف أنه في لبنان أثناء الحرب الأهلية كان يُكتَبُ على بعض الحيطان في شارع الحمراء: لا للعروبة لا

للصهيونية! .. إلخ. الساحة التي لا تزال مستعصية بسبب خلافات داخلية محلية هي ساحة الكويت. ويحاول كل من الأمين العام للمؤتمر القومي العربي والمنسق العام للمؤتمر القومي – الإسلامي إيجاد صيغة للعمل المشترك بين المؤسستين.

■ ***من هو منسق المؤتمر القومي ـ الإسلامي: هل هو من اليمن؟***

حسيب: المنسق الأول كان د. أحمد صدقي الدجاني من فلسطين، وبعده ـ الآن ـ الأخ الدكتور محمد عبد الملك المتوكل من اليمن.

■ ***هل سيظل هو المنسق؟***

حسيب: في المؤتمر القادم سيكون هناك منسق آخر.

■ ***في أي فترة من المتوقع سيعقد المؤتمر القادم؟***

حسيب: ستحدد ذلك لجنة المتابعة في المؤتمر.

■ ***ألا توجد هناك صعوبات دخول بعض الأعضاء من الإسلاميين مثلاً إلى بعض البلدان التي ينعقد فيها المؤتمر؟***

حسيب: ربما، ولكن إذا ضاقت بنا الحيلة يبقى لبنان الملجأ.

المنظمة العربية لحقوق الإنسان والمنظمة العربية للترجمة

■ ***ساحة حرة، هذا يردنا إلى موضوع الحرية وحقوق الإنسان، وكان لكم يد أيضاً في تأسيس المنظمة العربية لحقوق الإنسان.***

حسيب: نحن في المركز، وفي غياب العمل الوحدوي الرسمي، كنا مهتمين بإنشاء بنى تحتية وحدوية. وموضوع حقوق الإنسان كان رئيسياً في برنامج عملنا. ولذلك عقدنا ندوة شهيرة بعنوان «أزمة الديمقراطية في الوطن العربي» سنة ١٩٨٣. لم نستطع أن نعقدها في أي بلد عربي، فعقدناها في ليماسول في قبرص. وبعد انتهاء الندوة عقدنا مؤتمراً تأسيسيّاً لإنشاء المنظمة العربية لحقوق الإنسان، وتمت المصادقة على نظامها الأساسي وانتخاب مجلس أمناء لها. وبعد ذلك أصبحت مستقلة، ومقرها الآن في القاهرة وتقوم بدور مهم في رصد أوضاع حقوق الإنسان في الوطن العربي، وفي محاولة بناء رأي عام مناهض لسياسة انتهاك حقوق الإنسان في البلدان العربية.

■ ***الأمين العام الآن هو الأستاذ محمد فائق.***

حسيب: أمينها العام هو الأخ الأستاذ محمد فائق، وفيها مجلس أمناء، وتصدر

سنوياً تقريراً عن حقوق الإنسان في الوطن العربي. ويوجد فيه قسم عام وقسم عن كل بلد عربي وعن انتهاكات لحقوق الإنسان التي تحدث فيه. كما تصدر نشرة شهرية كذلك. وأية حالة تصلهم عن انتهاكات حقوق الإنسان في أي بلد عربي، يتصلون بالحكومة المعنية بها ويسألون عن ذلك الانتهاك، وإذا لم يحصلوا على جواب أو كان الجواب غير مرضٍ يعلنون عنها في نشرتهم الشهرية ثم السنوية في ما بعد.

■ ***هل لكم صلة أيضاً بالمنظمة العربية للترجمة؟***

حسيب: نحن في المؤتمر القومي العربي، وضعنا استراتيجية وخطة عمل قومية في التسعينيات. ومن بعض تلك الطموحات في الخطة كانت فكرة إنشاء «منظمة عربية للترجمة»، و«جمعيات عربية مهنية». بعض الجمعيات العربية المهنية أنشأناه من قبل: جمعية عربية للعلوم السياسية، وجمعية عربية لعلم الاجتماع، وجمعية عربية للبحوث الاقتصادية، ثم في ما بعد أنشأت الجمعية العربية للفلسفة. وقد أصبحت جمعيات مستقلة. وكانت المشكلة هي كيف تمول هذه الجمعيات، لأنه إذا لم تكن مستقلة في تمويلها، فستتدخل فيها الحكومات. فقمنا بإنشاء «مؤسسة ثقافية عربية» لتمويل هذه الجمعيات بما فيها المركز. وتم جمع مليونيْ دولار كوقفية لها، وهي مستقلة عن المركز، ولها مجلس إدارة يجتمع سنوياً، وفي ضوء الدخل المتحصل سنويّاً من الوقفية يجري توزيع الدعم على المؤسسات الثقافية المختلفة. ويُأخذ بنظر الاعتبار نشاطها في السنة الماضية والسنة اللاحقة ووضعها المالي.

■ ***من يشرف عليها، هل المركز مثلاً؟***

حسيب: أنا بصفة شخصية، عضو مجلس أمناء وعضو مجلس إدارة فيها، ومعنا الأخ عبد المحسن قطان والأخ جاسم القطامي والدكتور أحمد يوسف أحمد والدكتور فادي مغيزل.

■ ***تشرف على هذه الجمعيات كلها؟***

حسيب: لا تشرف عليها، بل تشرف على تمويلها، نحن لا نتدخل في شؤون الجمعيات الأخرى. وجزء من خطة العمل القومي هو إنشاء منظمة عربية للترجمة. الترجمة مهمة كثيراً في أي مجتمع أو حضارة. الحضارة العربية ــ الإسلامية، في زمن العباسيين، بدأت بالترجمة. وبعد الترجمة، وأثناءَها، جرت عملية الهضم ثم الإبداع. قمنا في المركز بإجراء دراسات مَسْحِيَّة عن حالة الترجمة في البلاد العربية، وبعدها دراسة جدوى أولية، وعقدنا ندوة لمناقشة الموضوع، ثم أنشأنا المنظمة العربية للترجمة وهي مستقلة الآن. وجمعنا لها وقفية بقيمة مليون دولار ونسعى الآن لجمع مليون

دولار آخر. وحسب دراسة الجدوى الأولية تحتاج إلى وقفية بمبلغ خمسة ملايين دولار. وقبل آخر السنة ستبدأ في نشر عدد من الكتب التي ترجمتها. وهي مستقلة الآن.

■ ***من مديرها العام؟***

حسيب: مديرها العام حالياً هو الأخ الدكتور الطاهر لبيب من تونس، وأنا رئيس مجلس الأمناء. وقد حصل مركز دراسات الوحدة العربية والمنظمة العربية للترجمة قبل سنتين على صفة منظمة دولية غير حكومية، أي لها صفة دبلوماسية وحصانة دبلوماسية، حيث صدر مرسوم خاص من الحكومة اللبنانية لكل واحدة منهما.

■ ***في هذه الأعمال والمبادرات التي لها نوعية كلها، المؤتمر القومي العربي، المؤتمر القومي ـ الإسلامي، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، هذه الجمعيات الثقافية والفكرية الممتازة، هل هناك أي حكومة عربية تميزت عن غيرها من الحكومات بإبداء تفهم وتقدير وتشجيع لهذا العمل؟ هناك حكومات مهتمة بعض الشيء بالفكر والثقافة.***

حسيب: إذا كَفُونَا شرَّهم فهذا يكفي.

■ ***المؤتمر القومي العربي قبل الأخير انعقد في العراق في بغداد، وأنت حضرت هذا المؤتمر، هل هذه كانت أول مرة تعود فيها إلى بغداد بعد خروجك من العراق؟***

حسيب: لا، أنا عدت إلى العراق عدة مرات. رجعت مرة في عام ١٩٧٦، حيث كان عندنا مؤتمر إقليمي عن المياه. وفي عام ١٩٨٤ كان هناك اجتماع لمجلس أمناء المركز دعا الدكتور سعدون حمادي إلى عقده في بغداد. وفي عام ١٩٩١ وجه لي الرئيس صدام حسين دعوة لزيارة بغداد ومقابلته لبحث بعض الأمور، ثم كرر الدعوة مرة ثانية وذهبت في أواخر تموز/ يوليو ١٩٩١ إلى بغداد لمدة أسبوع أو عشرة أيام والتقيت به.

■ ***هل قابلته في المرة الأخيرة خلال المؤتمر القومي العربي؟***

حسيب: نعم، قابلناه. . وفد من خمسة أشخاص من المؤتمر القومي العربي، ومن ثم قابلته على انفراد لفترة قصيرة.

■ ***هل لدى الرئيس العراقي شعور بأن هذه الأعمال التي كنا نتكلم عنها، المركز والمؤتمر والمنظمة، لها صلة بالعراق لأن مواطناً عراقياً أشرف عليها ورعاها؟***

حسيب: بالنسبة إلى المؤتمر القومي العربي، نحن حريصون على أن يعقد في كل

بلد عربي قدر الإمكان، ونطلب من البلد الذي تعقد فيه الدورة أمرين: أولاً أن كل من يدعى إلى المؤتمر يُسْمَحُ له أن يدخل وطبعاً أن يخرج. وثانياً أن تُحتَرم حرية التعبير للمشاركين. وأشهد من باب الحق أنه لم يتدخل أي شخص كان في أعمال المؤتمر القومي العربي الذي عقد في بغداد؛ ولو تدخل لرُفض التدخل. بل تَمَتَّع المؤتمر بحرية كاملة أثناء انعقاده في بغداد مع كرم ضيافة كبير.

الوضع في العراق

■ ***دعنا نتكلم الآن عن العراق، العراق الآن بالنسبة إلى كثيرين من العرب جرح في الضمير العربي، هناك حصار مستمر منذ سنوات طويلة، وهناك احتمال ضربة مختلفة نوعياً هذا العام أو العام المقبل تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. وهناك معارضة عراقية مدعومة من الخارج. ما هو تحليلك للوضع في العراق د. خير الدين؟***

حسيب: أنا لا أريد أن أعود إلى ملف حرب الخليج الثانية. أولاً، النظم العربية كلها غير ديمقراطية، وربما تختلف في درجة عدم ديمقراطيتها. ثانياً، بالنسبة إلى أمريكا، السمات الرئيسية للنظام العراقي لم تتغير خلال العشرين أو الثلاثين سنة الماضية. ومع ذلك، فأمريكا تعاونت مع العراق خلال الثمانينيات وزودته بمعلومات وبأسلحة وقروض إلخ. لماذا يتغير موقف أمريكا من العراق الآن مع أن السمات الرئيسية للنظام هي نفسها حتى اليوم؟ نحن الآن في وضع نستطيع أن نفهم فيه الأمور أكثر من السابق بعدما نشرت المذكرات عن حرب الخليج الثانية. لقد نشر شوارزكوف مذكراته بعد حرب الخليج، وهي في قسمين، قسم عن حرب فييتنام التي شارك فيها، والثانية عن حرب الخليج. يقول ما يلي: في عام ١٩٨٨ عُيِّنَ قائداً للقوات المركزية في أمريكا، وهي ما نسميه نحن بقوات التدخل السريع. وفي عام ١٩٨٩ طُلب منه تقييم الأخطار التي تتعرض لها أمريكا في الشرق الأوسط. ويحكي عن الزيارات التي قام بها إلى الخليج ومصر والسعودية. وعاد في أواخر عام ١٩٨٩، وقدم تقريراً قال فيه، وأنا استعمل تقريباً كلماته، بأن الخطر الأول والرئيسي هو العراق. ولذلك يُلاحظ أنه من أواخر عام ١٩٨٩ وبداية عام ١٩٩٠ بدأ الكلام عن المدفع الكبير، وأوقفوا القروض من بنك التصدير الأمريكي للعراق، وبدأ الإعلام في أمريكا وبريطانيا يحرّض ضد العراق. لماذا تغيير هذا الموقف؟ يقول شوارزكوف إن لدى القوات المركزية تدريباً سنوياً، والتدريب الخاص لسنة ١٩٩٠ لأول مرة يُخطط على أساس أن العدو هو العراق، وليس الاتحاد السوفياتي كما كان الأمر سابقاً.

وبدأ التدريب في تموز/ يوليو ١٩٩٠، وتداخل مع حرب الخليج. وفي مجال التحضير لهذا التدريب، وقبل أن تبدأ حرب الكويت، وُضعت الأهداف التي تقصف وكل التفاصيل الخاصة به. أنا لا أذكر هذا لتبرير غزو الكويت لأن لديَّ موقفاً معلناً في ندوة عقدناها في القاهرة في نيسان/ أبريل ١٩٩١. أنا لا أبرر غزو العراق للكويت، رغم أن الغزو العراقي للكويت كان حلقة في سلسلة حلقات لها ما قبلها وما بعدها، وهي مجموعة أخطاء تم الرد على كل منها بأخطاء وخطايا أكبر منها: استفزاز الكويت للعراق، غزو العراق للكويت، التدخل الأمريكي في السعودية، مؤتمر القمة، الحرب على العراق إلخ. لكن لماذا أرادت أمريكا أن تضرب العراق؟

ما حدث أنه خلال الحرب العراقية - الإيرانية، حيث أمريكا ودول أخرى ساعدت العراق لمصالح خاصة بها، استطاع العراق أن يستفيد من التكنولوجيا التي أمِدَّ بها، وأن يطور بعض الأسلحة التي تشكل نوعاً من الردع لإسرائيل. غير أن أمريكا اعتبرت ذلك غيرَ مقبول استراتيجياً، ويشكل خطراً على إسرائيل وعلى مصالحها، ولذلك كان المطلوب ضرب العراق. وأنا مجدَّداً لا أبرر موضوع غزو العراق للكويت. هذا موضوع آخر وخطأ وفخ وقع فيه العراق وساعد على ضربه باسم الشرعية الدولية ومن خلال تحالف دولي ما كانت الولايات المتحدة لتستطيع تجميعه لولا دخول العراق للكويت.

أريد أن أتحدث عن الوضع الآن، دخلت أمريكا في أفغانستان وقد صمتت لفترة عن العراق، وثبت عدم وجود أي صلة للعراق بموضوع القاعدة والأفغان العرب. لكن إسرائيل تعتبر العراق عدواً رئيسيّاً لأن موقفه ضد التسوية يعرقل مخططاتها. وهي الآن تحاول أن تضغط على أمريكا لدفعها إلى ضرب العراق. ما هي احتمالات ضرب العراق؟ أولاً، بقدر المعلومات المتوفرة، الرئيس بوش الابن، ونتيجة ضغوط إسرائيلية ونتيجة الضغوط من اليمين الأمريكي المتطرف (المحافظون الجدد)، والأصولية المسيحية المتطرفة، واهتمامه بالانتخابات المقبلة حيث يريد أن يجدد، اتخذ قراراً بضرب العراق، لكن كيف ومتى؟ هذا لم يتخذ فيه قرارٌ بعد. المعلومات التي لدي أن الرئيس بوش الابن طلب، في الأسبوع الماضي، من كوندوليزا رايس مسؤولة الأمن القومي أن تجتمع مع رامسفيلد وكولن باول، وأن يرفعوا التوصيات إلى الرئيس بوش حول كيف ومتى يضرب العراق. وكان من المفروض أن يُقدم التقرير في عطلة نهاية الأسبوع الفائت. هل قدِّم، أم لم يتم تقديمه، لا أعرف؟

المعلومات المتوافرة كذلك أنهم لا يستطيعون أن يضربوا العراق الآن قبل أن

ينظر مجلس الأمن الشهر القادم في موضوع النفط مقابل الغذاء. وهناك محاولات من روسيا وحتى من بريطانيا للوصول إلى اتفاق في مجلس الأمن حول المفتشين يحفظ ماء الوجه لأمريكا وللعراق. إذا حصل هذا، وإذا كانت أمريكا مهتمة بالمفتشين فقط وليس بتغيير النظام، فيمكن أن يُعطى مجال لتأخير أو تأجيل الضربة على الأقل. إضافة إلى هذا العامل، فإن تطور الأوضاع في أفغانستان تشير إلى أن الوضع لم يستقر فيها، ونحن نعلم الآن ماذا يحدث. وهناك توقعات أنه خلال الربيع قد يشتد نشاط القاعدة وطالبان. وهناك عامل آخر لا نرحب به وليس لنا سيطرة عليه، هو احتمال أن تقوم القاعدة بعملية أخرى في مكان ما وفي شكل ما. ومن الصعب جداً أن تضرب أمريكا العراق بوجود الوضع الحالي في فلسطين، وحيث الشارع العربي خلال الأسبوعين أو الثلاثة الماضية معبأ. فإذا ضربوا العراق واستعملوا سيناريو استخدام قوات برية، فأعتقد أنه من غير المحتمل أن أي بلد عربي يسمح بمرور قوات برية منه إلى العراق، وإذا ما حصل ذلك فستكون هذه بداية لانهيارات أخرى.

في العدد الأخير من مجلة الـ *Foreign Affairs* التي يصدرها «مجلس العلاقات الخارجية» في أمريكا، هناك مقالة مهمة لعضو في المجلس، يقترح فيها سيناريو (مشهداً) يفند السيناريوهات الأخرى، ويعتقد فيه أنه لتغيير النظام تحتاج أمريكا إلى ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ ألف جندي في العراق. ويعتقد أن الصعوبة ليست فقط في هذا، مع الضحايا الأمريكية التي ستقع، ولكن في ملء الفراغ الذي سيحدث بعد تغيير النظام. أنا شخصياً أعتقد حتى وإن هدأت الانتفاضة، لا سمح الله، فإن أمريكا غير قادرة على تغيير النظام في العراق، وأن يستقر لها المقام هناك. فقد تضرب العراق لأسبوعين أو أربعة أو أكثر وقد تحتل العراق، ولكن في ما يتعلق بالوضع الداخلي في العراق، أعتقد – في حدود المعلومات المتوافرة لدي ــ أن هناك ترتيبات وخططاً وإجراءات قد تجعل أمريكا في وضع صعب وبكلفة بشرية عالية. وحتى إذا ما نجحت في دخول العراق، فسيكون ذلك بمثابة المرحلة الأخيرة في انهيار إمبراطوريتها. أشعر بقدر من التفاؤل إذا قررت أمريكا أن تحتل العراق.

■ ***هل يجوز الحديث الآن عن التقارب العراقي السعودي الكويتي بعد الذي حصل في قمة بيروت؟***

حسيب: أنا أعتقد أن ما حدث كان خطوة مهمة، وكانت مبادرة جيدة جداً من العراق. وأعتقد أنه حصل تقارب بين العراق والسعودية وبين العراق والكويت ولكن مع السعودية ربما أكثر. وإذا استمرت السياسة العراقية الحالية على هذا النحو، أعتقد أننا سنشهد زيادة في التبادل التجاري وتحسين العلاقات.

الرد على المداخلات

■ ***د. حسيب طبعاً أخذنا أكثر الوقت للأسئلة والاستفسار، وذلك على حساب السادة المشاهدين، ومع ذلك إسمح لي أن أتوقف للحظات، ومعنا ضيف عزيز على الهاتف هو المفكر العربي والإسلامي الدكتور محمد عمارة من القاهرة. د. محمد عمارة مرحباً بك.***

د. عمارة: أولاً أحيي الدكتور خير الدين حسيب، وأقول إنه نموذج للإنسان بكل معاني الكلمة، ونموذج للشخصية العربية القومية بمعناها الواسع الأفق، وأن د. خير الدين حسيب مدرسة من المفروض أن يتعلم منها الكثيرون، ليس فقط القوميون وانما أيضاً كل التيارات الفكرية في وطننا العربي والإسلامي. د خير الدين حسيب منظم مدرسة كبيرة تحتاج إلى دراسة وإلى استخلاص الدروس والتعلم منها، بل يمكن أن أقول إن مكانة الأحزاب بعد أن أصابها ما أصابها من التراجع، وجدت خيْرَ عوضٍ عنها في المؤسسات الفكرية والمؤسسات التي تلعب دوراً سياسياً، وإن لم تكن مؤسسات ذات عنوان سياسي، والتي ساهم د. حسيب في إنشائها، ومنها المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ــ الإسلامي، وهما مؤسستان جديرتان بالتقدير للمشروع الذي تحملانه، وللقواعد التي تقومان عليها. إن الدكتور خير الدين حسيب مدرسة تستحق أن يتعلم منها الكثيرون، وأنا أتمنى له دوام الصحة والتوفيق ودوام العطاء والإنجاز. وأتمنى لأحلامه أن تتحقق ولمشروعاته أن تمثل إطاراً جامعاً في تيارات الأصالة لأمتنا العربية والإسلامية.

■ ***شكراً جزيلاً لك د. عمارة على هذه المساهمة الطيبة. شكراً لك مع التحيات والأشواق. طبعاً كلمات جميلة وتستحق أكثر منها د. حسيب. في الحقيقة لا أريد أن أدع مواطناً عربيّاً من الأهواز ينتظر كثيراً هو د. عبد الله مرحباً بك يا دكتور.***

د. عبد الله: السلام عليكم. د. خير الدين، نحن شعب في الأهواز أرجو أن تهتموا بنا ثقافياً وإعلامياً.

■ ***طالما تتحدثون باللسان العربي، فيمكنكم الاستفادة من مطبوعات المركز.***

حسيب: أريد فقط أن أقول له إن المركز يعمل على تحسين العلاقاتِ العربية - الإيرانية، وأعتقد أننا قطعنا شوطاً كبيراً في هذا المجال، وأنه كلما تَحَسَّنَ وضع العلاقات العربية ــ الإيرانية سيتحسن وضع الإخوان العرب في الأهواز.

■ ***ما هي توقعاتك من قراءة المشهد الراهن في فلسطين؟***

حسيب: لاحظنا لأول مرة أن الإدارة الأمريكية والرئيس بوش يطلبان انسحاب

إسرائيل من مناطق السلطة الفلسطينية، ولكن إسرائيل لا تستجيب أو تستجيب جزئياً، والإدارة الأمريكية تتراجع. هل هو تقسيم أدوار؟ هل هو تمثيل؟ أم هو يعني أن أمريكا غير قادرة على إجبار شارون على الانسحاب؟ ما نحتاج إليه هو إدامة الانتفاضة الفلسطينية. من دون الانتفاضة الفلسطينية، ومن دون استمرارها ستكون استراحة المحارب طويلة. أحد الأمور التي تدعونا للتفاؤل هو هذا الموقف الشعبي، هذه الهبة الشعبية العربية التي لم تحدث منذ زمن طويل. وهذه الحملة من التبرعات، وهذا الاستعداد لدعم الانتفاضة، فضلاً عن أن إسرائيل حتى الآن لم تستطع أن تدخل غزة ولا أعتقد، وقد أكون مخطئاً، أنها ستدخل غزة. إذاً تلاحظ أن إسرائيل في نابلس قامت بالقصف، قصفت نابلس وقصفت جنين وهما من معاقل المقاومة. أما غزة فكلها مخيمات ما عدا جزءاً قليلاً، والأغلبية الساحقة من مقاتليها راديكاليون. وفي حدود معلوماتي فإن المقاومة في غزة تملك أسلحة لم تكن متوفرة لدى المقاومة في الضفة الغربية، مثل سلاح آر. بي. جي. المضاد للدبابات؛ وهم حطموا ثلاث دبابات. ولذلك أعتقد أن الانتفاضة لن تتأخر كثيراً قبل أن تستأنف. ومثلما المقاومة في لبنان أدت إلى سقوط شارون، فأعتقد أن الانتفاضة في فلسطين ستُستأنف وتؤدي إلى سقوط شارون. ولكن إذا كان للمرء أن يتمنى، فيتمنى الوحدة الوطنية للمقاومة الفلسطينية بمختلف اتجاهاتها، وأن تكون هناك استراتيجية للمقاومة، وحساب منفعة وكلفة، منفعة ليس بالمعنى المادي ولكن بالمعنى السياسي. يحتاج موضوع العمليات الاستشهادية للوقوف أمامه ودراسته والاتفاق على استراتيجية حوله وأن لا يُتْرَكَ الموضوع للمبادرات الفردية التي مهما كان إخلاص الشخص، فإنها قد تؤدي إلى نتائج يدفع ثمنها الشعب الفلسطيني كله.

■ ***هذه نقطة حساسة جداً تلك التي تشير إليها الآن. لقد ضربت على وتر حساس جداً جداً، ويصعب الآن أن يتكلم فيه المثقفون والسياسيون العرب، وهو موضوع العمليات الاستشهادية، هكذا يسميها الفلسطينيون، ولكن تعلم أنه في لندن وفي العالم الغربي يسمونها عمليات انتحارية أو عمليات إجرامية كما يقول الأمريكيون. إلى أي مدى القيادات الفلسطينية جاهزة لمراجعة وتقييم هذا الأسلوب في العمل؟***

حسيب: أنا ذكرت أنه لا بد للقيادات الفلسطينية من أن تناقش هذه المسألة وتتفق على استراتيجية واحدة حولها. القضية الفلسطينية ليست قضية عربية فقط، ولكن لها اليوم بعداً إقليميّاً وبعداً دوليّاً. ولا بد من الاهتمام بنمط عمليات المقاومة، ومدى تأثير بعض هذه العمليات في الرأي العام العالمي والغربي. لا شك في أن المقاومة مشروعة، وهي غير الإرهاب الذي يتكلم عنه بوش بنفاق. العمليات التي كان يقوم بها «الجيش الايرلندي» كانت تعتبرها بريطانيا إرهاباً، بينما كان الأمريكيون

يعتبرون مقاتليه «مقاتلي حرية» (Freedom Fighters). وكانت تُرسل إليهم تبرعات من أمريكا. فلماذا هناك ليسوا إرهابيين ولماذا المساعدات والتحويلات لا تحجب؟ لا شك في أن المقاومة مشروعة بكل المعايير الدولية والأخلاقية. في ما يتعلق بالأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧، فإن الإسرائيليين الموجودين إما جنود وإما مستوطنون. وفي الحالين، هم محتلون اغتصبوا الأرض. وبالتالي، فالعمليات الاستشهادية ضد المؤسسة العسكرية في الضفة الغربية وغزة وضد المستوطنين هي عمليات مشروعة بكل المقاييس، وحتى في الغرب لا تنتقد هذه العمليات. الخلاف يبدأ حينما يتعلق الأمر بالعمليات الاستشهادية في فلسطين ١٩٤٨ أو إسرائيل كما يسمونها. إذا كانت العمليات الاستشهادية في فلسطين ١٩٤٨ موجهة للمؤسسة العسكرية، أعتقد أنها مشروعة بكل المقاييس لأن لها علاقة بما يحدث. أما بالنسبة إلى المدنيين، ففي هذا الأمر خلاف. هناك وجهة نظر تقول إن هؤلاء جميعهم جنود احتياط في الجيش الإسرائيلي، وبالتالي فهم جزء من المؤسسة العسكرية. وهناك وجهة نظر أخرى تقول إن هؤلاء هم الجيل الثاني الموجود في إسرائيل، بعد ٥٤ عاماً على اغتصاب فلسطين. وبالتالي هم ليسوا مسؤولين عن قيام إسرائيل، ولم يساهموا في هذا وليس لديهم مكان آخر يذهبون إليه. وبالتالي وجهة النظر هذه تقول إن هذه العمليات الاستشهادية ضد المدنيين في داخل فلسطين ١٩٤٨ يجب أن يتم تقييمها من جديد، وتقييم مدى فائدتها وضررها بالنسبة إلى القضية الفلسطينية. وأياً كان القرار الذي سيتخذ يجب أن يكون متفقاً عليه. هذا موضوع من الموضوعات العاجلة التي أعتقد أنها تستحق المناقشة. اليوم هناك افتتاحية في **هيرالد تريبيون** منقولة عن **واشنطن بوست** كانت تناقش هذا الموضوع، وهناك تحول تدريجي في الرأي العام الأمريكي حول موضوع فلسطين وحول شارون. طبعاً، في بريطانيا الوضع أفضل، لكن في أمريكا كذلك هناك تحول متدرج. فهذا في ما أظن موضوع من الموضوعات المهمة التي ينبغي فتحها أمام مناقشة فلسطينية وعربية واسعة.

■ ***هناك غضب في الشارع العربي، وغضب من الحكومات العربية، فما الذي يمكن أن تفعل الحكومات العربية لفلسطين ولم تفعله؟***

حسيب: يا أخ هاشمي، في التاريخ المعاصر للبلدان العربية لم توجد فترة كانت لدينا فيها إمكانيات أكثر من الإمكانيات الحالية؛ وفي الوقت نفسه، لم نشهد فترة نحن فيها ضعفاء مثل الفترة الحالية. أمريكا تستعمل التجارة والعلاقات الاقتصادية كوسيلة ضغط، هي إلى الآن تقاطع كوبا، وأحياناً تمنع تصدير بعض الأشياء إلى روسيا، وأحياناً إلى الصين، فمن حقنا نحن أن نستعمل السلاح الاقتصادي ولا نستورد سلعاً أمريكية قابلة للاستبدال، واستيرادها من مصادر أخرى. دعنا نأخذ

مثالاً، ما الذي يمنعنا من شراء طائرات إيرباص بدل بوينغ، فهي طائرات ممتازة. والشركات الأمريكية لا تصنِّع طائرات مدنية فقط، بل طائرات عسكرية أيضاً. والتقدم في تصنيع هذه الأخيرة يحتاج إلى البحث العلمي، وجزء من ثمن هذه الطائرات يُصْرَف لتمويل الأبحاث. إذاً، سنساهم بحرمان أمريكا من هذا التطوير أو بجزء منه على الأقل وذلك من خلال عدم شراء الطائرات الأمريكية. ثم ماذا يضيرنا لو استبدلنا السيارات والثلاجات والغسالات والسجائر من صنع أمريكي بغيرها من صنع أوروبي أو ياباني؟ كما أن هناك الودائع العربية، العامة والخاصة، في البنوك الأمريكية، وأمور أخرى غيرها، ويمكن استعمالها كأدوات ضغط على أمريكا.

ما لم تشعر أمريكا أن مصالحها ستتأثر فلن تغير سياستها. السياسات الخارجية في العالم لا تقوم على الأخلاق والمبادئ بل تقوم على مصالح. إذا لم يشعر أصحاب المصالح أن مصالحهم تتأثر، ويضغطوا على الإدارة الأمريكية لتغيير الصورة فستبقى أمريكا كما هي.

■ ***يجب على الحكومات العربية أن تخاف لأن لديها علاقات مع أمريكا وتخاف أن تستهدفها أمريكا.***

حسيب: علاقات الحكومات العربية مع أمريكا غير سوية، لأن كل حكومة عربية لوحدها ضعيفة بالضرورة، ولكن، لو اتخذت سياسة مشتركة لاختلف الأمر.

■ ***لن يقدروا، الآن الملك المغربي اليوم في أمريكا وكذلك ولي العهد السعودي، الملك المغربي يحتاجها من أجل قضية الصحراء، ويطلب دعمها إذا أراد أن يحبط المحاولات الجزائرية ضد المغرب.***

حسيب: ثمة طريقة أخرى اتبعت في الخمسينيات والستينيات على عهد الرئيس عبد الناصر الذي رفض التساوق مع السياسات الأمريكية وحفظ استقلال القرار المصري، وكان مع ذلك يأخذ مساعدات..

■ ***من دول أخرى.***

حسيب: حتى أمريكا عرضت عليه مساعدات.

■ ***هل تستطيع اثنتان وعشرون دولة أن تقوم بهذا؟***

حسيب: نأخذ الدول الرئيسية. إذا أخذنا السعودية ومصر وسوريا والعراق، هذه وحدها تكفي. ثم لا بد من تفعيل دور مصر وإيجاد بديل عربي مضمون وغير خاضع للابتزاز للمساعدات الأمريكية، لأنه تحت ضغوط المساعدات الاقتصادية

والعسكرية الأمريكية ستظل مصر مشلولة. وهنا يصح القول المأثور «لا حرب من دون مصر ولا سلام بدون سوريا ولا تطبيع بدون السعودية».

■ ***نريد أن نأخذ مداخلةً من الأخ أبو علي من القاهرة، أخ أبو علي مرحباً بك.***

أبو علي: السلام عليكم. شكراً لك وللدكتور العزيز خير الدين حسيب. نحن بحاجة إلى أمثال الدكتور خير الدين حسيب لكشف بعض الغموض لكثير مما هو غامض بالنسبة إلى الشعب العربي. وأنا أريد أن أشكره على إلقاء الضوء ولو بسرعة على ما حصل وما يحصل بالنسبة إلى العراق. وفي الحقيقة كان كلامه منطقيّاً جدّاً، ولكن عندي سؤال للدكتور خير الدين هو منذ الساعات الأولى لدخول القوات العراقية للكويت بدا وكأن بعض الدول العربية تريد أن تنتهز هذه الفرصة، وكأنها كانت تنتظر هذه الفرصة لتدمير العراق. وأنت تعرف دكتور من خلال قراءاتك لمذكرات الكثير من الذين شاركوا في حرب الخليج الثانية أنه كان بالإمكان إيجاد حل سلمي ومنطقي وعادل وعقلاني بدل الحرب، لكن هناك من أراد أن تصل الأمور إلى ما وصلت إليه. ووجدنا في الحقيقة أمراً غريباً جداً، وهذا ما أشار إليه في فقرات كثيرة من كتبه الأستاذ سعد البزاز، وهو أن بعض الحقد كان مدفوناً في صدور بعض الأخوة العرب على العراق ووجدوا وكأنها فرصة تاريخية للانقلاب على هذا الشعب الذي دفع الثمن للأسف عن أخطاء الكويتيين، وعن أخطاء وسياسات الحكومات العربية. أنا أسأل لماذا؟ هل هو حقد؟ هل هو اختلاف ايديولوجي مع النظام في العراق؟ في الحقيقة أتمنى من د. خير الدين أن يلقي نظرة على هذا.

■ ***شكراً لك أخ أبو علي، د. حسيب ما هو تعليقك على ما قاله الأخ أبو علي؟***

حسيب: الأخ أبو علي، مهما حاولنا أن نبحث في الماضي، فنحن لا نستطيع أن نغير ما حصل فيه. كل ما نستطيع هو أن نستنتج عبراً ودروساً منه. والشعب الكويتي هو جزء من هذه الأمة وما حصل حصل، وتبين أن ما حصل كانت تأثيراته سطحية، لأن الشعب الكويتي سرعان ما عبّر عن أصالته العربية حين اندلعت الانتفاضة الفلسطينية، فقام بمظاهرات وقدَّم تبرعات... إلخ. وهناك أغنية عراقية تقول «خلي المجروح بجرحُه ولا تَفتَح له جرح جديد».

■ ***هل يوجد بديل حقيقي من الدعم الأمريكي لمصر، لأن هذا موضوع حساس جداً؟***

حسيب: أنا أعتقد أن العراق بالدرجة الأولى والسعودية وربما الإمارات، إذا أطال الله عمر الشيخ زايد، تستطيع تقديم هذا البديل وهو ليس بكثير. الرئيس

حسني مبارك حسب ما قيل لي يقول إن قيمة المساعدات الحقيقية إذا طُرحت منها رواتب الخبراء وبعض السلع التي يأخذونها لا تزيد عن ٥٠٠ مليون دولار، وهذه ستتناقص. فمليار دولار وليس فقط ٥٠٠ مليون دولار لمصر لن يصعب على العراق والسعودية والإمارات تقديمها، أو ربما حتى الكويت. لكن العراق لوحده قادر على هذا في ما أعتقد.

■ ***طبعاً، حلم كبير. تخيل لو قيل للمواطنين العرب أن يؤمنوا هذا المال من أجل مصر، فلا أحد يمكن أن يقوم بهذا.***

حسيب: ممكن، أنت تتكلم عن مليار دولار، وهو مبلغ زهيد على دول غنية. وهو زهيد سياسيّاً أيضاً لأننا بحاجة ماسة لتفعيل دور مصر.

■ ***مطلوب أيضاً أن تطرح القيادة المصرية هذا الموضوع: موضوع دورها السياسي في المنطقة.***

حسيب: أنا لا أريد أن أبرر موقفها، لكن القيادة المصرية مترددة وخائفة لأن وضعها الاقتصادي صعب جداً، والأمريكان يمكن أن يدفعوا نحو انهيار الوضع النقدي والجنيه المصري إذا أرادوا.

■ ***أود أن آخذ تعليق الأخ أبو فهد من المملكة العربية السعودية، الأخ أبو فهد أهلاً بك.***

أبو فهد: مرحباً د. خير الدين، أنا معجب جداً بالحديث معك واللقاء تابعته من البداية، وبدلاً من أن نتكلم في التاريخ، دعنا نتكلم في الحاضر. ومن كلامك قلت إن أمريكا هي التي أوقعت العراق في فخ الكويت، من هي الدولة التي قد توقعها أمريكا الآن في فخ، وما هو هذا الفخ؟ وما هي نصائحك لهذه الدولة.

حسيب: في حدود المعلومات المتوافرة لدي وفي حدود قناعاتي ـ ولا أتكلم من عاطفة ـ أعتقد أن أمريكا إذا هاجمت العراق واستعملت قوات برية تؤدي إلى إلحاق ضرر كبير ودائم بالعراق، أعتقد أن العراق سيكون مقبرة للقوات الأمريكية، وستكون مغامرتها نهاية للامبراطورية الأمريكية. وهذه قناعتي، وآمُلُ إن شاء الله أن لا أكون مخطئاً. بالنسبة إلى الدول العربية أتمنى أن لا يقع أحد في فخ. لأنه ليس من مصلحتها الوطنية القطرية أن تقع في الفخ.

■ ***أريد أن أرحب الآن بالدكتور قيس جواد العزاوي من فرنسا. د. قيس مرحباً بك.***

قيس العزاوي: مرحباً بالدكتور خير الدين حسيب. أنا لست محايداً عندما

أتحدث عن الدكتور خير الدين حسيب لأنني أعتبره أستاذي، وقد عملت في مركز دراسات الوحدة العربية فترةً قرابةَ خمس سنوات في ظروف صعبة جداً، وبوجود الدكتور حسيب تَمَكَّنَّا من تجاوز كل الصعوبات، وتمكنّا كمركز أن نثبت أقدامنا في ساحة عربية من الرمال المتحركة. في الواقع أصبح مركز دراسات الوحدة العربية بفضل الإدارة الحكيمة والباحثين الجادين من كل الدول العربية واحداً من أكثر مراكز الدراسات العلمية والأكاديمية في الوطن العربي بروزاً، وأعطى الوجه الحضاري للعمل البحثي الأكاديمي. هذا من ناحية أكاديمية، أما من الناحية النضالية، فأنا لا أكون محايداً عندما أتحدث عن المركز، أنا ما زلت آمل أن يأخذ المركز على عاتقه النهوض بأمور وقضايا عديدة، وأنا عارف بالأزمة الاقتصادية التي يمرّ بها المركز وبالجهد المبذول. لكنني أعتقد أن علينا الآن التوجه نحو العالم الخارجي. ثَبَّتْنَا أنفسنا في الوطن العربي وفرضنا احترامنا على الأنظمة العربية والشعوب وقلنا كلمتنا، ولكن على ما يبدو المعركة في العالم هي المعركة الإعلامية، ويجب أن تخاض أيضاً خارج الوطن العربي لإقناع الناس. مثلما بنيت إسرائيل بواسطة المهاجرين اليهود في الخارج، وبواسطة الجماعات التي عقدت مؤتمراً في سويسرا، وما زالت اللوبيات الصهيونية تدافع عن إسرائيل، فيجب أن نتوجه نحن أيضاً إلى الخارج. وهذا الكلام أقوله بكل حرقة لأنني أعيش في الغرب وأعرف ما أهميته. ودائماً أتوجه إلى الدكتور حسيب وأتمنى أن يعطي الأهمية لهذه الموضوع. أتمنى أن نقوم بعدد من الحوارات ليس على طريقة الحوار العربي - الأوروبي الكلاسيكي، وإنما هناك صيغ أخرى جديدة. لماذا لا ننظم ـ مثلاً - مؤتمراً للإعلاميين العرب في الخارج، وكثيرون منهم يعملون في مؤسسات إعلامية أجنبية، وقادرون على التأثير إذا ما توفرت برامج عمل ولجان تنسيق؟ وكما تفضل د. خير الدين حسيب وذكر، يعاني المركز من مشكلة مادية، لكنه لا يعاني نقصاً في الأفكار والمشاريع، ومنها مثلاً مشروع الجاليات العربية في الخارج. نحن في أوروبا حوالى ٣٠ مليون مسلم. إذا أردت أن تجمع إمكانياتهم الاقتصادية، فهي أكثر من الإمكانيات الاقتصادية في الوطن العربي.

لقد تمكنّا لأول مرة في تاريخ فرنسا أن نلعب الورقة العربية بذكاء، وكل مختبرات التحليل الانتخابي تقول إن العرب أقبلوا على الانتخاب بنسبة كبيرة جداً، وكانت تسكنهم القضية الفلسطينية. ولأول مرة يُهزم اللوبي الصهيوني في فرنسا هزيمة نكراء. كل القادة المرتبطين باللوبي الصهيوني انتهوا سياسياً. وهذه أول مرة نتحرك فيها على هذا النحو، فكيف إذا تحركنا بشكل أفضل؟ أنا أدعو صادقاً إلى أن تلتفت كل الدول العربية إلى مركز دراسات الوحدة العربية والمؤسسات الجماهيرية الحقيقية، وكلها مؤسسات عجزت دول عن تأسيسها. وقلت لك إنني سأتكلم ولست محايداً، وأتمنى أن يستمر هذا المركز ويحقق أهدافه.

■ ***شكراً د. قيس، سوف أدع الدكتور حسيب يعلق على حديثك.***

حسيب: الأخ قيس، شكراً على كل ما قلته، فقط أريد أن ألخص بكلمتين: العين بصيرة واليد قصيرة. وربنا لا تحمّلنا ما لا طاقة لنا عليه. ولكن أعدك بأنني سأعمل كل ما يمكن عمله بخصوص الاقتراحات التي تحدثت عنها.

■ ***صديقنا د. علي عقلة عرسان من سوريا. د. علي عقلة مرحباً بك.***

د. علي عقلة عرسان: مرحباً بكم ومساء الخير للدكتور خير الدين حسيب.

حسيب: أهلاً الأخ علي.

■ ***أهلاً بك دكتور، نحن الآن قمنا برحلة مع الدكتور حسيب بدأناها بالموصل وبغداد، وانتقلنا إلى بيروت وإلى إسهامات كثيرة في العمل على الساحة الثقافية والفكرية العربية. ويسرنا أن نأخذ انطباعاتك خاصة أنه لديك علاقة بهذه التجارب التي يخوضها المركز.***

حسيب: د. علي عضو في المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي.

علي عقلة عرسان: في الحقيقة جهود د. خير الدين حسيب معروفة ولها ثمرات واضحة في الحياة الفكرية والنضالية العربية. وأنا أحيّي جهوده في مركز دراسات الوحدة العربية الذي يقدم أشياء جادة ومهمة. ولكن يبدو لي أنها لا تصل بشكل واسع إلى من ينبغي أن تصل إليهم، ولا سيما في مجال صنع القرار. ولكن ليس المركز هو المسؤول عن ذلك، مع وجود الحاجة الماسة إلى أن تصل حصيلة أعمال المركز ومراكز الأبحاث في الوطن العربي إلى صانع القرار العربي. ولكن هناك أهمية للتوقف عند جهد آخر متميز قام به الدكتور خير الدين حسيب مع آخرين في المؤتمر القومي العربي وفي المؤتمر القومي ـ الإسلامي، وهو موضوع الحوار وتقريب وجهات النظر . . .

■ ***يبدو أن الخط من سوريا انقطع، هل تشعر الآن أن هذا الحوار يثمر في الساحة العربية تسامحاً أكبر بين التيارات؟***

حسيب: أعتقد أن الحوار قطع مرحلة طويلة وكبيرة، وكل طرف يطرح رأيه وبشكل حضاري. عقدنا اثني عشر مؤتمراً سنوياً للمؤتمر القومي العربي، وثلاثين ندوة كبيرة. ويندر أن يحدث أن يرفع أحد الصوت في أثناء المناقشات. النقاش حوار حضاري هادئ، وأعتقد أنه تتكون مدرسة جديدة من خلال هذه التجربة.

■ ***د. علي عقلة عرسان عاد معنا إلى الخط، تفضل دكتور.***

علي عقلة عرسان: الحوار الذي ينشأ في إطار المؤتمر القومي لم يعد فقط مقتصراً

على مشاركة التيار القومي، وإنما هناك تيارات أخرى داخل المؤتمر القومي تدخل في الحوار وتشارك حتى في القيادة، على الرغم من أنه كان لها في السابق مواقف ضد القومية ككل وأحكام قاسية على القوميين بشكل عام. ولكن التيار القومي استطاع ومن خلال رحابة صدره ومسؤولياته أن يفتح حواراً وأن يستوعب الجميع في بوتقة هي في الأصل عمل قومي للأمة ككل. ولكن الإطلالة التي قام بها التيار القومي على مدى أوسع هي المؤتمر القومي ـ الإسلامي حيث بدأت هناك عملية حوار حقيقية بين التيار الإسلامي والتيار القومي والتيار اليساري الاشتراكي أو الشيوعي. وأثمرت هذه العملية تفاهماً أكبر، ووقوفاً على المشترك بشكل أثبت وأعمق. ولكن هذا يحتاج إلى تغيير جوهري ليس المسؤول عنه الدكتور خير الدين حسيب أو أي مسؤول، وإنما المسؤول عنه الأحزاب والمفكرون والمسؤولون عن التنظيم حيث يجري تغيير حقيقي في التوجه، وليس مجرد مجاملات أو محاولات تقارب في اللقاءات المعلنة، لأن التغيير يجب أن ينعكس في استراتيجية عمل مشترك. وهذه الاستراتيجية يجب أن لا تتوقف عند حدود رؤية مثقفين ومناضلين وسياسيين محايدة للأمور في الوطن العربي أو مراقبة أو تقدم تحليلاً وتكتفي بالتحليل. لا بد أن ننتقل إلى مرحلة أخرى من الأداء فيها مجمل ما تتفق عليه هذه التيارات الفكرية والسياسية الهامة في الوطن العربي، فيها مجمل ما تتفق عليه على أرض الواقع نضالاً وعملاً وتوجهات ليغير الواقع العربي ويقارب بين الأنظمة ويقارب بين الأحزاب، ولكي تنشأ على أرضية هذا المشترك مدرسة ذات تيار واضح يغير في معاني وتوجهات العمل العربي استناداً إلى رؤية فكرية.

وأنا أقول بشيء من الحيطة مع تأكيدي على أننا جميعاً شركاء في هذا، أنه لا بد من مواجهة حسم الخيارات، فنحن في المؤتمر القومي العربي أو المؤتمر القومي ـ الإسلامي ما زلنا نشير في بيانات وقرارات وأحياناً توجهات إلى شرعية دولية وإلى قرارات معينة وإلى تسويات. لقد ثبت من خلال كل المجريات ولا سيما مجريات الأحداث الأخيرة والنزوع العنصري النازي الصهيوني أن الصراع مع الكيان الصهيوني صراع وجود. وما لم يحسم المثقفون والمفكرون والمناضلون العرب موقفهم من هذا الأمر، فلن يستطيعوا التأثير في الأنظمة العربية لتأخذ خياراً غير الخيار الذي سوقته وفرضته وأستطيع القول إنها أذلتنا به، هو خيار السلام الاستراتيجي الوحيد. وهذا الخيار الوحيد أدى إلى استسلام مستمر وتنازلات مستمرة. وهذه الأمة لم تهيِّئ نفسها لتمتلك قوة تحمي بها حتى خيار السلام التي تختاره، بينما العدو فاتح المجال لكل الاختيارات، ويعلي شأن خيار العدوان وإعمال القوة فينا في كل المجالات. فهل نستطيع نحن أن نفرض من موقع مبدئي ثابت رؤية بعيدة الأمد للصراع وللمشروع الصهيوني العنصري الاستيطاني الذي يستهدف المشروع العربي بكل مقوماته وبكل أدواته؟ إن هذه المؤتمرات مؤثرة، ونحن ندعوها إلى فتح جميع الخيارات وفي مقدمتها

خيار التحرير وإعداد النفس والجيوش وإعداد الاستراتيجيات كلها للاختيارات ككل وعلى رأسها خيار التحرير، لأن هذا العدو إذا سالمناه ووقعنا اتفاقيات معه، فإنه عندما تدعوه حاجاته التوسعية ويأتي بمهاجرين جدد سوف يعتدي علينا ويشن الحرب ويوسع من استيطانه تلبية لما يسميه مجاله الحيوي ومصالحه. ومن ثم إذا لم نكن قادرين على رد هذا العدوان فسوف نخضع لاعتداءات جديدة. والمثال هؤلاء الذين وقعوا معه اتفاق أوسلو أو سواه الذين هم اليوم محاصرون في غرفة واحدة. هذا الكيان يحتاج منا إلى مراجعة يقوم بها المثقفون والمفكرون وقادة الرأي، ولا سيما أن هناك نخبة منهم في المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي لضرورة فرض إعادة النظر في خيار واحد هو السلام الاستراتيجي. اضربونا، نحن نحتاج السلام، اقتلونا، نحن نتمنى السلام، نحن مع السلام، لكن كيف نحمي هذا السلام؟ أقول إنه لا بد أن نعمل عملاً مجدياً لفتح جميع الخيارات، ومنها خيار التحرير بالدرجة الأولى، وامتلاك قوة على أرضية العمل والإيمان والعمل به، ولا نكتفي بتقديم تقرير عن حال الأمة وهو تقرير موضوعي صحيح، لكنه يأخذ حسابات سياسية في الموضوع، ولا يأخذ مبادئ حسابية فكرية قومية جذرية، ونحن بحاجة إلى هذه الجذرية. فانظر إلى المثقفين الأمريكيين، في ١٢ شباط/ فبراير ٢٠٠٢ أي بعد حوالى خمسة أشهر من أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر قدموا مذكرة موجهة للعرب والمسلمين، ولكنها بالدرجة الأولى تنطوي على أمرين رئيسين: أن تعطي الحق للإدارة الأمريكية بأن تعلن الحرب على الإرهاب، على الشعوب والدول الأخرى، وتعلن وقوفها مع الإدارة الأمريكية في شن حرب على هذه الدول، وتتذرع أنها صاحبة قيم.

■ ***شكراً د. عرسان، الدكتور خير الدين حسيب له تعليق على ما قاله د. علي عقلة عرسان، ثم السؤال الأخير في البرنامج.***

حسيب: هناك نقطتان رئيسيتان طرحهما الأخ علي عقلة عرسان. في ما يتعلق بالتحرير نحن نتفق معك في كل ما قلته، المركز قام قبل سنتين أو ثلاثة بندوة كبيرة ووضع استراتيجية وخطة عمل للصراع العربي ــ الإسرائيلي، وإذا قرأت المجلد الثاني الذي يبين الاستراتيجة وخطة العمل ستجد كل ما تريده موجوداً هناك. وإذا قرأت افتتاحية العدد القادم من **المستقبل العربي** حول «الانتفاضة الفلسطينية . . إلى أين؟» ستجد الجواب عن الأسئلة التي أثرتها.

المؤتمر القومي العربي هو أول من رفض مؤتمر مدريد قبل أن يعقد في عام ١٩٩١، ولا يزال هذا موقفه من الموضوع. أكيد هناك مجال أكثر لتفعيل وجهة النظر هذه، لكن نحتاج لك يا دكتور علي عقلة معنا لبلورة كل هذه الأفكار.

■ ***د. خير الدين حسيب في نهاية هذه الجولة، هل أنت متفائل، أنت متفائل في موضوع العراق، ولكن هل أنت متفائل في موضوع الوحدة والوضع العربي بشكل عام، بعد الآمال والتجارب. . هل الوحدة العربية ممكنة؟***

حسيب: ما حدث في الأسابيع الثلاثة الأخيرة نتيجة الانتفاضة أثبت أن هناك أمة عربية فعلاً. فما معنى أن يكون هناك مظاهرة بين مليون وثلاثة ملايين في المغرب، ومليون في اليمن، ولأول مرة مظاهرات في الخليج: في قطر، عُمان، البحرين، والكويت. . إلخ. هذا يعني أن هناك أمة حية ما زالت موجودة. العالم كله متوجه نحو الوحدة والتكتلات الكبيرة. هذه أوروبا التي فيها لغات مختلفة وتاريخ مختلف وحروب نشبت في ما بينها، دخلت الآن ليس فقط في الجانب الاقتصادي، بل عملت الاتحاد الأوروبي وهي متجهة نحو إنشاء فدرالية. هذه أمريكا عملت الشيء نفسه مع كندا والمكسيك. وهذه دول جنوب شرق آسيا. نحن لدينا لغة واحدة وتاريخ واحد ومصير واحد ولم نفعل شيئاً. أنا لا أريد أن أقفز على الدولة القطرية، والدولة القطرية بغض النظر عن رأينا فيها باتت أمراً واقعاً. لكن هذا لا يمنع من الاستفادة من التجربة الأوروبية. فالكيانات بقيت، لكنها تنازلت عن بعض السيادات الخاصة لصالح سيادة مشتركة. ونحن ندرس الآن فعلاً هذا الموضوع، ولدينا دراسة تُعَدّ في المركز عن تجربة الاتحاد الأوروبي وكيفية الاستفادة منها عربياً[٣].

النقطة الأخيرة التي أثارها الدكتور علي عقلة عرسان حول موضوع صانع القرار وكيف يستفيد من عمل المركز. نحن بدأنا ولا نزال نستكمل سلسلة من الدراسات عن كيف يصنع القرار في الدول الرئيسية التي تتعامل مع العرب. عندنا دراسة عن أمريكا، ودراسة عن الاتحاد الأوروبي وروسيا وتركيا وإيران، والآن دراسة عن بريطانيا. وهذه كلها ترسل إلى الرئيس الأعلى ووزير الخارجية. وكلها مجاناً حتى يقرأوها. والدراسات الأخرى التي نقوم بها والتي يمكن أن يستفيد منها صانع القرار نرسلها إلى كل الجهات، وحتى الآن لم نستلم ولو رسالة شكر من أي واحد منها!

■ ***لكن السؤال هو كيف يصنع القرار في البلدان العربية؟ أريدك في نهاية الحوار أن تقدم الكلمة التي تود أن تختم بها البرنامج.***

حسيب: أكيد، الأنظمة العربية مقصّرة في واجبها، وهي أنظمة ـ كما قلت لك في البداية ـ لا ديمقراطية بدرجات مختلفة من عدم الديمقراطية. ولا بد لها أن

---

(٣) صدرت هذه الدراسة في حزيران/ يونيو ٢٠٠٤. انظر: حسن نافعة، **الاتحاد الأوروبي والدروس المستفادة عربياً** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤).

تنتبه إلى أن دعم الشعب لهذه الأنظمة هو أهم وأحسن بكثير من دعم أمريكا وغيرها لها، لأن لأمريكا مصالح وعندما تتغير هذه المصالح، فسيتغير بالتالي الدعم. عليها أن تقوم بواجبها تجاه الانتفاضة الفلسطينية. وهنا يجب أن لا نعول فقط على الحكومات، فكل فرد في حدود إمكانياته يستطيع أن يساعد وأن يقوم بذلك، فمن يستطيع أن يتبرع يتبرع، ومن يستطيع أن يقاطع فليفعل ذلك. بعض الإخوان الفلسطينيين في دبي قاموا بمشروع لتوأمة العوائل؛ هناك عوائل في فلسطين فقدت أبناءها وكل واحد يتبنى إعالة عائلة فيرسل إليها مبلغاً شهرياً من ١٥٠ دولاراً، وإذا لم يستطع الفرد الواحد ذلك، فيمكن لاثنين أو ثلاثة أن يتشاركوا في ذلك. أنا متبني عائلة عن طريق مبلغ شهري وذلك بإصدار تعليمات للبنك لتحويل ١٥٠ دولاراً كل شهر. قال لي الأخ المسؤول عن هذا الموضوع أن برنامج التوأمة شمل ٣٥٠٠ عائلة. لماذا لا نستطيع فِعْلَ ما فَعَلَه المؤتمر الصهيوني في هذا المجال؟ لا شك في أن إمكانياتنا المالية أقل، لكنها ليست قليلة. بعد ذلك، على المتمولين العرب أن يقوموا بدورهم. في الغرب يؤسسون وقفيات كثيرة بأنواع مختلفة، وقسم منها يُدْفَع لتمويل المؤسسات الثقافية. هل نستنتج أن معظم المتمولين العرب غير مثقفين وغير مقدرين للثقافة؟! أعتقد أن عليهم واجباً تجاه وطنهم وأمتهم وثقافتها. ومن غير المعقول أن مركز دراسات مثل مركز دراسات الوحدة العربية يعاني أزمة مالية، وقد ينهي نشاطه بعد سنة أو سنتين وكل هذه الأموال العربية موجودة!

■ ***شكراً جزيلاً للدكتور خير الدين حسيب على هذه الجلسة الممتعة. وأتمنى حين نلتقي مرة أخرى أن تكون قد تحسنت أوضاع المركز. شكراً للدكتور خير الدين حسيب، وإلى كل الجهد الذي تبذله أنت ومساعدوك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.***

(٢)
الاستراتيجيا الأمريكية تجاه العراق والوطن العربي[*]

الأخ الرئيس سليم الحص
الأخت رئيسة اللجنة الثقافية
الأخوات والإخوة

أود أن أبدأ المحاضرة بملاحظتين: الملاحظة الأولى هي أنني أتحدث بصفة شخصية، وما أقوله لا يمثل بالضرورة رأي مركز دراسات الوحدة العربية. والملاحظة الثانية أن معظم ما سأقوله يستند إلى مصادر، ووقت المحاضرة لا يسمح بذكر جميع المصادر، ولكنني أثناء المناقشة وبعدها مستعد لأن أقدمها لمن يريد من السادة. وحيثما هناك رأي خاص سأقول إنه رأي خاص.

بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر الماضي أنشأت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) ابتداءً قسماً خاصّاً للتضليل الإعلامي: هكذا كانوا يسمونه. وبعد ردود الفعل السلبية السيئة في العالم حول هذا الموضوع، تم دمج هذا القسم في قسم آخر، ولكن بقيت المهمات المطلوبة نفسها. ولذلك، أنا أرجو أن نكون على حذر شديد حول ما نقرأ في المصادر من معلومات وتسريبات، لأنه غالباً ما تكون لأغراض معينة، وأحياناً للتضليل الإعلامي.

عندما ذهبت لدراسة الماجستير في عام ١٩٥٤ إلى «London School of Economics» لاحظت أن أحد المتطلبات الرئيسية الإجبارية لدراسة طلبة الاقتصاد في الدرجة الجامعية الأولى هي أن يدرسوا الفلسفة. وكنت حائزاً على الشهادة الأولى من بغداد، فاستغربت علاقة الفلسفة بالاقتصاد. بعدها أدركت أن الفلسفة تعلم المرء أن ينظر إلى جذور الأشياء، وألا يضيع في التفاصيل. ولهذا سأحاول أن أقدم تلخيصاً

(*) ألقى الدكتور خير الدين حسيب هذه المحاضرة في «ندوة العمل الوطني» حول العراق التي أقيمت في مركز توفيق طبارة في بيروت في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢.

للاستراتيجية الأمريكية من عام ١٩٨٩ حتى الآن وبشكل سريع. وفي ضوء ذلك سيكون من الممكن أن نفهم ما حصل ويحصل، وأن نكوّن رؤية للمستقبل.

في أواخر التسعينيات، وبانتهاء الحرب الباردة، وصلت أمريكا إلى قناعة مفادها أنه في السابق كانت القوة العسكرية هي المعيار الأول والرئيس لتحديد من هي القوى الكبرى في العالم. وعلى هذا الأساس، كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي القوتين الكبريين في العالم. وبعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي، لم تعد القوة العسكرية هي المعيار الأول والرئيسي لأنه لم يعد هناك عدو أو ما يسمونه «Global Enemy». وبدأ العامل الاقتصادي يأخذ أهمية متزايدة. وبنظرة مستقبلية، رأت الولايات المتحدة أنه بازدياد أهمية العامل الاقتصادي لن تستطيع أن تكون قوة كبرى وحيدة بعد اليوم، فالاتحاد الأوروبي يعادل ناتجه القومي الناتج القومي للولايات المتحدة؛ والصين يُتَوَقَّع أن يصل الناتج القومي فيها إلى الناتج القومي الأمريكي في سنة ٢٠١٠ أو ٢٠٢٠، ثم هناك دول جنوب شرق آسيا. ولذلك كانت أمريكا بحاجة إلى ورقة اقتصادية تتعامل بها مع الغرب، ومع الصين، ومع اليابان، وتتحكم فيها. من هنا نشأت فكرة السيطرة على النفط ليس لتوفير حاجة الولايات المتحدة فقط، بل لاستعماله كورقة ضغط في علاقات الولايات المتحدة مع القوى الاقتصادية الرئيسية الأخرى في العالم. وهذه الورقة هي الورقة التي تستطيع من خلالها أن تتحكم في توريد النفط وفي أسعاره، وبالتالي تكون أوروبا واليابان والصين والهند كلها مرتهنة لها.

كانت هذه هي البداية. وفي عام ١٩٨٨ عُين شوارزكوف كقائد للقوات المركزية، وهي ما كانت تسمى قوات التدخل السريع عندنا. وفي عام ١٩٨٩ أُرسل شوارزكوف إلى «الشرق الأوسط»، (والكلام الذي أقوله موجود في كتاب شوارزكوف الذي نشر فيه مذكراته، وفيه قسمان: القسم الأول عن فييتنام، والقسم الثاني عن «عاصفة الصحراء»، وأنا أتكلم عن أول ستين صفحة من القسم الثاني). يقول شوارزكوف إنه طُلب منه، بعد انتهاء الحرب الباردة، تحديد من هم أعداء أمريكا في «الشرق الأوسط». ويذكر بتفاصيل سفره إلى الخليج وإلى مصر والمقابلات التي أجراها، وأنه عاد في أواخر عام ١٩٨٩ وقدم تقريراً مفاده أن العراق هو الخطر الأول. وكان هناك تدريب سنوي للقوات المركزية، وكان هذا التدريب يجري في العادة على أساس أن الاتحاد السوفياتي هو العدو. بعد انتهاء الحرب والباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي، ولأول مرة، وضع التدريب السنوي لعام ١٩٩٠ على أساس أن العراق هو العدو. هذا التحول حَصَلَ في أواخر عام ١٩٨٩. ولذلك، نلاحظ أنه من بداية عام ١٩٩٠ بدأ الكلام عن المدفع العملاق وعن معدات صنع القنبلة النووية. .

إلخ، علماً أن ما يسمى بالمدفع الكبير كان تمهيداً لإيجاد الذرائع لضرب العراق، حيث سبق لأمريكا أن أعطت العراق تسهيلات ائتمانية من خلال بنك الاستيراد والتصدير الأمريكي، ثم توقف ذلك وبدأت الضغوط الاقتصادية. حينها كان العراق يحاول جدولة ديونه مع معظم الدائنين. وبدأت الضغوط للتسديد، وكانت اقتصادية ابتداءً.

وهنا جاء الاستفزاز الكويتي ـ وأرجو أن لا يساء فهم ما سأقوله، فأنا ضد غزو العراق للكويت مهما كانت الأسباب، ولكني سأحاول أن أبين خلفيات ما جرى. كان العراق خارجاً من حرب مع إيران، وبحاجة إلى إعادة إعمار، وبحاجة إلى تسديد بعض الديون، فقامت الكويت والإمارات لأسباب غير مقنعة بزيادة إنتاج النفط وتخفيض سعر البرميل منه. وزيادة الإنتاج عن المقرر في حصتها في الأوبك أدت إلى انخفاض أسعار النفط بسبب زيادة العرض عن الطلب، وأدى ذلك بالتالي إلى انخفاض عائد العراق من نفطه المصدر.

وهناك مراسلات بين بعض المسؤولين في الكويت وبين وكالة المخابرات الأمريكية (السي. آي. إي.) حول الضغط الاقتصادي على العراق، والتفاصيل منشورٌ قسمٌ منها في كتاب هيكل عن هذا الموضوع. العراق أخطأ بالخطوة التي أَقْدَمَ عليها حتى يستبق الحرب عليه، والتي توقع أنها قادمة. أخطأ في غزوه الكويت. نعم، الضربة كانت ستأتي، ولكنها لم تكن لتتم بهذا التحالف وبهذه المدة من القصف الجوي. أما لماذا كانت الضربة آتية في جميع الأحوال سواء أدخل العراقُ الكويت أم لم يدخلها، فلأن نفطه ـ ونفط الخليج ـ كان مستهدفاً من قبل أمريكا المتطلعة إلى أن تسيطر عليه كما أشير إلى ذلك سابقاً. كما كان هناك موضوع الموقف من إسرائيل، وأمريكا تعتقد، سواءً عن صواب أم عن خطأ، أن العراق عقبة في التسوية ما بين الفلسطينيين والإسرائيليين. ناهيك بأن العراق خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية استفاد من التقانة التي زودته أمريكا وبريطانيا بها، فبدأ يطور قدراً قليلاً من الردع الذي أصبح يمثل خطراً على استراتيجية أمريكا في المنطقة وعلى إسرائيل. لن أدخل في حرب الخليج، لكن من المفيد أن تعرفوا (والكلام الذي أقوله منشور في الكتب والمذكرات التي نشرت بعد حرب الخليج الأولى والتي نشرها كولن باول وشوارزكوف وسكوكروفت وبوش نفسه وبيكر) أنه بعد أن دخل العراق للكويت، وكان ذلك يوم ٢ آب/أغسطس ١٩٩٠، ذهب تشيني، وكان وزير دفاع آنذاك، مع شوارزكوف (قائد القوات المركزية) إلى السعودية واجتمعا في الرياض مع العائلة الحاكمة بحضور الملك فهد والأمير عبد الله وبعض الوزراء، وشرحا لهم «الخطر» الذي يمثله العراق، وقدما لهم صوراً من الأقمار الاصطناعية مزورة تبين أن وحدات من الجيش العراقي دخلت السعودية لإقناعهم أن هناك خطراً، علماً أن ثمة اتفاقية

أمنية بين العراق والسعودية، وقد أُبْرِمَت قبل غزو الكويت. وقد ساهمت مصر في ذلك أيضاً، ونشرت جريدة **الجمهورية** خبراً عن لواءَيْن عراقيين دَخَلاَ السعودية. وفي الطبعة الثانية من الجريدة في اليوم نفسه أسقطوا الخبر. كان هذا يوم ٥ آب/ أغسطس، وأثناء اللقاء مع القادة السعوديين، توقع الوفد الأمريكي أن الجلسة ستتأجل ليتداول الأوَّلون في الأمر ويتخذوا قراراً. ولكن في آخر الجلسة هَزَّ الملك فهد رأسه إيماءً بالموافقة. الوحيد الذي أبدى ملاحظة كان الأمير عبد الله الذي شكك في قول تشيني وشورازكوف بأن القوات الأمريكية ستنسحب بعد انتهاء مهمتها. مرة ثانية هذا الكلام جاء بالحرف الواحد في كتاب شوارزكوف. وبعد ذلك، سافرا إلى مصر وقابلا الرئيس حسني مبارك في الإسكندرية. وقبل أن يلتقياه، كان جيمس بيكر قد أخذ موافقة الرئيس حافظ الأسد على المشاركة. وأثناء المقابلة مع حسني مبارك، حصلت مصر على ستة مليارات دولار وعلى شطب بعض الديون. وفي الجلسة نفسها وافق حسني مبارك على دخول القوات الأمريكية ووافق على مشاركة الجيش المصري وإرسال فرقتين، وأعطى أوامره بذلك، وأوامره بتقديم التسهيلات المصرية. كما طلبا منه استعمال بعض المطارات المصرية لطائرات «B52»، فطلب وقتاً للتفكير. ولذلك، فاجتماع القمة الذي عقد يوم ١٠ آب/ أغسطس ١٩٩٠ كان اجتماعاً لتغطية القرار الذي اتخذ قبل ذلك، وبُدئ بالتنفيذ. هذا فقط للعلم حول ما حصل، والتواطؤ العربي الذي جرى مع أمريكا.

بعد أن انتهت حرب الخليج، حاول وزير الدفاع تشيني وفريق عمل من ضمنه بول وولفويتز ـ نائب وزير الدفاع الآن ـ أن يضعوا الخطوط والأهداف العامة للاستراتيجية الأمريكية الجديدة. وقد نشرت جريدة **هيرالد تريبيون** بتاريخ ٢٠ أيار/ مايو ١٩٩١ الخطوط العامة العريضة لهذه الاستراتيجية التي ورد فيها **أن أمريكا لن تسمح لأية قوة أخرى في العالم أن تنافسها على أن تكون هي القوة الوحيدة.** لكن بوش الأب لم ينجح في الانتخابات، وبالتالي ذهب تشيني والفريق الذي معه. الآن، قبل أن يُنتخب بوش الابن عام ٢٠٠٠، كانت هذه الاستراتيجية هي المتفق عليها بين بوش الابن وتشيني. وعندما وصلا إلى السلطة، كانت هذه الاستراتيجية ستوضع للتنفيذ سواء حصلت أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ أو لم تحدث. والحقيقة أن أحداث أيلول/ سبتمبر ساعدت على إخراج العملية تحت عنوان محاربة الإرهاب. لكن موضوع ١١ أيلول/ سبتمبر لم يكن السبب الرئيسي لهذه الاستراتيجية. ويوم ٢٥ آذار/ مارس في السنة هذه (٢٠٠٢) نشرت تفاصيل كثيرة عن هذه الاستراتيجيات ستوضع في **نيويوركر** تحت عنوان «The Next World Order» لنيكولاس ليمان (Lemann). وقبل يومين، نشرت تفاصيل هذه الاستراتيجية التي تحدثت عن بعض عناصرها.

نأتي الآن إلى ما يتعلق بالعراق ومن ثم القضية الفلسطينية. العراق يملك ثاني أكبر احتياطي نفطي في العالم؛ وهناك من يعتقد أن الاحتياطي في العراق لا يقل عن احتياطي السعودية إن لم يكن أكثر. وبالتالي فإن موضوع وضع يد أمريكا على نفط العراق قضية تعتبرها أمريكا حيوية وأساسية بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى. والسبب الثاني هو فرض تسوية على الشعب الفلسطيني بشروط أمريكية ـ إسرائيلية وحاجتها إلى ضرب العراق الذي يرفضها(*) ويضع موقف الأنظمة العربية في حرج. والسبب الثالث هو أسلحة الدمار الشامل في ما يتعلق باحتمال خطرها على إسرائيل وعلى استراتيجية أمريكا في المنطقة. لقد اختلقوا قصة طرد العراق للمفتشين في العام ١٩٩٨، وهذا غير صحيح. وأنا هنا لا أتحدث دفاعاً عن العراق فحسب، بل لأن الموضوعية والنزاهة تقتضي قول الحقائق كما هي دون تزوير. في أواخر عام ١٩٩٨، حسب الكتاب الذي نشره باتلر الذي كان آخر رئيس تفتيش، قال إن الولايات المتحدة طلبت منه أن يغادر هو والمفتشون العراق، علماً أن باتلر معيَّن من قبل الأمم المتحدة. وبعد ذلك بأربع وعشرين ساعة بدأ القصف الأمريكي على العراق. العراق لم يطرد المفتشين إذاً. المفتشون هم الذين اختاروا مغادرة العراق. هذا عدا عن أن عدداً كبيراً من المفتشين ـ وحسب إفادة السيد رولف إيكيوس: رئيس فرق التفتيش سابقاً لجريدة سويدية ولهيئة الإذاعة البريطانية (BBC) كان يعمل لحساب المخابرات الأمريكية (CIA)، وكان كثيرون منهم يجمعون معلومات عن تحركات الرئيس العراقي وعن اتصالاته.

إذاً ليس العراق من أخرجهم بل هم من خرج بأمر أمريكي، هذا أولاً. ثانياً بدأ العراق مفاوضات مع الأمين العام، وقدم عدداً من الأسئلة، تسعة عشر سؤالاً لتوضح موقف الأمم المتحدة حولها. للأسف الشديد قدمها العراق باللغة العربية ولم يقم بترجمتها إلى الإنكليزية لكي يطلع عليها الناس. على سبيل المثال بعض الأسئلة التي أراد العراق إجابة عنها من الأمم المتحدة يتعلق بما لدى الأمم المتحدة من ضمانات بأن لا يكون في فريق التفتيش الجديد برئاسة هانز بليكس جواسيس كأولئك الذين دُسُّوا في فرق التفتيش السابقة وباعتراف الأمم المتحدة نفسها. كما كان هناك سؤال عن الضمانات التي يمكن أن يحصل عليها العراق بعدم الاعتداء العسكري عليه من

(*) انظر على سبيل المثال لا الحصر الوثيقة الأمريكية التي نشرت جريدة **الشرق الأوسط** ترجمة عربية كاملة لها عن المقابلة التي تمت في السفارة العراقية في باريس بين هنري كيسنجر، وزير خارجية الولايات المتحدة، والدكتور سعدون حمادي وزير خارجية العراق آنذاك، والموقف الذي عبّر عنه الدكتور سعدون حمادي حول موقف العراق من إسرائيل كدولة. انظر: **الشرق الأوسط**، ٢/ ١/ ٢٠٠٤. ويجد القارئ صورة لها في الصفحة ٢٤٨ من هذا الكتاب. أما النص الأجنبي للوثيقة، فيجده في الصفحة ٢٣٩ من هذا الكتاب.

طرف أمريكا في حال قبوله عودة المفتشين. كما كانت هناك تساؤلات عن موقف الأمم المتحدة من الخرق الأمريكي ـ البريطاني لميثاقها وللقانون الدولي بفرض مناطق حظر جوي في شمال العراق وجنوبه بدون تخويل أو موافقة من الأمم المتحدة، ومن تصريحات مسؤولي الإدارة الأمريكية بأن هدفها تغيير النظام السياسي في العراق.

هناك مناقشات كثيرة حول موضوع مخالفة أمريكا ميثاق الأمم المتحدة وإثارتها موضوع الدفاع عن النفس في حالة الاعتداء أو التهديد بالاعتداء (خطر وشيك). وقيل بوضوح إن العراق لا يمثل تهديداً أو خطراً مباشراً على الولايات المتحدة، وأنه لا صلة له بما حصل في أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، ناهيك بأن ميثاق الأمم المتحدة لا يسمح باستعمال القوة إلا بموجب قرار حسب مقتضيات الفصل السابع، وله شروطه، وهذا ما لا ينطبق على العراق.

الإدارة الأمريكية نفسها مضطربة في هذا الموضوع، قبل ثلاثة أو أربعة أيام قالت كوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي إن العراق على علاقةٍ بموضوع الإرهاب مع القاعدة. وفي اليوم نفسه قال كولن باول إن العراق ليست له علاقة بالقاعدة، والهدف هو توجيه ضربة لأسلحة الدمار الشامل. أمّا تشيني، فقال كلاماً آخر: قال إن العراق مشترك في عمليات القاعدة. وأخيراً قال سكوكروفت ـ الذي كان مستشار بوش الأب ولا يزال أحد المستشارين السياسيين لبوش الابن ـ إن هذا الكلام غير صحيح ولا توجد لدى أمريكا أدلة، بل على العكس إن الرئيس العراقي على قائمة الأشخاص الذين تريد القاعدة اغتيالهم. ففي داخل الإدارة الأمريكية إذاً هذا التناقض في المعلومات. وللأسف الشديد يأخذ الإعلام العربي ما يرسل إليه من الإعلام الأمريكي وغير الأمريكي وينشره كما هو حتى بالعناوين نفسها!

لقد كان الرئيس بوش الابن ينوي مع رامسفيلد والآخرين أن يذهب إلى الحرب على العراق منفرداً، لكن الضغوط الداخلية الأمريكية والضغوط الأوروبية، بما فيها المعارضة البريطانية، كانت تدفع باتجاه عدم تأييده في ضرب العراق إلا إذا كان ذلك من خلال الأمم المتحدة. لهذه الأسباب ذهب إلى الأمم المتحدة يوم ١٢ أيلول/ سبتمبر الحالي (٢٠٠٢)، وطرح عدداً من الطلبات على العراق لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة، وقسم منها لا علاقة له بالأمم المتحدة. فقد أثار موضوع الديمقراطية في العراق، لكن العراق ليس البلد العربي الوحيد الذي ليس ديمقراطيّاً. وأمريكا نفسها تعاملت وتعاونت مع العراق وزودته بالتقانة فيما سمات هذا النظام لم تتغير اليوم عمّا كانت عليه سابقاً.

يقولون أسلحة الدمار الشامل. إن بليكس نفسه يقول إنه لا توجد معلومات من

المفتشين السابقين عن أن العراق يملك أسلحة دمار شامل، ولكن ليس هناك ما يثبت أن العراق لا يملكها، وبالتالي، فذهاب المفتشين هو لإبداء الرأي في الموضوع.

إن لدى أمريكا أربعة خيارات في العراق، وهي في رأيي تخوض فيها جميعاً في وقت واحد. ثلاثة منها ما بين الآن و٥ تشرين الثاني/ نوفمبر القادم. الخيار الأول هو جمع معلومات استخباراتية عن الأماكن التي يتواجد فيها الرئيس العراقي؛ الأماكن التي ينام أو يعمل فيها. وإذا تمكنوا من الحصول على هذه المعلومات سيقومون بهجمة جوية مكثفة بأسلحة يسمونها «Smart Bombs». الخيار الثاني هو اغتيال الرئيس العراقي، والخيار الثالث هو تنظيم انقلاب داخل العراق. وهم أحضروا قوات جوية وقوات مارينز قد يستعملونها لهذا الغرض. والتقدير الأمريكي أن احتمالات نجاح هذا السيناريو لا تتجاوز ١٠ بالمئة إلى ٢٠ بالمئة وربما أقل، وهناك مصادر أخرى غير حكومية تعتقد أن نسبة نجاحه ستكون صفراً.

الخيار الرابع هو ما بعد ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر (موعد الانتخابات النصفية للكونغرس الأمريكي عام ٢٠٠٢)، وسيأتي في حال فشل الخيارات الثلاثة، وهو الخيار العسكري. وحول هذا الخيار سيناريوهات (مشاهد) مختلفة تبحث فيها هيئة أركان القوات الأمريكية في البنتاغون. ويقال إن النتائج التي توصلت إليها هي أن غزو العراق وتغيير النظام فيه يتطلبان حشد قوى عسكرية ضخمة لا تقل عن ٢٠٠ ألف إلى ٣٠٠ ألف من القوات البرية. ولأنها ستكون حرب مدن، في جانب كبير منها، فستكون هناك ضحايا كبيرة بين الجنود الأمريكان. وإذا كان للعراق أسلحة دمار شامل، فالطريقة المضمونة لاستعمالها هو أن يُغْزَى العراق، لأنه إذا كان الرئيس العراقي يعرف أنهم قادمون كي يقضوا عليه، وكانت لديه أسلحة دمار شامل فإنه سوف يستعملها للدفاع عن نفسه وعن نظامه. وكانت توصيتهم ضد هذا الخيار. وقد ذهب رئيس هيئة الأركان وقائد القوات المركزية إلى الرئيس، وأخبراهُ بالأمر، لكنهما قالا: إذا قرر الرئيس غزو العراق فنحن كعسكر مستعدون لتنفيذ ما يقرره الرئيس. هذا الخيار الأخير يهيئون له، ولكن بعد الانتخابات النصفية في ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر. وثمة عوامل عديدة ستحدّد مدى قدرة الأمريكيين على تنفيذ ذلك الخيار، منها النتائج التي ستسفر عنها الانتخابات النصفية في أمريكا، وأوضاع القوات الأمريكية في أفغانستان التي يبدو أنها تزداد سوءاً مع تزايد التفجيرات واغتيال نائب الرئيس... الخ. وإلى تلك العوامل يضاف العامل الاقتصادي في الولايات المتحدة. فالاقتصاد الأمريكي في حالةٍ سيئة الآن؛ البورصات في انخفاض شديد، وأهمية البورصات بالنسبة إلى الرأي العام الأمريكي تعود إلى أن حوالى ٧٠ بالمئة من الشعب الأمريكي لديهم أسهم في البورصة، وهذا جزء من دخلهم. كما أن صناديق التقاعد

تستثمر بعض أموالها في الأسهم، وبالتالي كلما انخفضت قيمة أسهمهم، أثر ذلك في تقاعدهم. وأخيراً بالنسبة إلى القاعدة، فهل ستقوم بعمل آخر الآن أم لا؟ نحن لا نتمنى ذلك، لأن كل النكبات في العالم بتنا ندفع ثمنها. نحن دفعنا من خلال احتلال فلسطين ثمن اضطهاد ألمانيا لليهود، فضاعت فلسطين، أو على الأقل حتى الآن. والقاعدة اليوم سهلت عملية إخراج هذه الاستراتيجية الأمريكية. فما مصلحتنا في عمليات أخرى قد تدفع بجنون الإدارة الأمريكية الحالية إلى نهاياته؟!

ثم ماذا سيحصل للانتفاضة؟ في البداية حاول مستشارون لبوش أن يقنعوه بأنه لا يمكن مهاجمة العراق قبل حل القضية الفلسطينية، ولذلك في البداية نشطوا في هذا الاتجاه. لكن رأي الصقور سرعان ما انتصر. ورأيهم أن الشارع العربي لا يُخاف منه. إنه يَهُبُّ ثم يخمد. فليس من الضرورة حل القضية الفلسطينية قبل غزو العراق، بل على العكس فالقضاء على العراق وعلى النظام الموجود فيه سيساعد على حل القضية الفلسطينية لصالح رؤية أمريكا وإسرائيل، لأن الفلسطينيين سيكونون معزولين، وهذا سيسهل الحصول على ما تُريده منهم الإدارة الأمريكية. ولذلك جمد موضوع فلسطين، ويقال إن صفقة بين شارون وبوش أُبْرِمَتْ بحيث يساعد شارون بوش في انتخابات ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر مع اللوبي الصهيوني، لأنه عادة ما يصوّت ٨٠ بالمئة من اليهود للديمقراطيين، و٢٠ بالمئة منهم يصوتون للجمهوريين. ومقابل هذا يطلق بوش يد شارون في فلسطين باسم «مكافحة الإرهاب». ولمعلوماتكم، فأمريكا نفسها لديها جالية كبيرة من إيرلندا، وفي شمال إيرلندا كانت هناك عمليات تفجير تُوقِعُ الضحايا بين المدنيين يقوم بها من تسميهم بريطانيا **بالإرهابيين** وتسميهم الولايات المتحدة **بالمقاتلين من أجل الحرية**. وكانت تجمع لهم تبرعات لمساعدتهم وتمويلهم، ولم تعتبر أمريكا ذلك مساعدة إرهاب. وهناك أمثلة أخرى.

أما بالنسبة إلى احتمالات الحرب، ففي حدود معلوماتي أن العراق مستعد للحرب حتى لو وقعت غداً، لكن لا يُتوقع أن يستطيع العراق أن يهزم أمريكا بعظمتها وكل التقانة التي لديها، لكنه سيقاوم بقدر ما يستطيع. وهو اتخذ لذلك إجراءات مستفيداً من تجربة حرب ١٩٩١. وعملية دخول المفتشين إلى العراق مجدَّداً ساعدت في أخذ الوهج من خطاب بوش الابن في الأمم المتحدة، وستعطي العراق فرصة زمنية جديدة، لكنها لن تمنع بالضرورة الغزو الأمريكي لأنه كما قلت في البداية هو جزء من مخططات وُضِعَت سلفاً. وفي الوقت نفسه لا يوجد مبرر لمجلس الأمن لاتخاذ قرار بضرب العراق بعد أن قبل الأخير عودة المفتشين إلى أراضيه.

أما بالنسبة إلى القضية الفلسطينية. فأعتقد الآن أنها ارتبطت ارتباطاً وثيقاً مع

العراق. أولاً إذا تصاعدت الانتفاضة ستضعف إمكانية شن أمريكا حرباً على العراق. وإذا سيطرت أمريكا ـ لا سمح الله ـ عليه، فالقضية الفلسطينية للأسف ستتعرض للتصفية بشكل أو بآخر. ويمكن حتى لمشروع شارون الخاص بالترانسفير أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ. المخطط الأمريكي كما ذكرت لا يتعلق فقط بالعراق، فبعد العراق هناك قائمة أهداف أخرى: إيران مستهدفة بضرب كل المنشآت الصناعية التي تدعي أمريكا أنها تقوم بصنع أسلحة الدمار الشامل، وسوريا ولبنان ستُقدَم لهما مطالب محددة إما أن ينفِّذاها وإما أن يُهاجَما.

أمّا السعودية، ولا أعلم تفاصيل الصفقة التي تمت بين بندر وبوش أخيراً، ولكن أتحدث حسب ما هو موجود من معلومات، فسيعاد ترتيب البيت السعودي. ولذلك أيضاً علاقة بنفط العراق، إذ أن إعادة ترتيب البيت السعودي قد تقتضي توقف نفط السعودية لفترة، وبالتالي سيكون على نفط العراق أن يعوِّض النقص الناتج من ذلك التوقف.

وهكذا فبعد أن تنتهي ترتيباتهم في منطقة «الشرق الأوسط» فإنهم سيتوجهون إلى باكستان والهند والصين في آخر المطاف، وبالتالي تكون استراتيجيتهم قد تحققت.

على أن هذه الاستراتيجية ليست قدراً، فهم جرَّبوها مع كوبا كاسترو منذ أربعين عاماً دون فائدة. وعندنا في الدراسات المستقبلية، المستقبل عبارة عن خيارات مختلفة وليس قدراً. وكل خيار من الخيارات له متطلباته وله ثمن معين، والخيار الذي نختاره يعتمد على مدى رغبتنا وقدرتنا على دفع الثمن.

بقي أن نتساءل عن الموقف العربي وإمكانياته. للأسف الشديد بدا لأول وهلة بعد اجتماع القمة، وبعد اجتماع وزراء الخارجية العرب، أن العرب اتفقوا على اعتبار أي اعتداء على أي بلد عربي هو اعتداء على الكل، ورفضوا التهديد الأمريكي بغزو العراق. لكن بعد خطاب بوش في مجلس الأمن، كشف قسم من الأنظمة العربية عن أوراقه الحقيقية، وأكَّد ما قاله ديك تشيني من أن الحكام العرب يقولون له شيئاً ويصرحون لشعوبهم وللعالم بشيء آخر! هكذا تَسَرَّع بعض الحكومات العربية في كشف الأوراق للأسف الشديد، فقال إنه سيؤيد عملية عسكرية ضد العراق إذا أجازها مجلس الأمن! حتى الأردن، وبرغم المعاملة السيئة للغاية التي عومل بها أخيراً مع بوش، يذهب في هذا الاتجاه! وهناك معلومات عن القواعد الأردنية التي وضعت للاستخدام ضد العراق. ولديَّ النص الذي قال فيه الملك عبد الله الثاني أن العراق يتحمل مسؤولية ما سيحدُث له إذا لم يطبق قرارات الأمم المتحدة!

ماذا نستطيع أن نفعل؟ أنا أعتقد أن فهناك حاجة إلى تحريك الشارع العربي على

أوسع نطاق للضغط على الأنظمة. فهناك اتفاقيةٌ للدفاع العربي المشترك صدرت عام ١٩٥٠. وأكاد أجزم أن معظم ـ حتى لا أقول كل – الحكام العرب لا يعرفون عنها شيئاً ولم يقرأوها. الاتفاقية هذه تنص على ضرورة ردّ العدوان على أي بلد عربي بوصفه عدواناً على كافة الدول العربية. وقد وقّعت عليها الدول العربية كافة. وعليه، فالمطلوب من الشارع العربي أن يضغط على الأنظمة لتفعيل هذه الاتفاقية. وفي أضعف الأحوال لمنع الأنظمة العربية من تقديم الدعم أو التسهيلات أو القواعد الموجودة فيها للعدوان.

والمطلوب من العراق أيضاً أن يهتم بالوضع الداخلي. فلا بد من أن يشعر العراقيون أنهم في مقاومتهم للأمريكان إذا غزوا بلادهم، يدافعون عن وطن وليس عن حزب أو شخص. عندما دخل الغزاة النازيون إلى الأراضي السوفياتية وحاصروا مدينة ستالينغراد، لم يقل ستالين للسوفيات دافعوا عن الحزب الشيوعي السوفياتي، بل دافعوا عن وطنكم. ومن هذا المنطلق، فالقيادة العراقية بحاجة لِتُطَمْئِنَ الشعب العراقي على مستقبله الديمقراطي. يجب أن تكون هناك حرية وتعددية سياسية وصحافة حرة حتى يشعر كل عراقي أن لديه شيئاً يدافع عنه، وأن لديه أملاً في المستقبل.

العراق بحاجة إلى أن يرتب علاقاته العربية بشكل أفضل. ومصر بحاجة إلى تفعيل دورها. للأسف الشديد فالقيادة المصرية، تحت ضغوط أمريكية أو هي متصورة أنها تحت الضغوط الأمريكية، شبه مشلولة، والدور الذي كانت تأخذه حتى الآن هو أقرب إلى دور تسويق السياسة الأمريكية في المنطقة وليس العكس. ولا نستطيع أن نغير القيادة أو ننتظر تغيير القيادة في مصر. يقول الرئيس مبارك إن قيمة المساعدات الأمريكية الفعلية لا تزيد عن ٥٠٠ مليون دولار. هي ملياران، لكن أكثرها يذهب مع الخبراء والقروض إلخ. فإذا أمكن لجهة عربية أو أكثر أن توفِّرَ لمصر بشكل مضمون وغير خاضع للابتزاز هذه المساعدة يمكن أن تُحرِّك مصر وتفعّل دورها. وأنا أعتقد أنه أخذاً بنظر الاعتبار الضغوط على الدول النفطية، فإن العراق ـ في رأيي – هو الوحيد الذي يمكن أن يوفر هذا البديل. وكان للعراق في أواخر عام ١٩٩١ اقتراح قيام اتحاد فدرالي بين العراق وسوريا والأردن وفلسطين، ويكون مفتوحاً لانضمام مصر وغيرها في ما بعد، على أن يخصّص العراق عائد مليون برميل يومياً، أي حوالى ستة أو سبعة مليارات دولار لمصر وسوريا والأردن وفلسطين وقد وافق عليه الرئيس صدام، غير أن الرئيس حافظ الأسد رحمه الله لم يستجب للاقتراح الذي نقلتُه إليه.

يبقى موضوع الكويت. الكويت لديها قضية تسميها الأسرى، والعراق يسميهم

المفقودين. يقولون إن لدى العراق ٦٠٠ شخص، يجب عليه أن يكشف عن مصيرهم. والعراق يتساءل ما الذي يُفيده إبقاء هذا العدد من الأشخاص، وهو أعاد آلافاً منهم وقسم منهم ضباط كبار؛ وهو الذي وافق على تخطيط الحدود بينه وبين الكويت. ولأول مرة في تاريخ مجلس الأمن تحدد الحدود بين دولتين، على الرغم مما لحق حقوقَه في الخليج من إجحافٍ بسبب ذلك. وهناك لجنة من الأمم المتحدة ومجلس الأمن ممثل فيها إلى العراق السعودية والكويت، وفيها عضو أمريكي وآخر بريطاني وعضو فرنسي على ما أظن. ويعتقد العراق أنه ما دام هناك عضوان أمريكي وبريطاني فلن يَسْمَحَا بحلّ المشكلة، وسيضعان عقبات. فلندع الكويت تختار أية لجنة ثانية عربية دولية محايدة. الكويت تقول إنها لا تريد أن تخرج عن قرار مجلس الأمن في اتجاه لجنة أخرى لا تستند إلى قرار مجلس الأمن. أنا أعتقد أنه على العراق أن يحاول أن يقدم أية معلومات ممكنة عن هؤلاء الأشخاص. هو يدعي أنه ليست لديه أية معلومات، ولكن يمكنه إعلان أسمائهم ومن لديه معلومات عنهم يُمنَح مكافأة مثلاً. ومن الإنصاف أن نسجل للعراق استعدادَهُ استقبال الصليب الأحمر، ومنظمة العفو الدولية، والمنظمة العربية لحقوق الإنسان للنظر في هذه المسألة التي أعتقد أن قسماً من الكويتيين له مشاعر حقيقية تجاهَها لا ينبغي أن تغطيه محاولة قسم آخر منهم استغلالها لمجرَّد إدامة الحصار على العراق.

أعتقد أن هناك حاجة لتحريك الشارع العربي. وثمة أشياء يمكن أن نقوم بها: المقاطعة، ودعم الانتفاضة، والضغط على الحكومات. إن هذا الموقف المخزي للحكومات الذي ظهر في الأيام الأخيرة لا يمكن السكوت عنه، ويجب على كل واحد أن يقوم بدور في هذا الموضوع. ثم يجب أن نهتم بالغرب، وبالرأي العام الغربي. فهذا يحتاج منّا إلى لغة مختلفة. ويجب أن نوقف هذا الوهم من أن هناك إعلاماً داخلياً وآخر خارجياً، فالإعلام واحد، وكل ما يقال في الداخل يُذَاع في الخارج. على سبيل المثال السيد طه ياسين رمضان قال عن هانز بليكس (رئيس هيئة المفتشين على أسلحة الدمار الشامل في العراق المقترح) أنه جاسوس. يا أستاذ يا كريم، أنت بعد شهر قد تستقبله في بغداد، فكيف ستتعامل معه بعد ذلك؟ إن مثل هذا الكلام لم يعد جائزاً، ولا أحد يمكن أن يفهمه في العالم الخارجي!

بالنسبة إلينا، هناك اتجاه لعقد مؤتمر قومي عربي استثنائي في بيروت يوميْ ١٠-١١ تشرين الأول/أكتوبر القادم (٢٠٠٢) وستعرض عليه قضية الانتفاضة الفلسطينية والقضية الفلسطينية وقضية العراق وقضية القرار الخاص بسوريا (قانون محاسبة سوريا) الذي بدأ الكونغرس يناقشه وموضوع لبنان والمياه والمقاومة، والقضية السودانية.

وهنالك محاولة جادة يوم ٢٨ من الشهر الحالي، بمناسبة ذكرى الانتفاضة ولدعم العراق، أن تكون هناك مظاهرات شعبية سلمية في معظم العواصم العربية وفي بريطانيا وهولندا وواشنطن. وهناك محاولة أخرى للتنسيق بين موضوع الانتفاضة وبين القضايا العربية الأخرى، وستجتمع لجنة تحضيرية على هامش المؤتمر القومي العربي الاستثنائي للتنسيق بين فلسطينيي ١٩٦٧ وفلسطينيي ١٩٤٨ وفلسطينيي الشتات والمؤتمر القومي العربي في ما يتعلق بالساحات العربية المختلفة، وأن يعقد مؤتمر كبير بعدها يضم حوالى ١٠٠ شخص، وتشكل لجنة أو هيئة تنسيقية لكي تكون حركة الشارع العربي حركة منسجمة وفي وقت واحد. والآن نحن بصدد إعداد أوراق عمل واقتراحات فيما يجب أو يمكن عمله. أنا أعتقد أن هناك أولوية لمنع غزو أمريكا للعراق ودعم الانتفاضة. إن القضية لا تخص العراق ـ أؤكد مرة أخرى ـ بل تخص كل العرب وتخص غير العرب مثل إيران وتركيا. وبالنسبة إلى العرب، لا تخص العراق فحسب، بل تخص سوريا ولبنان والسعودية ومصر، وكل هذه الأقطار مهددة، وسيعاد ترتيب شؤونها إذا احتُلَّ العراق. وقد نعود إلى مرحلة نهاية الحرب العالمية الأولى والاستعمار المباشر، ونعود إلى الصفر في قضية التخلص من الاستعمار لا سمح الله، أو إلى المرحلة التي قبلها المرحلة العثمانية عندما كان السلطان يعيّنُ والياً هنا أو هناك. وقد يمتد العقاب فيشمل كافة المؤسسات الوطنية والقومية المناهضة للسياسة الأمريكية بما فيها المؤسسات العلمية العربية.

شكراً سيدي الرئيس.

المناقشات

نهى الحسن

في الحقيقة نحن عاجزون عن الشكر لهذه المعلومات الغنية والهامة التي أدلى بها الدكتور خير الدين حسيب، ونشكره ونقدر له كل التقدير ما أدلى به من رؤية للهجمة الأمريكية على المنطقة وواقع الوطن العربي. والآن نفتح باب النقاش.

سليم الحص

شكراً د. حسيب على هذه المحاضرة القيمة، لقد أغنانا بمعلوماتها الموضوعية بالفعل. وقد سلط الأضواء على كثير من التفاصيل التي تغني الموضوع، فشكراً لك يا د. خير الدين حسيب. فقط أريد أن أبدي ملاحظة صغيرة. من سياق ما قاله د. خير الدين حسيب نفهم أن الحملة الأمريكية ذات أهداف إسرائيلية أو صهيونية. وهذا يعني أن إسرائيل وأمريكا متوافقتان على السياسة ذاتها. يبدو وكأنه ليس

لأمريكا استراتيجية خاصة بها في «الشرق الأوسط»، بل هناك استراتيجية إسرائيلية تتبناها أمريكا في سياستها الخارجية. وهو ما يعني أن الحملة إسرائيلية وليست أمريكية.

خير الدين حسيب

الأخ الرئيس، أنا لا أميل إلى هذا. أنا أعتقد أن هناك لقاء مصالح ما بين الولايات المتحدة وإسرائيل. وفي داخل الولايات المتحدة هناك لوبي كبير من اليهود الصهاينة متغلغل في المراكز المختلفة ويشارك في صنع القرار. وليس من شك في أن إسرائيل ستكون إحدى الأدوات الرئيسية للاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، سواء في العراق أو في فلسطين. وأخشى ما أخشاه أن تدفع القضية الفلسطينية ثمن هذا الحلف الأمريكي ـ الإسرائيلي، وبخاصة في هذه المرحلة التي يشكل فيها ضرب العراق أفضل فرصة لتحقيق المشروع الصهيوني ما لم يستطع استكمال تحقيقه.

عصام نعمان

هناك أخطار كما قرأنا في صحيفة **الحياة** وفي صحيفة إسرائيلية هي **يديعوت آحرونوت**. في صحيفة **الحياة**، كتب مراسلها في عمان سلامة نعمات مقالة ضمنها معلومات خطيرة من قبيل أن الطائرات الأمريكية الحربية ضربت في الآونة الأخيرة ليس فقط الدفاعات الجوية العراقية ولكن قواعد الاتصالات والسيطرة والتحكم التي تمد الدفاعات الجوية بالمعلومات والتعليمات، وأن من شأن ذلك إزالة كل الدفاعات الجوية العراقية على حدود العراق الغربية والجنوبية والشمالية، وهذا يعتبر بمثابة بدء للحرب. أكثر من ذلك قال إن قوات أمريكية برية أو مظليين هبطوا في المواقع التي جرى تدميرها للدفاعات الجوية العراقية. هذا ما قالته جريدة **الحياة** بلسان مراسلها في عمان. أما جريدة **يديعوت آحرونوت**، فقالت منذ أيام أن ضربة العراق ضربة تكتيكية، وأن الضربة الاستراتيجية فستكون للسعودية. أما في النهاية فإن المكافأة أو الجائزة الكبيرة هي مصر. أود منك أخي د. خيري أن تعلق، هل تعتبر ما قالته الصحيفتان من قبيل التضليل الذي أشرت إليه من أن أمريكا تعتمد في هذه الآونة تضليل العرب ببعض المعلومات والأخبار، أم هو حقيقة؟ وما تعليقك في هذا المجال، وشكراً.

خير الدين حسيب

دكتور عصام، لو كنتُ في الإدارة الأمريكية لأمكنني أن أجيبك. لكن في حدود المعلومات المتاحة: أولاً في ما يتعلق بضرب مراكز الدفاع الجوي العراقي، هذا

حصل، وأمريكا وبريطانيا زادتا الطلعات في مناطق الحظر الجوي والغرض الأساسي هو امتحان إمكانيات الدفاع الجوي، لأن العراق لأكثر من مرة نجح بأن يحسِّن دفاعاته الجوية. فهم يريدون أن يعرفوا مقدار ما حصل من تقدم في الدفاعات الجوية بالمقارنة مع عام ١٩٩١. والعراق شعر بهذا، وهو في حدود معلوماتي لا يستعمل الأجهزة المحسنة التي حصل عليها، لكي لا يدع المجال للأمريكان ليعرفوا مسبقاً مدى قدرته الدفاعية. أما المطار الذي قُصف في الموصل وفي القاعدة الجوية «H3»، فقد قُصف الرادار فقط، والمطار نفسه لم يقصف.

في ما يتعلق بموضوع مصر، مصر واردة في المخطط، مصر هي مركز ثقل عربي أساسي، وتمثل حوالى ٢٨ بالمئة إلى ٣٠ بالمئة من سكان الوطن العربي، ناهيك بالإمكانيات الثقافية والعسكرية وغيرها، فالجائزة أفهمها أنا بهذا المعنى، الجائزة مصر. ما يحدث في مصر خيراً أو شراً يتأثر به كل الوطن العربي.

موضوع السعودية مطروح، وهناك مقالة في الـ «*Foreign Affairs*» حول النفط السعودي. وليس النفط السعودي وحده ما يستهدفونه. فهناك سعي أمريكي إلى السيطرة على النفط في آسيا الوسطى والقوقاز. وهناك معلومات من مصادر أمريكية، عن مشروع مدّ خط أنبوب من آسيا الوسطى إلى أفغانستان ثم باكستان... وفي أفريقيا سيطروا على البلدان التي يوجد فيها نفط، وآخرها السودان الذي يريدون السيطرة عليه، وتركوا البلدان الفقيرة التي لا يوجد فيها نفط، وفيها الإيدز والفقر وغيرهما، تركوها لأخينا معمر القذافي ليعطيها المال.

نهى الحسن

لدي ثلاثة أسئلة(*) موجهة إليك د. حسيب.

السؤال الأول: ما رأيك في اقتراح الرئيس مبارك على الرئيس صدام حسين أن يتخلى عن الحكم وأن يلجأ مع عائلته وأعوانه إلى مصر وضمان سلامته كما حصل لشاه إيران، أليس في ذلك حل لتجنب ضرب العراق؟

خير الدين حسيب

هذا ينطبق على كل الحكام العرب، وهو مبدأ خطير إذا سُمح بتطبيقه على العراق فيمكن أن تطبقه الولايات المتحدة على أي حاكم عربي آخر لا يعجبها!

(*) تولت د. نهى الحسن تلاوة أسئلة الحضور الموجهة إلى د. خير الدين حسيب.

نهى الحسن

السؤال الثاني، من أ. مروان: ذكرت أكثر من مرة بأن العراق عقبة أمام التسوية، فلتوضح ذلك، في رأيك هل هناك إعادة تقسيم للمنطقة العربية؟

خير الدين حسيب

في حدود معلوماتي وقد أكون مخطئاً، لا يوجد مشروع لتقسيم العراق، بل المشروع هو السيطرة على العراق. إسرائيل تريد التقسيم، لكن أمريكا ليست في هذا الوارد. ومن التجربة التاريخية، بلد موحد تكون السيطرة عليه نفطياً أفضل من أن يكون مقسماً، فتتعامل مع أكثر من حكومة أو دولة فيه.

نهى الحسن

هل هناك أطماع تركية؟

خير الدين حسيب

في السياسة الخارجية والدولية لم تعد هناك مبادئ ولا أخلاق، هناك مصالح. قبل حرب الخليج الثانية، نصف صادرات تركيا كانت تذهب إلى ثلاثة بلدان عربية وبالذات: العراق وليبيا والسعودية. هذا فضلاً عن النفط والأيدي العاملة. وهذا يعني أن مصالحها الاقتصادية هي مع المنطقة العربية.

نهى الحسن

السؤال الثالث: إذا كان العامل الاقتصادي يحمل الإدارة الأمريكية الحالية على ضرب العراق لاحتلال منابع النفط، وبالتالي للسيطرة الاقتصادية، فلماذا برأيك لا يتصدى الأوروبيون والآسيويون فعلياً لهذا المخطط الذي يدعمونه، فهل أصابهم ما أصاب العرب من عدم إدراكٍ لمصالحهم ومن عجزٍ، كيف لا يدافعون عنها؟

خير الدين حسيب

الدول الأوروبية تحاول، ولكن كما يقول المغاربة: الله غالب. هم يحاولون؛ ولكن مثلما لديهم مصالح مع المنطقة العربية، لديهم مصالح مع أمريكا. موقفهم من القضية الفلسطينية أفضل بكثير. مؤخراً المشروع الذي قدمته الدول الأوروبية وتبناه الأربعة: روسيا والاتحاد الأوروبي وأمريكا وممثل الأمم المتحدة. في الأساس مشروع أوروبي. لكن الآن جرى إحياؤه ووضعوا له خطة لثلاث سنوات. وأنا أعتقد أنه أحد جوانب الصفقة التي تمت بين بندر بن سلطان وبين بوش، حتى تستطيع السعودية

أن تشترك مع أمريكا في ضرب العراق، يحركون لها القضية الفلسطينية، ويوهمون الفلسطينيين أنهم قدموا لهم شيئاً. هذه المعلومات المتوافرة لدي، وقد أكون على خطأ.

نهى الحسن

سؤال: د. حسيب، نتذكر منذ سبعة أشهر عندما هاجمت أمريكا بعض الشيء السعودية. وكان الإسرائيليون تحدثوا عن أن لهم أصولاً تاريخية في الجزيرة العربية. فهل هناك علاقة لهذا بذاك؟

خير الدين حسيب

لا يهتم الأمريكيون بالتاريخ كثيراً لأنه لا تاريخ لهم. هناك مصالح. واعتقادي أنه حتى لو أبرم بندر صفقة معهم فعلاً، وحتى لو طَمْأَنَ ذلك السعوديين فسيأتون إليهم. الشريف حسين رحمه الله وعده الإنكليز بوحدة عربية ودولة عربية. فماذا حدث من هذا؟

نهى الحسن

سؤال: أشكر د. حسيب على ما قاله. أحب أن أقول إن أكثر الناس التي تتضرر مصالحُها هي من العرب. والعرب نوعان: شحاذون أو أصحاب أموال وهؤلاء الأخيرون أموالهم موجودة في أمريكا وأوروبا وغيرها، فما مصلحتهم في معاداة أمريكا وأوروبا التي قد تستولي على أموالهم؟ نحن بدل أن نحرك الشارع العربي، بدل أن تكون لدينا الجرأة كي نقول إن الحاكم الفلاني جاسوس والفلاني خائن، لماذا نتلطى دائماً ببعض الأشياء التي نبررها بأن مصالحنا تقتضي ذلك؟ نحن قبل أن نطلب من الآخرين أن يساعدونا فلنساعد أنفسنا، ونحن قادرون على حماية أنفسنا.

خير الدين حسيب

كل واحد عليه مسؤولية أن يقوم بواجبه. في ما يتعلق بطريقة التعبير أنا أميل إلى استعمال لغة حضارية حتى في نقد الأمور. أنت تستطيع أن تعبر بنفس الخطاب أو بلغة أو بجملة حضارية، فأنا معك. لكن في الظروف الحالية ما هو المتاح أمامنا غير توعية الناس حتى تستطيع أن تدافع عن مصالحها؟

نهى الحسن

سؤال: قلت إن مصالح تركيا هي أكثر من ٥٠ بالمئة منها مع الدول العربية.

خير الدين حسيب

كان ذلك قبل حرب الخليج الثانية في العام ١٩٩١.

نهى الحسن

سؤال: العلاقات التركية ـ الإسرائيلية أليست مصمَّمَة لضرب العراق ولضرب الأسلحة النووية في إيران ولضرب الأسلحة في سوريا، ما رأيك؟

خير الدين حسيب

أعتقد أن سوريا قامت بدور كبير في تفادي ضربة من تركيا، وتعمل بشكل عقلاني ومدروس لتحسين العلاقات السورية ـ التركية. أنا بنفس المنطق أفكر في العلاقة بتركيا. تركيا بلد مسلم وصديق، أو بالأحرى نحتاج إلى أن يكون صديقاً، أما إسرائيل فعَدُوّ. ثم لا ينبغي لك أن تنسى أن تركيا عضو في حلف الأطلسي، وهناك قواعد أمريكية في تركيا، وهي تتلقى مساعدات من أمريكا، فضلاً عن أن ديمقراطيتها لم تمنع المؤسسة العسكرية من أن تتدخل بقوة في الحياة السياسية التركية لتحقيق ما يسمى الحفاظ على مبادئ الجمهورية التركية.

نهى الحسن

نقدر مرة أخرى مساهمتك معنا في هذا اللقاء، ونشكرك د. خير الدين حسيب على تلبية الدعوة.

(٣)
الحرب الأمريكية على العراق... إلى أين؟(*)

نكتب هذه السطور ونحن في اليوم الثاني عشر من هذه الحرب التي تشنها الولايات المتحدة وبريطانيا (مع مساهمة رمزية من أستراليا) على العراق. فهل هي فعلاً حرب ظالمة ولأهداف تتجاوز العراق؟ وما هو موقف العرب منها؟ وما هي نتائجها الأولية حتى الآن؟ وما هي احتمالات المستقبل؟

أولاً: قانونية الحرب وأهدافها

١ ـ تشن هذه الحرب على العراق خلافاً لميثاق الأمم المتحدة، الذي أعطى للدول **حق الدفاع عن النفس** إذا ما تعرضت الى **اعتداء مسلح** عليها أو تعرضت الى **تهديد وشيك** (Immediate Threat)، وهي شروط لا تتوفر في حالة العراق، حيث لم يقم باعتداء مسلح على الولايات المتحدة و/ أو بريطانيا، كما أنه لا يمثل تهديداً وشيكاً لها. كما تشن الولايات المتحدة وحليفتها هذه الحرب على العراق من دون موافقة من مجلس الأمن وبعد أن فشلت في الحصول على تخويل منه لمثل هذه الحرب.

٢ ـ تتجاوز هذه الحرب العدوانية على العراق أهدافها المعلنة وغير المعلنة العراق فقط، وتتجاوز تدمير القوة العسكرية للعراق، الى الحفاظ على أمن اسرائيل وعدم تهديد استراتيجية امريكا وأهدافها في المنطقة والسيطرة على نفط العراق ضمن استراتيجية أوسع للسيطرة على نفط العالم بشكل أو آخر، لاستعماله كورقة اقتصادية ـ سياسية تتحكم من خلال تحديد تدفقاته وأسعاره في فرض استراتيجيتها العالمية وسياساتها، كقوة كبرى وحيدة في العالم، على أوروبا واليابان والصين وغيرها المستوردة للنفط والمعتمدة اقتصادياً عليه؛ «وإعادة رسم خريطة الشرق

(*) نشرت هذه الدراسة للدكتور خير الدين حسيب في: **المستقبل العربي**، السنة ٢٥، العدد ٢٩٠ (نيسان/ أبريل ٢٠٠٣)، ص ٦ ـ ٢٣.

الأوسط بما يضمن ويحافظ على المصالح الأمريكية» وهو ما صرح به وزير خارجيتها أمام الكونغرس الأمريكي قبل فترة قصيرة من بدء هذه الحرب.

ونخرج من هذا كله الى أن أهداف هذه الحرب تتعدى العراق، وهي بداية لتغيير النظام الدولي وتحكم الولايات المتحدة به، وأن هذا التغيير لن يقف عند حدود العراق، بل من المتوقع أن يتجاوزه الى سوريا ولبنان ودول عربية أخرى ومن ضمنها السعودية ومصر، ثم ايران، ومن بعدها الى كوريا الشمالية وباكستان والهند، وآخره الصين على المدى الأبعد. وفي هذا الإطار الأوسع، يجب فهم هذه الحرب العدوانية على العراق، وموقف الأطراف العربية والإقليمية منها، ثم موقف دول العالم الأخرى المستهدفة جميعاً منها بدرجات وتوقيتات مختلفة.

ثانياً: الموقف العربي بين الواجب والواقع

وإذا كانت هذه هي الأهداف من هذه الحرب التي بدأت بالعراق لتتجاوزه الى أقطار عربية أخرى بأشكال مختلفة، فما هو الموقف العربي منها؟ وما الذي يحدد واجبات العرب جميعاً في مثل هذه الحالة؟

١ ـ الواجب العربي في الحرب على العراق

أ ـ من **ناحية الالتزامات القانونية العربية البحتة في مثل هذه الحالة**، فقد حددت معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية، والتي انضمت اليها وصادقت عليها جميع الدول العربية الحالية، تلك الالتزامات في ثلاث مواد رئيسية:

فقد نصت **المادة الثانية** من المعاهدة، في حالة تعرض أي من الدول العربية إلى اعتداء مسلح عليها، على ما يلي:

«تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو أكثر منها، أو على قواتها، اعتداء عليها جميعاً. ولذلك فإنها عملاً بحق الدفاع الشرعي - الفردي والجماعي - عن كيانها، تلتزم بأن تبادر إلى معونة الدولة أو الدول المعتدى عليها، وبأن تتخذ على الفور، منفردة ومجتمعة، جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل، بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما».

كما نصت **المادة الثالثة** من المعاهدة، في حالة تعرض أي من الدول العربية الى تهديد بالاعتداء عليها على ما يلي:

«تتشاور الدول المتعاهدة فيما بينها، بناء على طلب إحداها كلما هددت سلامة أراضي أية واحدة منها أو استقلالها أو أمنها . وفي حالة خطر حرب داهم أو قيام حالة

دولية مفاجئة يخشى خطرها، تبادر الدول المتعاقدة على الفور إلى توحيد خططها ومساعيها في اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يقتضيها الموقف».

كما منعت المادة الثالثة من المعاهدة أياً من الدول العربية الدخول في اتفاقات مع دول أخرى غير عربية تتناقض مع التزاماتها في هذه المعاهدة، حيث نصت على ما يلي:

«تتعهد كل من الدول المتعاقدة بألا تعقد أي اتفاق دولي يناقض هذه المعاهدة، وبألا تسلك في علاقاتها الدولية مع الدول الأخرى مسلكاً يتنافى مع أغراض هذه المعاهدة».

إن القانون الدولي يفرض **أولوية الاتفاقات الإقليمية** (وبينها ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع المشترك في إطارها) على الاتفاقات الثنائية بين أي دولتين. ومن المؤكد أنه في حالة إرغام أي من الدول الداخلة في اتفاقات ثنائية تتعلق بالقواعد أو التسهيلات أو ما شابهها من جانب الطرف الآخر فيها (الولايات المتحدة) **على استخدامها ضد إرادتها**، يكون من واجبها أن تعلن عن ذلك **وتعرض الأمر في شكوى مباشرة إلى مجلس الأمن.**

يتضح من كل ما سبق، **أن على الدول العربية جميعاً أن تشارك في الدفاع عن العراق، بما في ذلك المشاركة العسكرية، وأن الحرب الأمريكية على العراق تعتبر حرباً عليها جميعاً، وانه ليس من حقها عقد اتفاقات ثنائية مع دول غير عربية تهدّد الأمن القومي العربي، ناهيك عن تحريم استعمال أية تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة تتضمنها تلك الاتفاقات في الاعتداء على العراق.**

ب ـ **أما الواجب العربي من حيث القرارات العربية على المستويات المختلفة** التي اتخذتها جامعة الدول العربية ومؤتمرات القمة واجتماعاتها على مستوى وزراء الخارجية حول الموضوع، فيمكن تلخيصه بما يلي:

(١) قرارات مؤتمر القمة العربي الذي عقد في بيروت (إعلان بيروت)، ولا سيما القرار رقم ٢٢٧ تاريخ ٢٨ آذار/ مارس ٢٠٠٢، فيما يتعلق **بالتهديدات الأمريكية للعراق** والتي نصت على ما يلي:

ـ «يطالب القادة باحترام استقلال وسيادة العراق وأمنه ووحدة أراضيه وسلامته الإقليمية».

ـ «يرحب القادة باستئناف الحوار بين العراق والأمم المتحدة الذي بدأ في جو ايجابي وبناء استكمالاً لتنفيذ قرارات مجلس الأمن ذات الصلة».

ـ «ويطالبون برفع العقوبات عن العراق وإنهاء معاناة شعبه الشقيق بما يؤمن الاستقرار والأمن في المنطقة».

ـ «تدارس القادة **التهديد بالعدوان** على بعض الدول العربية **وبصورة خاصة العراق وأكدوا رفضهم المطلق ضرب العراق** أو تهديد أمن وسلامة أية دولة عربية باعتباره تهديداً للأمن القومي لجميع الدول العربية» .

(٢) قرارات اجتماع مجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزاري في الدورة غير العادية بشأن النظر في التطورات والاحتمالات الخطيرة التي تواجه المنطقة العربية رقم ٦٢٥٧ بتاريخ ١٠/ ١١/ ٢٠٠٢، فيما يخص العراق:

ـ «إن مجلس الدول العربية على المستوى الوزاري المنعقد في مقر الأمانة العامة بدورته غير العادية بتاريخ ١٠/ ١١/ ٢٠٠٢ بعد أن تدارس تطورات المسألة العراقية في ضوء القرار رقم ١٤٤١ عن مجلس الأمن بتاريخ ٨/ ١١/ ٢٠٠٢،

ـ وانطلاقاً من التزامه بمبادئ وأهداف ميثاق الأمم المتحدة وأحكام القانون الدولي، وتأسيساً على التزام الدول العربية بميثاق جامعة الدول العربية كافة معاهداتها،

يقرر:

١ ـ التأكيد على قرارات مجلس الجامعة وعلى رأسها القرار رقم ٢٢٧ الصادر عن قمة بيروت بتاريخ ٢٨/ ٣/ ٢٠٠٢ وكذلك قرار مجلس الجامعة الوزاري رقم ٦٢١٦ بتاريخ ٥/ ٩/ ٢٠٠٢.

٢ ـ بعد أن اطلع المجلس على قرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ (٢٠٠٢) يرحب بما ورد فيه من أن مجلس الأمن هو المرجعية المناط بها تقييم تقارير المفتشين ويأخذ بعين الاعتبار ما صدر من بيانات أمام مجلس الأمن من أن هذا القرار لا يشكل أساساً للجوء إلى استخدام القوة العسكرية ضد العراق، ويطالب الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن التي قدمت تطمينات للجمهورية العربية السورية، العضو العربي في مجلس الأمن، بالالتزام بما تقدمت به من أن القرار لا يشكل ذريعة لشن الحرب على العراق ولا يتضمن التلقائية للجوء إلى العمل العسكري.

٣ ـ الترحيب بقبول العراق عودة المفتشين الدوليين بدون شروط والمطالبة بمواصلة التعاون بين الأمم المتحدة والعراق لحل كافة المشاكل العالقة بصورة سلمية تمهيداً لرفع العقوبات عن العراق وانهاء الحصار المفروض عليه ووضع حد لمعاناة شعبه.

٤ ـ مطالبة فرق المفتشين بممارسة مهامها بمهنية وبكل حياد وموضوعية وعدم

الإقدام على أي أعمال استفزازية، وذلك لضمان مصداقية عملها والمطالبة بمشاركة خبراء عرب في فرق المفتشين.

٥ ـ استمرار التزام الدول العربية بالحفاظ على أمن وسلامة العراق وسيادته ووحدة أراضيه بنفس قدر الالتزام بالحفاظ على أمن وسلامة وسيادة الدول العربية كافة، وتأكيد استمرار رفض الدول العربية المطلق ضرب العراق باعتبار ذلك تهديداً للأمن القومي لجميع الدول العربية.

٦ ـ دعوة مجلس الأمن امتداداً لما قام به لإزالة أسلحة الدمار الشامل في العراق الى إلزام اسرائيل بتنفيذ قرارات الشرعية الدولية والمطالبة بالإسراع في تنفيذ الفقرة الرابعة عشرة من قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ (١٩٩١) الخاصة بإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل وبوجه خاص إزالة أسلحة الدمار الشامل الإسرائيلية لما تشكله من تهديد للأمن القومي العربي وللأمن والسلم الدوليين.

٧ ـ الطلب إلى الأمين العام مواصلة جهوده ومتابعة الاتصالات مع الحكومة العراقية والأمم المتحدة وغيرها من الأطراف المعنية في هذا الشأن».

(٣) قرارات اجتماع مجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزاري بدورته غير العادية حول العراق، بتاريخ ١٦/ ٢/ ٢٠٠٣:

ـ «التزام الدول العربية **بالحفاظ على أمن وسلامة جمهورية العراق** ودولة الكويت، **ووحدة أراضيهما، ورفض الدول العربية للعدوان على أي منهما أو تهديد أمن وسلامة أية دولة عربية باعتباره تهديداً للأمن القومي لجميع الدول العربية مثلما هو تهديد للسلم والأمن الدوليين.**

ـ التأكيد على **ضرورة امتناع دولهم عن تقديم أي نوع من المساعدة والتسهيلات لأي عمل عسكري يؤدي إلى تهديد أمن وسلامة العراق ووحدة أراضيه.**

ـ **الترحيب باستمرار تعاون العراق مع المفتشين** وبناء أرضية من الثقة المتبادلة، تقوم على أساس أن تعاون العراق مع المفتشين بغية إنجاز مهامهم بأسرع وقت ممكن سوف يصب في مصلحة جميع الأطراف. وبالمقابل **فإن مواصلة المفتشين لعملهم بموضوعية ونزاهة** أمر سيشجع على الوصول إلى نتائج مرضية، ويسهل تجاوز العقبات والصعوبات التي يمكن أن تعترض تعاون الجانبين . ويحثون أعضاء مجلس الأمن على **منح المفتشين الوقت الكافي لإنجاز مهامهم التي حددها المجلس** لتنفيذ القرار ١٤٤١.

ـ يدعو الوزراء مجلس الأمن الدولي إلى **تفعيل قراراته ذات الصلة، وبخاصة الفقرة ٢٢ من القرار ٦٨٧** (١٩٩١) التي تنص على **رفع الحصار المفروض على**

العراق، ويؤكدون تضامنهم مع الشعب العراقي الذي عانى من الحصار منذ أكثر من عقد من الزمن... كما يدعو مجلس الوزراء إلى **تنفيذ الفقرة ١٤ من القرار المذكور** التي تنص على جعل الشرق الوسط منطقة خالية من **جميع أسلحة الدمار الشامل،** النووية، والجرثومية، والكيميائية، **دون استثناء أي دولة بما في ذلك إسرائيل** التي تمتلك أسلحة الدمار الشامل.

ـ مواصلة العمل مع الدول الأعضاء في مجلس الأمن الدولي، والاتحاد الأوروبي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وحركة عدم الانحياز، من أجل **تكثيف الجهود الدولية الرامية إلى تجنيب العراق الحرب، وإلى وقف الحشود والتهديدات العسكرية الموجهة إلى العراق والمنطقة.**

ـ تنبيه المجتمع الدولي إلى مخاطر العدوان العسكري المبيت على العراق وشعبه ووحدة أراضيه، وكذلك التحذير من **التداعيات الخطيرة للحرب على المنطقة** التي عانت من ويلات حروب كثيرة، وما زالت تعاني من استمرار سياسة الاحتلال والتدمير الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني الأعزل وضد حقوقه الوطنية المشروعة. ويؤكد الوزراء أن اللجوء إلى خيار الحرب دليل ليس فقط على عجز مجلس الأمن عن أداء مهامه في الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين، بل هو دليل على فشل النظام الدولي برمته، الذي يجب أن يعتمد على ميثاق الأمم المتحدة كمرجعية لا غنى عنها للحفاظ على الأمن والسلم الدوليين في العالم.

ـ رفض كافة المخططات والسياسات الرامية إلى فرض تغييرات على المنطقة وإلى التدخل في شؤونها وتجاهل المصالح المشروعة لدول وشعوب المنطقة وقضاياها العادلة».

(٤) قرار مؤتمر القمة العربية رقم ٢٤٣ تاريخ ١/ ٣/ ٢٠٠٣ في شرم الشيخ حول التهديدات الخطيرة التي يتعرض لها العراق، وما يتهدد الدول العربية من مخاطر، واحتمال تطورات الموقف إلى مواجهة عسكرية وتداعياتها الخطيرة على المنطقة وعلى الأمن القومي العربي:

«إن مجلس الجامعة على مستوى القمة،

١ ـ بعد أن ناقش الوضع الخطير المتعلق بتطورات الأزمة العراقية،

٢ ـ وإذ يؤكد قراره الصادر في قمة بيروت رقم ٢٢٧ الذي أكد الرفض المطلق لضرب العراق أو تهديد أمن وسلامة أية دولة عربية،

٣ ـ وإذ يعبر مجدداً عن ترحيبه بالتأكيدات التي قُدمت للجمهورية العربية

السورية، العضو العربي في مجلس الأمن، إزاء القرار ١٤٤١ (٢٠٠٢)، وبأن هذا القرار لا يشكل ذريعة لشن حرب على العراق ولا يتضمن التلقائية للجوء للعمل العسكري، وذلك تعبيراً عن الموقف العربي المؤيد للشرعية الدولية المتمثلة بمجلس الأمن وبمهمة التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق،

٤ ـ وإذ يجدّد الترحيب بموافقة حكومة العراق على عودة المفتشين وضمان حرية حركاتهم بالكامل وتمكينهم من أداء مهمتهم المكلفين بها من قبل مجلس الأمن بأقصى درجة من الفعالية والموضوعية،

٥ ـ وإذ يشيد بالمواقف العالمية المعارضة لاستخدام القوة ضد العراق باعتبار أن الحرب ستؤدي بتداعياتها الخطيرة إلى عدم الاستقرار في المنطقة وفي العالم،

٦ ـ وفي ضوء ما تقوم به الدبلوماسية العربية من اتصالات مكثفة مع الدول الأعضاء في مجلس الأمن وعلى الساحة الدولية ومع جمهورية العراق لضمان تجنب اندلاع حرب في المنطقة، وتحقيق أقصى تعاون بالنسبة لعملية التفتيش تنفيذاً لقرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ (٢٠٠٢)،

٧ ـ وإذ يأخذ علماً بالتقارير التي قدمها رئيسا فريقي التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق إلى مجلس الأمن، وخصوصاً التقارير المقدمة في ١٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٣ والتي أشارت إلى التقدم الذي تم إحرازه من خلال تعاون العراق مع المفتشين،

٨ ـ وانطلاقاً من مسؤولية مجلس الأمن في الحفاظ على السلم والأمن الدوليين، وإيمانه بوجوب اضطلاع المجلس بدوره في معالجة الأزمة العراقية بكل جوانبها، تنفيذاً لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة والمحافظة على سيادة العراق واستقلاله ووحدة وسلامة أراضيه ورفع العقوبات عنه،

٩ ـ وفي ضوء المخاطر الجمة والتداعيات السلبية التي تحيط بأي عمل عسكري ضد العراق وشعبه والمحاولات الإسرائيلية لاستغلالها في تنفيذ مخططاتها الرامية إلى تفريغ الأراضي الفلسطينية المحتلة من سكانها، وإقامة المستوطنات الإسرائيلية فيها، وزيادة معاناة الشعب الفلسطيني،

يقرر:

١ ـ **تأكيد الرفض المطلق لضرب العراق**، أو تهديد أمن وسلامة أي دولة عربية، **باعتباره تهديداً للأمن القومي العربي وضرورة حل الأزمة العراقية بالطرق السلمية في إطار الشرعية الدولية.**

٢ ـ دعوة كافة الدول لمساندة الجهود العربية الهادفة إلى تجنب الحرب، وأن ذلك يتحقق من خلال استكمال تنفيذ العراق لقرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ (٢٠٠٢).

٣ ـ المطالبة بإعطاء فرق التفتيش المهلة الكافية لاتمام مهمتها في العراق ودعوتها إلى مواصلة توخي الموضوعية في استكمال هذه المهمة.

٤ ـ التأكيد على مسؤولية مجلس الأمن في عدم المساس بالعراق وشعبه، وفي الحفاظ على استقلاله وسلامة ووحدة أراضيه، والتأكيد على ضمان أمن دول الجوار العراقي وسيادتها وسلامة أراضيها.

٥ ـ التأكيد على **امتناع دولهم عن المشاركة في أي عمل عسكري يستهدف أمن وسلامة ووحدة أراضي العراق وأي دولة عربية.**

٦ ـ الإعراب مجدداً عن التضامن مع الشعب العراقي الذي عانى لسنوات طويلة، وبأن الوقت حان لرفع العقوبات عن العراق في إطار تنفيذ قرارات مجلس الأمن ذات الصلة ولا سيما القرار ٦٨٧ (١٩٩١).

٧ ـ قيام مملكة البحرين بتشكيل لجنة رئاسية بالتشاور مع الدول الأعضاء تضم الرئاسة السابقة والحالية والقادمة والأمين العام للجامعة، بالإضافة إلى الدول الراعية في الانضمام إليها، وذلك للقيام بالاتصال مع الأطراف الدولية المعنية ولعرض الموقف العربي عليها وخاصة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، وكذلك التشاور مع الحكومة العراقية في إطار قرارات القمم العربية حول العراق الشقيق، وذلك لبحث سبل مواجهة التحديات الخطيرة التي يواجهها العراق وما يتهدد الدول العربية من مخاطر واحتمالات.

٨ ـ إن شؤون الوطن العربي وتطوير نظمه أمر تقرره شعوب المنطقة، بما يتفق مع مصالحها الوطنية والقومية، بعيداً عن أي تدخل خارجي، وفي هذا الإطار يستنكر القادة ما يتردد من محاولات رامية إلى فرض تغييرات على المنطقة، أو التدخل في شؤونها الداخلية وتجاهل مصالحها وقضاياها العادلة.

٩ ـ اعتبار نزع أسلحة الدمار الشامل في العراق جزءاً من نزع أسلحة الدمار الشامل في المنطقة بما في ذلك إسرائيل، طبقاً للفقرة ١٤ من قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ (١٩٩١).

١٠ ـ الاستمرار في المتابعة الدقيقة لتطورات المسألة العراقية».

(٥) قرارات مجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزاري في الدورة غير

العادية المنعقدة في القاهرة حول الحرب على العراق بتاريخ ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٣.

وقد تمّ في هذا الاجتماع، الذي عقد بعد خمسة أيام من بدء الحرب على العراق، الموافقة في شبه إجماع على إدانة العدوان الأمريكي ـ البريطاني على العراق، وعلى اعتباره انتهاكاً لميثاق الأمم المتحدة وخروجاً عن الشرعية الدولية وتحدياً للرأي العام العالمي، وعلى المطالبة بالانسحاب الفوري وغير المشروط للقوات الغازية من الأراضي العراقية وتحميلها المسؤولية المادية والأخلاقية عن العدوان، وعلى تأكيد عدم المشاركة في أي عمل عسكري يمس سيادة وأمن ووحدة أراضي العراق وأية دولة عربية أخرى، وعلى المبادرة الى طلب عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن لوقف العدوان وسحب القوات الغازية، والاستعاضة من مجلس الأمن إذا تعذر انعقاده أو تعذر صدور قرار عنه بعقد جلسة طارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة لاتخاذ القرار المطلوب.

٢ ـ الواقع العربي من الحرب على العراق

على رغم كل وضوح «الواجب» والالتزامات العربية القانونية في مثل حالة الغزو الأمريكي للعراق حسب معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية، وعلى رغم وضوح الواجب العربي والتزاماته حسب القرارات العربية على المستويات المختلفة من مؤتمرات القمة العربية واجتماعات وزراء الخارجية العرب، فإن الاستجابة العربية لذلك «الواجب» وتنفيذ الالتزامات قد اختلف بين «الواقع العربي الرسمي» و«الواقع العربي الشعبي»:

أ ـ الواقع العربي الرسمي

يمكن تسجيل الملاحظات التالية حول هذا الواقع:

(١) لم ينفذ أي من الأطراف العربية التزاماته تجاه العدوان على العراق، بموجب معاهدة الدفاع العربي المشترك، وبموجب قرارات مؤتمر القمة ووزراء الخارجية العرب، والتي تعتبر الاعتداء على العراق اعتداءً عليها جميعاً، وما يترتب على ذلك من تقديم الدعم العسكري للعراق والمشاركة في رد الاعتداء الذي تمّ حتى من دون قرار أو موافقة من مجلس الأمن.

(٢) ويا ليت أن الموقف العربي الواقعي وقف عند هذا الحد، بل إن الحرب الأمريكية على العراق تُشَن أرضاً وبحراً وجواً من أراضٍ وموانئ وقواعد عربية في الخليج، وبأسلحة وعتاد تمر في مياه عربية، وتسهيلاتٍ لوجيستية تنطلق من دول عربية أخرى، خلافاً للالتزامات العربية المترتبة بموجب معاهدة الدفاع العربي المشترك وقرارات القمة ووزراء الخارجية العرب، والتي نصت الأخيرة منها على «ضرورة

امتناع دولهم عن تقديم أي نوع من المساعدات والتسهيلات لأي عمل عسكري يؤدي إلى تهديد أمن وسلامة العراق ووحدة أراضيه».

(٣) والأدهى والأمرّ أن بعض الأنظمة العربية، الخليجية وأطراف أخرى عربية، تولت إخراج «**المسرحية الأمريكية**» **بالطلب من الرئيس العراقي** «**التخلي عن السلطة**» ترضية لأمريكا ومنعاً لعدوانها، ولم يكتف بعضها بذلك، بل حاول تسويق هذه الفكرة والحصول على دعم بعض الأطراف الأوروبية لهذا المشروع، خلافاً لالتزاماتها القانونية والقرارات العربية المشار إليها سابقاً، وعلى رغم أن مثل هذه «**الفكرة** «**أو المبادرة**» **مرفوضة مبدئياً وغير قابلة للتحقيق عملياً.**

فمن الناحية المبدئية، كيف يطلب من رئيس نظام دولة عربية التخلي عن السلطة وهو الضحية والمعتدى عليه، على الرغم من مخالفة مثل هذا الطلب للقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، وعلى رغم قرارات وزراء الخارجية العرب في ٥/ ١١/ ٢٠٠٢ ومؤتمر القمة العربية في شرم الشيخ في ١/ ٣/ ٢٠٠٣، والتي نصّت الأولى منها على «رفض كافة المخططات والسياسات الرامية إلى فرض تغييرات على المنطقة وإلى التدخل في شؤونها... إلخ»، ومخالفته لقرار مؤتمر القمة الأخير من أن «**شؤون الوطن العربي وتطوير نظمه أمر تقرره شعوب المنطقة بما يتفق مع مصالحها الوطنية والقومية، بعيداً عن أي تدخل خارجي**، وفي هذا الإطار يستنكر القادة ما يتردد من محاولات رامية إلى فرض تغييرات على المنطقة أو التدخل في شؤونها الداخلية... إلخ»؟

ومن **الناحية العملية**، فإن كل من يعرف طبيعة النظام العراقي لا بد من أن يعلم مسبقاً، بأنه إضافة إلى الاعتراض المبدئي على هذه «الفكرة ـ المبادرة»، فإنه من غير المتصور أن يقبل الرئيس العراقي مثل هذا الطلب وهو المعتدى على بلده في هذه الحالة. ثم ما هي الضمانة «للقادة» العرب بأن هذه السابقة لا يمكن أن تتكرر مع أي واحد منهم في المستقبل القريب أو البعيد؟

(٤) وباستثناء سوريا ولبنان واليمن، لم يصدر عن أي نظام عربي بصورة مستقلة، أية إدانة للعدوان الأمريكي على العراق، بل إن أحدها حمّل العراق نفسه مسؤولية ما سيحيق به وبالدول العربية الأخرى ما سيلحق بها من أضرار نتيجة هذا الاعتداء الأمريكي!! وإن هذه الأنظمة في ما عدا الثلاثة المشار إليها، هي ما بين خائف، أو ساكت، أو متواطئ سراً أو علناً، مع هذه الحرب الظالمة على العراق.

ب ـ الواقع العربي الشعبي

(١) أطلق التهديد الأمريكي للعراق ثم العدوان عليه استنكاراً شعبياً عربياً

واسعاً تجلى في **المظاهرات الصاخبة والواسعة والمتتالية في معظم الأقطار العربية**، باستثناء الخليج العربي، عدا البحرين، وعدا مواقف التيارات الإسلامية المختلفة في الكويت والرافضة للحرب، وكذلك موقف بعض النخب السعودية الرافضة للحرب، وفي استنكار بعض النخب الخليجية بمذكرات مكتوبة ومنشورة للتهديدات والعدوان الأمريكي، وفي **مبادرات شعبية لإرسال متطوعين إلى العراق** للمشاركة في مقاومة المعتدي الأمريكي، **وبالتشديد على مقاطعة السلع الأمريكية القابلة للاستبدال.**

(٢) وقد قام «**المؤتمر القومي العربي**» بجهد واسع في هذا المجال، فإضافة لإطلاقه أو مساهمته في الكثير من الفعاليات الشعبية، فإنه قام بالجهد الأساسي في المحيط العالمي وبخاصة الغربي منه. فتنفيذاً لقرارات سابقة للمؤتمر القومي العربي السنوي الأخير الذي عقد في البحرين خلال عام ٢٠٠٢ ولمقررات الأمانة العامة واللجنة التنفيذية للمؤتمر، قامت الأمانة العامة للمؤتمر بما يلي:

ـ إرسال رسائل إلى **الملوك والرؤساء العرب**، قبل اجتماع مؤتمر القمة العربية في شرم الشيخ، وبتوقيع أعضاء الأمانة العامة جميعاً، تحدّد مسؤولياتهم وما هو مطلوب منهم، مع رسائل مستقلة إلى الملوك والرؤساء العرب التي ينطلق العدوان الأمريكي من قواعد وتسهيلات في أراضيها و/أو مياهها.

ـ إرسال نداءات مستقلة ومختلفة، بأسماء جميع أعضاء المؤتمر القومي العربي، مع تعريف قصير لموقع كل منهم، إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير، تضمنت تحذيرات واضحة من العواقب الإقليمية والعالمية الوخيمة التي ستترتب بالتأكيد على المضي في شن حرب ضد العراق، تجاهلاً لكافة مظاهر المعارضة التي أبدتها ملايين من جماهير هذين البلدين وعشرات الملايين الذين تظاهروا في معظم بلدان العالم معلنين إرادة الشعوب ضد هذه الحرب غير المشروعة.

ـ توجيه نداء، بأسماء جميع أعضاء المؤتمر القومي العربي، إلى كل أعضاء مجلسي الكونغرس الأمريكي، الشيوخ والنواب، وأعضاء مجلس العموم البريطاني، تضمن تنبيهاً بالأخطار والمخاطر التي ستترتب على حرب تُشن ضد العراق لا تستند إلى أدلة وتقع في وقت لا يشكل فيه العراق أي تهديد لأي من بلدان العالم، وتطلب منهم العمل على تفادي العدوان الأمريكي ـ البريطاني على العراق.

ـ توجيه تحية وتقدير، بأسماء جميع أعضاء المؤتمر، وبصيغ مختلفة، إلى الرئيس الفرنسي شيراك، وإلى المستشار الألماني غيرهارد شرودر، وإلى الرئيس الصيني، على موقفهم في مجلس الأمن ورفض استعمال القوة وشن العدوان الأمريكي ـ البريطاني على العراق.

ـ توجيه رسالة شكر مباشرة إلى رئيس البرلمان التركي، السيد بولنت ارنيل، على موقف البرلمان التركي في معارضة الحرب على العراق ورفض استخدام القواعد والمنشآت والجيش التركي لأغراض العدوان العسكري الأمريكي على العراق، كما قامت وفود من أعضاء الأمانة العامة في كل من القاهرة وبيروت وعمان وصنعاء والجزائر والمغرب بمقابلة السفير التركي في كل منها وتقديم الشكر من خلالهم الى البرلمان التركي على موقفه.

ـ وجه المؤتمر بأسماء جميع أعضائه رسائل مستقلة إلى أعضاء مجلس الأمن، أشادت فيها بمواقف مناهضي الحرب، ونددت بمواقف الحكومات المؤيدة لشن حرب ضد العراق.

ـ كما وجه المؤتمر بأسماء جميع أعضائه رسائل مستقلة إلى كل من السيد خامنئي والرئيس خاتمي، طالباً فيها أن يسمع العالم أصوات الشعب الإيراني في مدنه الرئيسية عالياً ضد هذه الحرب وان تطلق طاقة الاعتراض عليها في جماهير الشعب الإيراني، والتي هي ليست فقط دعوة لمصلحة العراق وإنما هي أيضاً لمصلحة إيران التي وضعتها أمريكا ضمن «محور الشر» ولمصلحة السلام في المنطقة والعالم، كما طالبهما بالاستجابة لمطلب شعبي واسع النطاق بأن تبرم معاهدة للدفاع المشترك بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والجمهورية العربية السورية والعراق، ليكون هذا المثلث درعاً استراتيجياً في مواجهة الأخطار التي تواجهها هذه الدول من الولايات المتحدة ومن الكيان الصهيوني.

ـ كما وجه المؤتمر بأسماء أعضائه جميعاً، رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة السيد كوفي أنان، يطلب منه فيها تحمل مسؤولياته باستعمال كل صلاحياته للمساهمة في رد العدوان على العراق.

ـ وقد نبه المؤتمر القومي العربي في رسائله كافة إلى أن تعاون العراق مع المفتشين الدوليين قد ثبت كحقيقة واقعة بشهادة رئيس هيئتي التفتيش الدوليتين، بحيث أصبح واضحاً أن عملية نزع أسلحة التدمير الشامل هي عملية جارية بالفعل على الأرض ولا تتطلب شيئاً سوى الوقت الكافي اللازم للتحقق من نتائجها.

ـ كما وجه المؤتمر القومي العربي، بأسماء أعضائه كافة، نداءين إلى كل من الرئيس الجزائري، الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، وإلى العقيد معمر القذافي، قائد ثورة الفاتح، طالب فيهما أن يطلقا المجال لشعبي بلديهما للمشاركة في المظاهرات الشعبية العربية التي تعارض شن الحرب العدوانية على العراق.

ـ وقامت الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي، بعد بدء العدوان على العراق، بإصدار عدد من البيانات والنداءات، وساهمت في إطلاق التعبيرات الشعبية المختلفة عن رفضها ومقاومتها لهذه الحرب العدوانية، وكذلك بإرسال المتطوعين العرب إلى العراق وتقديم أشكال مختلفة من الدعم.

ـ كما تقوم الأمانة العامة للمؤتمر، من خلال بعض أعضاء الأمانة العامة، باتصالات واسعة ومكثفة مع أصدقائها في بعض البلدان الغربية وبعض مراكز الدراسات والمؤسسات فيها، لحثها ودفعها إلى القيام بأنشطة مختلفة ضد الحرب على العراق والعمل على إيقافها.

(٣) وتسعى القوى الشعبية العربية، من خلال وسائل سلمية مختلفة، للضغط على الأنظمة العربية لتحمل مسؤولياتها والالتزام بتنفيذ ما وافقت عليه وأقرته وإيقاف بعضها المشاركة في هذه الحرب من خلال التسهيلات التي تقدمها للقوات المعتدية على العراق.

(٤) ونخلص من ذلك إلى أن الواقع العربي الشعبي للموقف من الحرب العدوانية على العراق متقدم كثيراً على واقع الموقف الرسمي، ويمكن بقدر أكبر من التنظيم وتحديد أهداف مرحلية له أن يساهم في تفعيل الموقف الفعلي للأنظمة العربية والضغط على بعضها بزيادة دعمه الحالي للعراق، ودفع الخائف والساكت منها لأخذ مواقف علنية واضحة لرفض الحرب على العراق وتقديم عون فعلي.

ثالثاً: النتائج الأولية للحرب على العراق

يمكن تلخيص النتائج الأولية للحرب الأمريكية ـ البريطانية على العراق، بما يلي:

١ ـ **الصمود البطولي للشعب العراقي** بمختلف فئاته وأطيافه، وبشكل جاء مخالفاً للتوقعات الأمريكية ـ البريطانية، ولتوقعات الكثير من الأنظمة العربية التي راهنت على سرعة النجاح السريع للعدوان واحتلال العراق ولإسقاط النظام، بل تجاوز الصمود البطولي للعراق كل حدٍّ وتحققت آمال وأحلام الشعوب العربية في هذا الصمود. وخلافاً لكل الحرب النفسية المكثفة التي شنتها الإدارة الأمريكية والحكومة البريطانية بالتبعية، على العراق وعلى العرب عموماً، والتي يساهم فيها بعض الإعلام العربي الرسمي والخاص التابع، فلم يستقبل الشعب العراقي الجيوش الغازية بالورود، ولا انهار الجيش العراقي النظامي واستسلم لها، ولا استطاعت وحشية هجماتها الجوية عزل القيادة العراقية ومنعها من إدارة المعركة ومقاومة

العدوان والدفاع عن العراق وشعبه.

٢ ـ وخلافاً لكل التوقعات للجوء أعداد كبيرة من العراقيين إلى الأقطار المجاورة، وكما يقول أحد الصحفيين العرب[١] «**لم يصل حتى الآن لاجئ عراقي واحد** إلى المخيمات التي نصبت في الأردن وسوريا وبقية الدول المجاورة، انتظاراً لأفواج اللاجئين العراقيين الذين توقعت القوات «المتحالفة» ووكالات الأمم المتحدة أن يصل عددهم الى الملايين مع الأيام الاولى لبدء الحرب على العراق»، بل كانت هناك **هجرة عكسية عراقية إلى العراق**، إذ عاد الآلاف من العراقيين الذين كانوا في الخارج الى العراق.

و«لم يكتف العراقيون برفض مبدأ ترك الأرض ومواجهة الآلة العسكرية الأمريكية والبريطانية، بل رفضوا حتى دعوات بعض الدول العربية التي تسعى إلى استغلال هذه القضية للتسول باسم العراقيين، واستثمار مخيمات اللاجئين لتعويض انحيازه السياسي إلى القوات المتحالفة، وتغطية إجراءاته السياسية ضد النظام العراقي».

٣ ـ وترتب على هذا الصمود، كما يقول هذا الصحفي العربي «أن صمود العراقيين على أرضهم زاد صعوبة الحرب، وتدخل في تعقيد العمليات والخطط العسكرية....... والأهم أن **العراقيين قدموا للشعوب العربية درساً غالي الثمن في الوطنية والصمود...**».

ويضيف «لكن مفهوم الوطنية عند أبناء الرافدين أكبر من حسابات السياسيين وأمنيات الانتهازيين وتجار الحروب».

٤ ـ انكشف للمعتدين والغازين للعراق **أن الحرب القصيرة التي كانوا يتوقعونها لم تتحقق وأن الضحايا البشرية للمعتدين تجاوزت كثيراً توقعاتهم، وأنهم بدأوا يتكلمون عن حرب طويلة وضحايا كثيرة.**

٥ ـ تمكن العراق حتى الآن من **تحطيم مقولة «الحرب التكنولوجية»** التي طبّل الأمريكيون لها كثيراً، واستطاع حتى الآن تحييد الكثير من تلك التكنولوجيا بأساليب كثيرة مبتكرة لم نشهد حتى الآن إلاّ مقدمات لها وتنتظرنا مفاجئات كثيرة فيها، على رغم القصف الجوي الوحشي لمناطق مدنية كثيرة في العديد من المدن العراقية ولبعض البنى التحتية، وخلافاً لاتفاقية جنيف.

٦ ـ **أمريكا وبريطانيا**، وهما **الخارجتان عن القانون الدولي** وميثاق الأمم المتحدة

---

(١) داود الشريان، في: **الحياة**، ٢٧/ ٣/ ٢٠٠٣، ص ٣.

ومجلس الأمن، تطالبان العراق بتطبيق اتفاقية جنيف على أسراهما وقتلاهما.

٧ ـ زالت التوقعات الاقتصادية الأولية في العالـم عند بدء الحرب، واستناداً إلى التوقعات الأمريكية، بأن **مرحلة عدم الاستقرار** ستنتهي قريباً استناداً إلى أن الحرب ستكون قصيرة وسريعة وأن العالـم سينتقل بعدها سريعاً إلى مرحلة إعادة بناء العراق والاستقرار في العالـم. فقد تبين في أواخر الأسبوع الأول للحرب، ولا يزال، أن التوقعات بحرب سريعة وقصيرة لـم تتحقق، وأن الحرب ستطول ولمدة لا يمكن التنبؤ بها الآن. ولذلك وبعد صعود موفق في أسعار الأسهم في البورصات العالمية وانخفاض أسعار النفط العالمية، عادت الأسعار في البورصات إلى الانخفاض وعادت أسعار النفط إلى الارتفاع، بعد أن كشف الأسبوع الأول للحرب عن استمرار حالة عدم الاستقرار نتيجة احتمال أن تطول الحرب وأن نتائجها لـم تعد محسومة في الوقت الحاضر.

وسيؤثر عدم الاستقرار هذا في **الانخفاض في أسعار البورصات،** كما سيؤثر في الدخل الحالي والمستقبلي للشعب الأمريكي الذي يساهم حوالى ٧٠ بالمائة منه بامتلاك قدر من الأسهم والسندات والتي تمثل جزءاً من دخله الحالي، إضافة إلى تأثيرها في مدخراته وراتب تقاعده في المستقبل. كما أخذت **أسعار النفط بالارتفاع** ثانية، على رغم قيام إحدى الدول الخليجية الرئيسة بزيادة إنتاجها بحوالى ٦٠٠ ألف برميل يومياً تعويضاً من النقص في صادرات العراق، على رغم أنها غير ملزمة بذلك، لأن المتسبب في انخفاض إنتاج العراق وبالتالي المعروض من النفط في العالـم هي الدول المعتدية على العراق، أي أمريكا وبريطانيا، والتي يجب أن تتحمل أمام العالـم المستورد للنفط مسؤولية ارتفاع أسعار النفط التي تسببت بها.

إن استمرار الحرب وإطالة أمدها، وعدم الاستقرار الاقتصادي الذي سيترتب عليها، سيؤثر سلبياً في الاقتصاد الأمريكي بالدرجة الأولى، إضافة إلى تأثيراتها الواسعة في الاقتصاد العالمي ككل، وسيشكل ذلك، طالما استمرت الحرب وحالة عدم الاستقرار هذه، ضغطاً على الإدارة الأمريكية لإنهاء الحرب بشكل أو آخر، وبالتالي سيكون له تأثير شعبي سلبي مباشر في أمريكا بشكل خاص.

٨ ـ يقول أحد الكتّاب السياسيين في جريدة **الهيرالد تريبيون،** تعليقاً على هذه الحرب، ان **هناك قوتين كبريين في العالـم: الأولى هي أمريكا، والثانية هي الرأي العام الدولي. وسيؤدي استمرار** صمود العراق، وإطالة أمد الحرب فيه وتزايد المجازر والضحايا، إلى استمرار وتصاعد حملة الاحتجاجات العالمية الواسعة ضد الحرب والعدوان على العراق وما سيشكله ذلك من ضغوط وخاصة للرأي العام

الأمريكي والعالمي لوقف الحرب.

٩ ـ هناك مؤشرات متكررة ومتزايدة حول نقص في التنسيق بين القوات الأمريكية والبريطانية التي تغزو العراق، وقد تسبب ذلك عن ضحايا بشرية وتصادم وفقدان طائرات مختلفة، وكثرت مقولة «النيران الصديقة» سواء ما كان منها حقيقياً أم تخفيفاً للخسائر الفعلية التي كبّدها العراق لهذه الجيوش. كما أن هناك مؤشرات تتسرب من خلال الصحفيين الأجانب المرافقين للقوات الأمريكية وتشير الى تدهور في معنويات تلك القوات.

كما طافت على السطح مؤخراً خلافات بين القيادات المدنية والعسكرية في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) حول خطة المعركة وتنفيذها على الأراضي، والتي أدت الى توقف مؤقت، قد يطول وقد يقصر، في الزحف الى بغداد. كما أن تركيا رفضت، حتى الآن، السماح للقوات الأمريكية البرية والجوية استعمال القواعد والمطارات التركية لفتح جبهة شمالية على العراق، واكتفت حتى الآن، وعلى رغم الضغوط الكثيرة التي مارستها الولايات المتحدة عليها، بالسماح للقوات الأمريكية بالمرور فقط من الأجواء التركية ومن دون التوقف فيها.

١٠ ـ لم تستطع القوات الأمريكية والبريطانية العثور حتى الآن على أية أسلحة دمار شامل في العراق، وهو أمر إذا ما استمر خلال بقية مدة الحرب سيدحض كل الحجج التي قدمتها امريكا وبريطانيا للاعتداء على العراق بزعم أنه لا يزال يملك أسلحة دمار شامل وتصبح لاغية وتصبح الحرب غير الشرعية على العراق عدواناً ظالماً. وعلى الرغم من توقعات الإدارة الأمريكية والحكومة البريطانية، فإن العراق لم يستعمل حتى الآن أية أسلحة دمار شامل في تصديه للقوات الغازية، وهو دليل إضافي على عدم امتلاك العراق لتلك الأسلحة.

رابعاً: احتمالات المستقبل

١ ـ قبل الإشارة الى المشاهد (السيناريوهات) الممكنة لتطور هذه الحرب الظالمة على العراق، لا بد من الإشارة الى الملاحظات والتحفظات التالية:

أ ـ ان الدراسات المستقبلية تشير الى **أن المستقبل ليس قدراً محتوماً، وأن هناك بدائل مختلفة لهذا المستقبل** بعضها أفضل من بعض، ولكل منها ثمن ومتطلبات مختلفة، **ويعتمد المشهد (السيناريو) الذي نختاره على مدى رغبتنا وقدرتنا على دفع الثمن المطلوب لذلك المشهد**، ويلعب التخطيط والتنفيذ والإدارة دوراً رئيسياً في ذلك.

ب ـ وعلى رغم المعطيات التي بانت خلال الاثني عشر يوماً من بدء الحرب على العراق، إلا أن هناك احتمالات وتطورات عسكرية وسياسية واقتصادية قادمة من الصعب التنبؤ بها بدقة الآن.

ج ـ لقد حاولنا في حدود المعلومات والاتصالات والاستشارات التي أتيحت لنا من مصادر مختلفة، وبعيداً عن التفكير في المرغوب (Wishful Thinking)، أن نخضع تلك الرغبات الى المعطيات المتوفرة حالياً من تلك المصادر، وفي حدود ما يمكن انسانياً تحقيق ذلك.

٢ ـ وفي حدود التحفظات المشار اليها أعلاها **يمكن توقع المشاهد التالية**، حسب تقديرنا لاحتمالات حصولها:

أ ـ مشهد استمرار الصمود وفشل العدو في السيطرة على بغداد، ويفترض ويتوقع هذا المشهد ما يلي:

(١) ان يستمر صمود العراق، قيادة وشعباً، حتى بعد استئناف العدو زحفه على بغداد ومحاصرتها، وأن يفشل في اقتحامها والسيطرة عليها أو القضاء على القيادة العراقية.

(٢) يتوقع في هذا المشهد أن تزداد الخسائر البشرية والمادية للعدو، الى حدود لا يستطيع تحمل المزيد منها.

(٣) أن تؤثر الظروف المناخية ودرجات الحرارة المرتفعة في الأداء العسكري للجيشين الأمريكي والبريطاني وفي معنوياتهما وفي استمرار القتال .

(٤) أن يزداد تدهور الأوضاع الاقتصادية في الولايات المتحدة، فضلاً عن استمرار تدهور أسعار البورصات، وربما ارتفاع أسعار النفط، بسبب عدم معرفة نتائج الحرب وموعد انتهائها.

(٥) أن يحاول العدو التعويض من فشله في احتلال بغداد و/ أو القضاء على القيادة العراقية، **وزيادة القصف الجوي على بغداد والمدن الرئيسية الأخرى** التي لم يتمكن من احتلالها.

(٦) استمرار وتوسيع العمليات الاستشهادية ضد العدو.

(٧) أن يتطور الدعم السوري واللبناني واليمني للعراق، وان تبقى مواقف الأنظمة العربية الأخرى على ما هي عليه حالياً او تشهد التحسن البسيط والشكلي فيها.

(٨) أن تستمر الوحدة الوطنية العراقية بأشكالها الحالية، بل تزداد تماسكاً، وأن

يشعر جميع العراقيين والعالم، كما يتيقن بعض العراقيين «الوطنيين» في الخارج، أن **هذه الجيوش الغازية هي «جيوش احتلال» وليست «جيوش تحرير»**.

وسيترتب على هذا المشهد ما يلي:

(١) الوصول الى مأزق للجيوش الغازية وعدم استطاعتها احتلال بغداد والقضاء على القيادة العراقية، مما سيضطرها الى التفكير ثم التفتيش عن حل يحفظ لها ماء الوجه.

(٢) **زيادة المعارضة الشعبية العربية والدولية للحرب على العراق والمطالبة بوقفها** وسحب الجيوش الغازية من العراق.

(٣) تحسن ملحوظ في موقف الأنظمة العربية الساكتة أو الخائفة من نتائج هذا المشهد على مستقبلها، وأن تتخذ مواقف علنية أكثر جرأة ومعارضة للولايات المتحدة ولاستمرار الحرب وطلب انسحاب الجيوش الغازية.

(٤) حصول ارتباك شديد في موقف الأنظمة العربية المتواطئة والمتعاونة مع الولايات المتحدة وبريطانيا في الحرب على العراق، وظهور ضغوط شعبية وبدرجات متفاوتة، على تلك الأنظمة لتحقيق وربما ايقاف دعمها للحرب الأمريكية على العراق، وتطور مواقف تلك الأنظمة بدرجات مختلفة بالضغط على الولايات المتحدة لوقف الحرب وانسحاب جيوشها.

(٥) تحرك فرنسا وروسيا والصين وسوريا في مجلس الأمن لإيجاد حل يضمن حفظ ماء الوجه لأمريكا، ويقوم على الأسس التالية:

ـ وقف الحرب وانسحاب الجيوش الأمريكية والبريطانية من العراق خلال مدة محدودة.

ـ تعليق العقوبات على العراق لمدة ستة اشهر، يتم خلالها إعادة إرسال المفتشين عن أسلحة الدمار الشامل الى العراق، وأن يتم رفع العقوبات نهائياً على العراق بعد تقديم المفتشين تقريراً الى مجلس الأمن يؤكد عدم عثورهم على أية أسلحة للدمار الشامل.

ـ أن يقرر المجلس بعد انتهاء مدة الأشهر الستة وعدم العثور على أسلحة الدمار الشامل تعويض العراق من الدمار والخسائر المادية والبشرية التي ألحقتها الحرب به، وأن تتحمل الدول المشاركة في الحرب وتلك التي قدمت التسهيلات لتلك الحرب مسؤولية هذه التعويضات.

(٦) أن تقوم القيادة العراقية، بعد تحقيق ما تضمنته الفقرة (٥) أعلاه، بالإعلان

عن برنامجها للتغييرات السياسية في النظام ومن منطلق الانتصار واستكمال ودعم الوحدة الوطنية بما يلي:

ـ الإعلان عن والاستفتاء على دستور جديد مؤقت يضمن استكمال تحقيق التعددية السياسية والحريات العامة الرئيسية، وضمان حقوق الإنسان المنصوص عليها في الشرائع الدولية، واجراء انتخابات حرة ونزيهة وتحت إشراف المنظمة العربية لحقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية لمنع أي تشكيك فيها، وأن يقر «المجلس المنتخب الدستور المؤقت بعد اجراء أي تعديلات عليه، وفصل الحزب عن الدولة، واستقلال السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية بعضها عن بعض، وان يتم تنفيذ هذه الإجراءات المعلن عنها تدريجياً وخلال مدة لا تزيد على السنة.

(٧) **عقد قمة عربية** للوصول الى ما يلي:

(أ) **تعديل ميثاق جامعة الدول العربية** بإعطاء عدد من الأصوات مختلف لكل دولة عربية حسب معايير محددة، كما هو متبع في الاتحاد الاوروبي وحتى في مجلس الاتحاد في دولة الإمارات العربية المتحدة.

(ب) وضع معاهدة الدفاع العربي المشترك موضع التنفيذ وانشاء قوة عربية مشتركة على غرار ما هو موجود في حلف الأطلسي، وبما يضمن تطمين الدول العربية الصغيرة على أمنها.

(ج) إلزام الدول العربية التي توجد فيها قواعد أجنبية أو تمنح تسهيلات عسكرية وأمنية مختلفة للدول الأجنبية وخلافاً لمعاهدة الدفاع العربي المشترك، بأن تتخذ الخطوات اللازمة لإنهاء هذه الالتزامات مع الدول الأجنبية خلال مدة تحددها القمة، وتتزامن مع انشاء الجيش العربي المشترك، وتجميد عضوية أي دولة عربية لا تلتزم بذلك.

(د) إعادة رسم سياسة عربية جديدة لتحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير المصير وضمان حق عودة اللاجئين.

ب ـ مشهد نجاح العدو في احتلال بغداد والقضاء على القيادة العراقية أو اختفائها

مع أنه لا يمكن استبعاد هذا المشهد كلياً إلا أن احتمالات نجاحه، في تقديرنا، ضعيفة وسيترتب على هذا المشهد ما يلي:

(١) احتلال الجيش الأمريكي للعراق.

(٢) استمرار المقاومة للاحتلال بأشكال مختلفة وخاصة اذا تمكنت القيادة العراقية من تفادي القضاء عليها.

(٣) عدم استطاعة أمريكا تحقيق الاستقرار في العراق وعدم تمكنها من إقامة حكومة عراقية مؤقتة فاعلة.

(٤) انتقال الصمود العراقي وتحويله الى حرب تحرير بأشكال مختلفة.

(٥) احتمال محاصرة أمريكا لكل من سوريا ولبنان وايران ومطالبتها بأمور محددة.

(٦) دخول الأمة العربية في مرحلة جديدة من الاستعمار الأمريكي مشابهة للفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى مع استعمار أشد وطأة من الاستعمار البريطاني والفرنسي.

خامساً : الخاتمة

تلك هي المشاهد المختلفة التي يحتمل أن ينتهي اليها مستقبل الحرب على العراق. وإذا كان العراق يقوم قيادة وشعباً بكل ما يمكن أن يقوم به، وأنه صامد حتى الآن، إلا أن تحقيق المشهد الأول ونتائجه متوقف على استمرار وتزايد الموقف الشعبي العربي ومدى نجاحه في الضغط على الأنظمة العربية الخائفة والساكتة والمتواطئة لتطوير مواقفها ايجابياً، ولزيادة احتمالات نجاح المشهد الأول، وذلك اذا كانوا عرباً حقاً، لأنه سوف يأتي ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلاّ من أتى الله بقلب سليم**﴾[٢].

ويبقى أن نظل متفائلين بأن هذه الأمة لن تستسلم وستبقى تناضل حتى تحقق أهدافها، طال الزمن أو قصر، وستظل الشعوب العربية مصدر الأمل في مستقبل أفضل، ويقدم العراق نموذجاً جديداً لهذا الأمل.

(٢) **القرآن الكريم**، «سورة الشعراء،» الآيتان ٨٨ ـ ٨٩.

القسم الثاني

مـن الاحتـلال إلـى المقاومــة

(٤)
صدمة الاحتلال وموجبات النهوض الوطني(*)

■ ***بداية د. خير الدين حسيب ماذا يعني لك اليوم سقوط بغداد بهذه السرعة؟ وهل كنت تتخيل أنت العراقي، والذي يعرف العراق جيداً والشعب العراقي، أن يستسلم العراقيون بهذا الشكل، وأن لا يقاوموا وسط بغداد؟***

حسيب: لا شك أن شيئاً ما قد حصل خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة.

■ ***ما هو هذا الشيء؟***

حسيب: غير واضح حتى الآن، لأنه كان من المفترض أن تكون المعركة الفاصلة في بغداد، وأخذاً بنظر الاعتبار أنه لا تزال هناك إحدى عشرة فرقة عسكرية عراقية: فرقة في العمارة، وفرقتان في الموصل وفي تكريت وفي بغداد، وهذا ليس كلامي أنا، ولكن قبل ساعة، أكَّد رئيس الأركان «مايرز» هذا الأمر. حصل شيء ما لا أعلم بالضبط ما هو.

■ ***هروب صدام حسين؟***

حسيب: لا، لا تُسَمِّهِ هروباً. أولاً ما يقال من أنه حدث قصف أول أمس على مكان كان الرئيس صدام حسين مجتمعاً فيه مع قيادته وأنه قَضَى فيه، فذلك غير صحيح.

■ ***كيف تأكدت من هذا؟***

حسيب: لا تسألني عن هذا؟

(*) مقابلة أجريت مع الدكتور خير الدين حسيب على قناة الفضائية اللبنانية للإرسال (LBC) يوم ٩/ ٤/ ٢٠٠٣، ونَسْتَلُّ من هذه المقابلة التلفزية ـ التي جرت مساء يوم احتلال بغداد ـ الفقرات التي تحدَّث فيها د. خير الدين حسيب رداً على أسئلة الأستاذ مارسيل غانم الذي أدارها، أو مناظرةً مع المشاركين معه فيها: د. فواز طرابلسي وأ. غسان شربل.

■ ***معلومات خاصة بك، إذاً الرئيس لم يقتل كما يقال؟***

حسيب: في حدود معلوماتي هذا الكلام غير صحيح. وما يقال عن أنه عقد صفقة مع روسيا، وأنه التجأ إلى السفارة الروسية وهو موجود الآن في موسكو، أستطيع أن أقول بقدر من الاطمئنان إن هذا غير صحيح. الرئيس صدام حسين ما يزال يقاوم في العراق.

■ ***يقاوم في العراق، أين؟***

حسيب: لا أعتقد أنه من المصلحة أن أقول أكثر مما قلته. المهم أنه لم يستسلم، وما زال حيّاً يقاوم في العراق.

■ ***لا نستطيع أن نسأل من أين لديك هذه المعلومات الطازجة، وحضرتك قادم من لندن؟***

حسيب: هذه المعلومات ليست من لندن، لأن التطورات حصلت بعد قدومي من لندن بأربع وعشرين ساعة.

■ ***إذاً الرئيس صدام لا يزال حيّاً يرزق، وما يزال يقاوم.***

حسيب: في حدود ما لدي من معلومات.

■ ***من داخل العراق أو من داخل بغداد.***

حسيب: أنا قلت من داخل العراق وليس من داخل بغداد.

طرابلسي: أولاً ما يشغل بالي أن الدكتور خير الدين لا تزال له علاقات تسمح له بالحصول على مثل هذه المعلومات من النظام العراقي، أنا لا يوجد لدي معلومات، ولكن لدي تقديرات. أنا أريد أن أعبر عن الحزن الشديد لسقوط بغداد، وأنا في رأيي أن الشعب العراقي لم يدافع عن هذا النظام وأهل هذا النظام لم يدافعوا عن النظام أيضاً. أما إذا كان الرئيس العراقي وقيادته موجود في خارج بغداد، فهذا غير مشجع، وهذا يعني أنهم موجودون في منطقة هي مسقط رأس الرئيس. في البداية كان رأيي أنه يجري التضحية بكل العراق والتركيز على مركز السلطة المركزية الذي هو بغداد، الآن أعتقد أن ما يجري التركيز عليه هو بلدة رئيس الجمهورية وهذا أمر مؤسف ويؤكد أن هذا النظام ليس للعراق بل لشخص.

■ ***قبل أن أعطي الكلام للأستاذ غسان شربل حول ما يعني له مشهد اليوم، ما هو تعليقك د. خير الدين حسيب على ما قاله الدكتور فواز طرابلسي؟***

حسيب: لا أرى ما هو السبب الذي يدعو الأخ فواز الذي أعزه وأحترمه إلى

إبداء أسفه من موقفي. أنا أدافع عن العراق.

■ ***ألا تدافع عن النظام أيضاً؟***

حسيب: لا أنا أدافع عن العراق، وأنا لدي عائلة وأهل في بغداد والموصل ولا أدري من منهم توفي ومن منهم ما زال حياً. وكوني تتوافر لدي هذه المعلومات فهذا لا يعني بالضرورة أن هذه المعلومات مصدرها النظام من العراق. وأعتقد أن الأخ فواز تسرع في هذا الكلام، وكنت أظن أنه يعرف موقفي تماماً. أنا أدافع عن العراق، والعراق للعراقيين. وأياً كان النظام الموجود، ولكن عندما تصل القضية إلى الوطن فأنا مع الوطن. وأريد فقط أن أضيف أنه إذا كان قد فوجئ بما حصل في بغداد، فأنا كذلك. وكما قلت، هناك شيء ما حصل خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية ولا أدري بالضبط ما هو؟! إن نظاماً يمكن أن ينتهي، ويمكن للرئيس العراقي أن ينتهي، لكن الشعب العراقي باقٍ، وأنا أختلف تماماً مع الأخ فواز طرابلسي في عدم انتباهه إلى هذا الأمر. العراق قاوم، وكانت مقاومته في العديد من الأماكن بطولية. وخلافاً لكل التوقعات الأمريكية، لم يُسْتَقْبَل الجيش الأمريكي بالورود، ولم تستسلم أية قطعة من القطعات. ومن أول لحظةٍ في الحرب كان الكذب الأمريكي والتلفيق واضحين، حيث قالوا إن الفرقة ٥١ استسلمت، وتبين لاحقاً أن هذه الفرقة لم تستسلم، وقالوا إن قائد الفرقة استسلم، وقائد الفرقة لم يستسلم.

■ ***هناك بعض المحطات العربية د. خير الدين حسيب يُتابع وينقل الصور المتلاحقة عمّا يجري في هذا اليوم في بغداد..***

حسيب: أنا لا أريد أن أدخل في تقييم المحطات العربية، هناك بعض المحطات غَيَّر خَطَّه بنسْبة ١٨٠ درجة. أنا أتحدث عن المقاومة، وهي لا ترتبط بشخص. هناك احتلال أجنبي للعراق، وهذه ليست المرة الأولى التي يُحتل فيها العراق. احتل في عام ١٩٢٠. ولكن هذا الاحتلال سيدفع العراقيين ـ اليوم ـ إلى خوض حرب تحرير، وإلى المقاومة بكافة الأشكال. وهي مقاومة سيمارسها الشعب العراقي مع **صدّام أو من دون صدّام**.

■ ***لا أقصد استفزازك، د. خير الدين، ولكن أقصد أن أصل مع شخص محترم مثلك إلى فهم ما يجري. هذه الصور التي ظهرت على التلفزيون اليوم، على كل وسائل الإعلام، لا تظهر أن العراقيين منزعجون من دخول الأمريكيين، ربما ارتاحوا من نظام صدام حسين، ولكنهم أيضاً مسرورون من دخول البريطانيين.***

حسيب: أولاً بغداد فيها ٥ إلى ٦ مليون نسمة، وطول بغداد ٥٠ كلم. الغزاة

دخلوا ساحة التحرير. ومن يعرف بغداد، يعرف أنه عندما تعبر جسر الجمهورية تصل إلى ساحة التحرير. بعض المناطق الكثيفة السكان لم يدخلوها. وما يجذب الانتباه أن كل القوى التي كانت تدافع ـ الحرس الجمهوري والفدائيين والجيش النظامي والناس ـ غير موجودة في الشارع. كيف اختفوا كلهم في وقت واحد؟ لو أن القيادة انهارت، فكيف لها أن تعطي تعليمات بالانسحاب الكامل؟

■ ***سؤالي التالي، هل هي نهاية نظام أم أكثر؟***

حسيب: الأخ مارسيل، أولاً ليس العراق هو من سعى إلى هذه الحرب، بل هي فُرِضت عليه. العراق قَبِلَ من مجلس الأمن قرارات مذلة حتى يتجنب الحرب. وأمريكا وبريطانيا قالتا إن هناك أسلحة دمار شامل، وأن المفتشين لم يقدروا على كشفها، وأعطيت لهم صلاحيات في القرار ١٤٤١ فيها تعجيز ومع هذا قُبِلَتْ. وحتى الآن الجيوش الغازية المعتدية لم تعثر على أية قطعة سلاح من أسلحة الدمار الشامل، **وربما لن تعثر أبداً**. وبالتالي هذه الحرب باطلة وظالمة وعدوانية. من ناحية أخرى، ليس من المفروض أو من المتوقع أن يحارب العراق ويقاوم أمريكا وبريطانيا بكل قوتهما العسكرية. لكن هناك فرقاً بين بلد يقاتل وقد ينهزم بشرف، وبين بلد يستسلم. الشعب العراقي أعطى مثلاً خلافاً لما يقوله الأخ فواز، وأعطى مثلاً في الصمود وفي المقاومة على خلاف ما يقول. «أم قصر» لا يوجد فيها غير ٤٠٠٠ شخص، وهذه المدينة قاومت فترة طويلة والخسائر التي تكبدها الأمريكان معروفة. لدى الأمريكيين أكثر من ١٠٠ قتيل فضلاً عن طائرات أُسقطت، وأول أمس خلال الليل أُسقطت طائرة في بغداد. لا ينبغي أن نقلل مما قدمه الشعب العراقي. إضافة إلى هذا، وإلى أول أمس، وعلى الرغم من أن الدعاية التي قام بها الأمريكان عن الأسلحة الموجودة لديهم مثل القنبلة الالكترونية التي تعطل كل شيء، ظلت القيادة في العراق مسيطرة على كل القوات وعلى سير العمليات إلى أول أمس في الليل.

■ ***يا دكتور، عندما تعرف أن صدام لا يزال حياً، وأنه لم يقتل وأنه موجود في منطقة ما في العراق، فأكيد أنك تعرف ما حصل ما بين الأمس واليوم.***

حسيب: تأكد لو كنت أعرف لكنت قلت لك، لأن من حق الناس أن تعرف.

■ ***لماذا لا نأخذ بهذا السيناريو: أن صدام حسين هرب مع أركانه الأساسيين؟***

حسيب: في الحرب، يمكنك أن تنتقل من جبهة إلى جبهة أخرى، ستالينغراد عندما دافع عنها ستالين، أُحتل ثلاثة أرباع ستالينغراد وبقي فقط ربع في يد السوفيات، وبعدها استطاعوا أن يحرروها. هل من المفروض أن يبقى القائد في بغداد

إذا أراد أن يدافع عن كل الوطن أو يقود معركة؟ أنا لستُ متأكداً من أننا كنا جميعاً متوقعين المعركة في بغداد. لكنني فعلاً لا أعرف ما حصل. وعندما أتحدث عن المقاومة، فأنا أعرف أنها لن تنجح سريعاً في طرد الاحتلال، وسيتطلب منها ذلك وقتاً طويلاً.

■ ***د. طرابلسي، كان عندك توضيح أو تعليق على ما تفضل به الدكتور حسيب، والسؤال التالي هل نحن أمام نهاية نظام أم أكثر، خصوصاً أن رامسفيلد تحدث هذا المساء عن انهيار في بغداد يذكره بسقوط جدار برلين، فهل هذا عقد سقوط الأحزاب الاشتراكية العربية كما انهارت الأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية في العقد الماضي؟***

طرابلسي: أولاً ليست أحزاباً اشتراكية، ولا تدعي أنها أحزاب اشتراكية، وليس باقياً لها من الاشتراكية سوى ذكريات القمع والأجهزة الأمنية والاستبداد بالناس، فهذا أولاً. ثانياً، أعتقد أن الحرب فُرضت على العراق، ولكن كان يمكنه تجنبها. أنا أعتقد أن القائد الوطني هو من يعرف أحياناً كيف يجنب شعبه الحرب. فهل هذا استسلام؟ تقول لي: الهزيمة بشرف. أين الهزيمة بشرف؟ في ما عدا إذا أثبتت الأيام أن هناك خطة عسكرية ذكية جداً هي الخروج من بغداد، ثم تطويق الأمريكان في بغداد والهجوم عليهم من كل فئات الجيش العراقي، وأنا أتمنى ذلك، فإن لديَّ انطباعاً أن هناك قائداً ترك عاصمته، وذهب إلى بلدته. وهذه مشكلة، لأن هذا يعني أن بلدته أهم من وطنه. وإذا كان لديه شيء آخر أو معركة أخرى فنحن بانتظارها. لكن الدكتور خير الدين طرح علينا معادلتين متناقضتين، الأولى أنه موجود وحي ويتأهب للمقاومة، والثانية تقول إن هناك انهياراً ما حصل. فهاتان لا تتطابقان..

حسيب: في ما يتعلق بالأخ فواز، أنا قلت إن شيئاً ما حصل خلال الأربع والعشرين ساعة السابقة. أنت تناقش الموضوع من زاوية الديمقراطية في العراق، وأنا أناقشه من زاوية مصير العراق والوطن العربي بأجمله والنظام العالمي. أمريكا لا تريد أن تحتل العراق من أجل أن تتخلص من نظام صدام حسين أو من أسلحة الدمار الشامل. العراق هو الخطوة الأولى، وفقاً لما صرح بذلك كولن باول نفسه، لإعادة رسم خارطة الشرق الأوسط بما يحقق المصالح الأمريكية. فأنا أدافع عن العراق لأن هذه مقدمة للدفاع عن الوطن العربي كله ضدّ المخطط الأمريكي كله الذي يريد أن يحكم النظام العالمي.

الأخ فواز طرابلسي يضع على عينيه نظارات سوداء ويرى كل شيء أسود. أنا لا أناقش الموضوع من زاوية النظام. أنا أقول ليست للقضية علاقة حتى بـ ١١ أيلول/

سبتمبر. خطة الحرب مقررة منذ عام ١٩٩١ بعد انتهاء حرب الخليج. تشيني كان حينها وزير دفاع، وفي اجتماع كان معه فيه ريتشارد بيرل، وبول وولفويتز، وزلماي خليل زادة، وضعوا الخطة لهذا الغرض، ثم جرى تعديلها في عام ١٩٩٢. لكن الجمهوريين لم ينجحوا في الانتخابات. وعندما جاء بوش الابن مرشَّحاً، نشرت كوندوليزا رايس مقالة أثناء المعركة الانتخابية في مجلة *Foreign Affairs* عن السياسة الخارجية الأمريكية ومصالح الحزب الجمهوري. وقد أُعتمدت أفكارُ هذه المقالة في رسم الكثير من عناصر السياسة الخارجية الأمريكية. هذه وقائع سابقة لأحداث ١١ أيلول/ سبتمبر و١١ أيلول ساعد فقط على الإخراج والقضية ليست مرتبطة فقط بالعراق. أنا لا أناقش الحرب العراقية - الإيرانية ولا غزو الكويت ومسؤولية النظام عنه، أنا أناقش هذه الحرب الأخيرة: الغزو الأمريكي للعراق، وأقول إن النظام غير مسؤول عن هذه الحرب، فقد فعل كل ما يمكن فعله لتجنبها. وأنا مطلع على التفاصيل ومستعد للمناقشة في التفاصيل، لذلك قال أعضاء مجلس الأمن والمفتشون إنهم لم يعثروا على أي سلاح في العراق؛ لكنهم قالوا إنهم يحتاجون إلى مدة أكبر لكي يؤكدوا عدم وجوده. والدول الكبرى: فرنسا وألمانيا وروسيا والصين، طلبت تمديد فترة التفتيش. فأمريكا لا يوجد لديها قرارٌ من مجلس الأمن، وما فعلته في العراق يخالف القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة الذي يقول إنه يجوز الدفاع عن النفس في حالتين: في حالة وجود اعتداءً مسلح: والعراق لم يعتد على أمريكا؛ وفي حالة وجود اعتداء «**وشيك**» والعراق لا يمثل اعتداءً وشيكاً على أمريكا. وبالتالي، فأمريكا مخالفة للميثاق الدولي، ولا يوجد لديها قرار من مجلس الأمن يخوّلها شن الحرب.

تعليق الأستاذ سالم مشكور: نبدأ بكلام الدكتور خير الدين حسيب والذي سمعته منه مراراً وتكراراً في ندوات سابقة. الدكتور يحاول أن يفصل بين الحرب الأخيرة والحروب السابقة والأحداث السابقة لها خلال العقدين الأخيرين، وأنا أعتقد أن هذا خطأ كبير جداً. الحرب الأخيرة هي نتاج لكل الجرائم السابقة، والحروب السابقة. ومنها حرب الكويت .

بالنسبة إلى صدام حسين سواءً كان بقي على قيد الحياة أو لم يبق، فليس مهماً، ولكن المهم أن كابوسه انتهى عن رأس العراقيين، وللأسف انتهى بيد الأمريكيين. وهذا ما ساقنا إليه المنطق الشوفيني العربي القومي الذي رعى الاستبداد ودافع عنه وبرر له وأوصل العراقيين إلى درجة يفضلون فيها الشيطان على صدام حسين. المشاهد التي عرضتها الفضائيات اليوم والأمس تؤيد ما كنا نقوله دائماً ونتحمل الشتائم والاتهامات بسببه. والرجل المسن الذي كان يمسك حذاءه ويضرب به صورة صدام حسين، أظن أنه كان يعبر عن معاناة وعما يختلج في صدور العراقيين. نحن تعودنا

كعرب أن لا نعترف بأخطائنا وأن لا نواجه أنفسنا، نكابر على جروحنا وعلى أخطائنا ونصر عليها. ومن كارثة إلى كارثة، والله أعلم إلى أين سنصل.

حسيب رداً على سالم مشكور الصحافي العراقي: أنا لا أحب أن أعلق على كلام الأخ سالم في ما عدا نقطة واحدة، وهي أنه تحدث عن تبرير حرب العراق على الكويت. إذا لم يكن قد قرأ موقفي، فيجب عليه أن يقرأه. نحن أول من عَقَدَ ندوة عن «**أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي**» في القاهرة في نيسان/ أبريل ١٩٩١. وفيها عبّرتُ عن رأي واضح ومنشور ضد اجتياح العراق للكويت، وبالتالي نرجو عدم الثرثرة في هذا الموضوع.

■ ***سنتحدث حول ارتباط اسم صدام حسين بالأحداث الكبرى، أريد أن أسمع تعليق د. خير الدين حسيب على النقاط التي أثارها الأستاذ غسان شربل حول المرحلة المقبلة.***

حسيب: في ما يتعلق بالقول إنه كان من الممكن إنقاذ العراق بتخلي الرئيس صدام حسين عن السلطة، فهناك وجهان للمسألة: هناك ناحية مبدئية وأخرى عملية. من الناحية المبدئية لا ميثاق الأمم المتحدة ولا القانون الدولي ولا قرارات القمة العربية في بيروت وفي شرم الشيخ ولا قرارات مجلس وزراء الخارجية العرب إلخ، تسمح بالتدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد ومنها العراق، أو تغيير نظامه السياسي بالقوة. أمريكا هي صاحبة الفكرة وسَوَّقتها، وتمّ إخراجها عربياً. من حيث المبدأ القضية ليست قضية شخص معين، الرئيس صدام حسين أو غيره. لكن إذا حدث هذا، فسيقولون غداً للرئيس المصري إرحل، وللملك السعودي إرحل، وهكذا. وبالتالي تعيّن أمريكا حكاماً على بلدان المنطقة مثلما كان يعين الأتراك لنا ولاة على لبنان وغيره. من الناحية المبدئية لا يجوز هذا ولا يجوز لأحد أن يطلب هذا، ولا يجوز لنا نحن - وأياً كان الشخص الذي يُطْلَب منه التنحي - أن نسمح أو نؤيد شيئاً من هذا النوع. الشعوب هي التي تقرر.

من الناحية العملية، الذي يعرف شخصية الرئيس صدام حسين، يعرف أنه لا يمكن أن يُقدم على عمل من هذا النوع.

■ ***أي عمل؟***

حسيب: أن يتخلى عن السلطة ويرحل موفِّراً رأسَه، علماً أنه قبل بدء الحرب على العراق بيومين أو ثلاثة قال رامسفيلد إنه حتى لو تخلى صدام حسين عن السلطة فنحن سنغزو العراق. فإذاً كل هذا الكلام عن التنحّي لا معنى له.

شربل: يؤخذ على الرئيس صدام حسين الإفراط في القسوة. أية مراجعة للمحطات الذي سبقته تظهر وكأن القسوة كانت حاضرة دائماً في التاريخ العراقي الحديث. ثورة ١٩٥٨، هي ثورة لكن رافقتها مجزرة أنهت العائلة الحاكمة. في الوقت ذاته عبد الكريم قاسم كانت نهايته مأساوية. وعبد السلام عارف قُتل بحادث هليكوبتر، ولم تكن نهاية عبد الرحمن عارف مأساوية لأنه استسلم ولم يتمسك بالقصر. ثم بعد ١٧ تموز/يوليو ١٩٦٨ كانت القسوة حاضرة أيضاً، الشركاء العسكريون الذين كانوا في ١٧ تموز/يوليو والذين فتحوا باب القصر الجمهوري ومكنوا «حزب البعث» من العودة إلى السلطة أُبعدوا في ٣٠ تموز/يوليو. الرئيس صدام حسين شخصياً وضع الرشاش في صدر عبد الرزاق النايف وأخرجه من القصر واقتاده بالسيارة وأخرجه من البلد إلى المنفى. حتى ما سُمي بتجربة قائدين في قيادة واحدة أعتقد أن الرئيس أحمد حسن البكر سلم السلطة وقبل بلقب الرئيس السابق كي لا يستحق لقب الرئيس الراحل. في السياسة العراقية هناك غياب للرحمة. دعنا نتذكر: عبد الإله عُلِّق وتم تقاسم جثته. نوري السعيد سُحل في الشوارع.

■ ***ما هو السحل أستاذ غسان؟***

شربل: السحل هو جزء من ممارسات القسوة، وأبلغني الضابط الذي أمر بمواراة جثة نوري السعيد، أن الناس كانت تبحث عن أجزاء من الجثة.

■ ***هي إذاً قريبة من قصة التمثال اليوم؟ أقصد حين تم التعاطي مع تمثال صدام حسين من خلال الصراع على القطع المتناثرة.***

شربل: المخيف اليوم هو يقظة هذه المشاعر بالثأر، وأنا كنت أقول إن العراق كله جروح، نحن اليوم يمكننا أن ننتقد موقف القوى الكردية، وهذا الجرح الجديد الذي أضافته العلاقة العربية الكردية داخل العراق. لكن عندما نسمع مسعود البارزاني يتحدث عن ١٨٠ ألف قتيل منهم آلاف من عائلته: ثلاثة أخوة و٢٦ من الأقارب المباشرين على يد نظام الرئيس صدام حسين، يصبح لا بد من التوقف لفهم الدوافع الموجودة لدى الناس، وتأثير ما تختزنه الذاكرة على القرارات. الشيء نفسه في الجنوب، في الانتفاضة التي أعقبت حرب الخليج الثانية، لهذا السبب هناك خوف من مدرسة ترسخ خيار إما القصر وإما القبر. هذه وقائع في التاريخ العراقي الحديث، للأسف مشاهدُهُ مؤسفة ومليئة بالجثث.

حسيب: الأخ غسان، أنا كنت خلال ما يُسمى بالحرب الأهلية في لبنان طيلة

أحداثها. وما أستطيع أن أقوله هو أنه خلال الحرب الأهلية خلصتمونا نحن العراقيين من عقدة العنف والسحل وغيرها . . وأنتم فعلتم للأسف أكثر مما يفعله العراقيون. الغرائز عندما يُطلق العنان لها تصنع الكوارث. إذا عدتَ إلى كتب فرويد، تجد أن أصل الغرائز شرير، لكن الأخلاق والتهذيب يُؤَنْسِنَانِها إلخ، فلا يجب أن ندخل في هذا، وأفضّل أن نتكلم عن مستقبل العراق من أن نتكلم عن ماضيه. أرجو أن تتأكد أنه لا يوجد لدي أي وتر قطري، هذا الحسّ ميت عندي تماماً، وأنا أتكلم عن لبنان كما أتكلم عن العراق، وقس على ذلك.

■ ***د. خير الدين حسيب، واضح أن لا أحد يصدق ما حدث اليوم، ولكن ما انعكاس ما جرى على الأنظمة، على الأمة العربية، على القومية العربية، هل لدينا خطة لمواجهة المرحلة المقبلة؟***

حسيب: أنا أعتقد أن إحدى إيجابيات هذه الحرب، على رغم كل الشهداء الذين استشهدوا، وعلى الرغم من التدمير المادي للعراق، هو أنها كشفت حقيقة هذه الأنظمة أمام شعوبها. عندما كنت أدرس في جامعة كامبريدج، كان لدينا أستاذ يدرسنا موضوع مشاكل الاقتصاد البريطاني المعاصر، وكانت هناك مشكلة في ميزان المدفوعات تتمثل في أن هناك مبلغاً يمثل وديعة كبيرة أجنبية مودعة لدى بريطانيا إذا سُحبت من بريطانيا إلى الخارج فيمكن أن يؤدي ذلك إلى انهيار نقدي، فسأله أحد الطلاب، قائلاً: إذا سُحِبَت هذه الوديعة فماذا يحدث؟ فقال له القضية تشبه امرأة تلبس فستاناً مفتوح الصدر وبدون وجود ما يعلقه على رقبتها (*Strapless Dress*) والذي يجعل الفستان معلقاً وأن لا يسقط هو الخوف مما يحدث إذا سقط الفستان. فبوش سحب الفستان وسقط وعَرَّى الأنظمة. للأسف الشديد موقف الأنظمة العربية لم يأخذ بنظر الاعتبار ميثاق الدفاع العربي المشترك، ولا مؤتمرات القمة، وقرارات مجلس وزراء الخارجية العرب. أولاً المادة الثانية من ميثاق الدفاع العربي المشترك تعتبر أي اعتداء على أي بلد عربي هو اعتداء على البقية وتعتبر أنها كلها في حالة حرب. والمادة العاشرة من الميثاق لا تسمح لأي دولة عربية أن تعقد اتفاقية ثنائية مع أي بلد غير عربي يهدد الأمن القومي العربي. فإذن من المفترض أن هناك اعتداء أمريكيّاً ـ بريطانياً على العراق، يجعل الدول العربية كلها في حالة حرب. ولا يجوز أن تعقد كل الدول الخليجية اتفاقيات ثنائية مع أمريكا. وفي القانون الدولي الاتفاقية الاقليمية لها أولوية على الاتفاقية الثنائية، ويعني ذلك أن ميثاق الدفاع العربي المشترك له أولوية على أية اتفاقات أخرى تناقضه. هذه المواقف النظرية والقانونية مؤسِّسَة للنظام العربي، لكن للأسف الشديد، فإن الدول العربية، وباستثناء سوريا ولبنان وإلى حد ما اليمن، هي ما بين «ساكتة» أو «خائفة» أو «متواطئة سراً» أو «علناً».

■ ***ولكن ماذا ترك صدام حسين لهذه الأنظمة حتى تقف معه؟***

حسيب: هناك واجب اسمه الواجب القومي، والحقيقة أن العراق لم يتخلّف عن أداء هذا الواجب تجاه البلدان العربية الأخرى. في عام ١٩٧٣، اشترك سرب عراقي كامل من طائرات «هوكر هنتر» في الجبهة المصرية وفُقِدَ معظمه في المعركة. وفي عام ١٩٦٧، اشترك العراق في الحرب. وإذا لم تكن الأنظمة العربية ترغب في الوقوف مع العراق، فإنها تنسى أن دورها سيأتي بعد سقوط العراق.

من المؤسف أن مصر لم تُسَوِّق فقط المشروع الأمريكي بطلب التنازل عن السلطة، ومن أجل تثبيت الموافقة الأمريكية على ولاية العهد في مصر، بل حاولت أيضاً أن تسوّق هذا الموضوع حتى لدى فرنسا وألمانيا. وأنا أرغب أن تُكْشَف كل هذه الأمور. أما الدول الخليجية، فمن أراضي الكويت هاجمت القوات الأمريكية العراق، وكنت أتمنى أن لا تُقدِمَ الكويت على هذا، لأن الخلاف سيتعدى كونه خلافاً ما بين نظامين، سيصبح خلافاً ما بين شعبين. الطائرات والجنود الذين انطلقوا من الكويت قتلوا الشعب العراقي.

■ ***الكويت يفصل بين النظام والشعب العراقي، وهم يرسلون مساعدات.***

حسيب: لا يموت إلا أبناء الشعب العراقي بسبب السماح للعدوان بالانطلاق من جواره. مقر القوات البرية في الكويت، ومقر القوات البحرية في البحرين، والمقر الذي يدير العمليات كلها في قطر، والمقر الذي تُدَار منه المعركة الجوية يقع في قاعدة سلطان في السعودية. وبالتالي، كما قلت لك، فالحكام العرب ما بين ساكت وخائف ومتواطئ سراً أو علناً، هذا هو الموقف. وقد تعرّى هذا الموقف.

■ ***ما العمل إذاً؟***

حسيب: أنا أعتقد أنه أمامنا مرحلة إما أن تأخذ فيها هذه الأنظمة موقف شعوبها وتتصالح مع شعوبها وتغير من سياساتها، أو أنها ستنتهي بشكل أو بآخر.

■ ***د. خير الدين حسيب أريد أن أختم معك حول صدام: عاشق السلطة المطلقة ومواصفات صدام الشخصية وكيف يراه من عملوا معه، وتداعيات الموضوع على القضية الفلسطينية؟***

حسيب: في ما يتعلق بمستقبل العراق، سواءً استمرت المقاومة الآن أو نجح الأمريكان والبريطانيون في الاستيلاء الكامل على العراق، **فأنا أعتقد أن المقاومة ستستمر**، والمطلوب من الأنظمة العربية أن **لا تعترف بأية حكومة يقيمها الاحتلال.**

■ ***برأيك هل يمكن لهذه الدول العربية أن لا تعترف بالحكومة؟***

حسيب: هذا سوف يظهر لاحقاً. ثانياً، أرى أن لا يتعاون أي عراقي وطني مع سلطات الاحتلال في مراكز سياسية وفي مراكز إدارية كبرى، مع الإقرار بالحاجة إلى تسيير الخدمات الضرورية فهذه لا بد منها. على المستوى العربي أعتقد أن سوريا مهددة، ليس بالضرورة، بعملية اجتياح أو غزو، سيُطلب منها أن تستجيب لمطالب محددة، مثل موضوع «حزب الله» في الجنوب ونزع سلاحه مع بقائه سياسياً. وتصفية مكاتب المقاومة الفلسطينية في دمشق، وبعض التغييرات الداخلية. إذا استجابت، قد يُرْفَع عنها الضغط، وإذا لم تستجب فقد يحركون إسرائيل وغيرها ضدها. الموقف التركي موقف متميز، وهو أفضل وأشرف من موقف معظم الحكومات العربية للأسف الشديد. الموقف الإيراني كان موقفاً متردداً انتهازياً تطور قليلاً مؤخراً، لكنه للأسف أقل كثيراً من الموقف التركي. وكان موضع خيبة أمل، على الرغم من أننا نعمل منذ خمس عشرة سنة على تطوير العلاقات العربية ـ الإيرانية. بالنسبة إلى القوى الشعبية، ما تفضل به الأخ فواز، أنا أعتقد أن هذه الهجمة الأمريكية لا يمكن إيقافها إلا بشرط قيام كتلة تاريخية من التيارات الوطنية كلها: يسارية وقومية وإسلامية عروبية، لأن الكل مُهَدَّدٌ: الواحد تِلْوَ الآخر.

■ ***شكراً د. خير الدين حسيب.***

حسيب: أنا أقول لك أن ما حدث حتى الآن ليس إلا بداية الزلزال، وستكون له نتائج عربية وأمريكية وبريطانية.

(٥)
مصير الأمة العربية في ميزان العراق(*)

التفاؤل والتشاؤم مقولتان قديمتان قدم وجود الوجدان الإنساني. . . يرتفع نجمهما في أوقات مثل هذه، في توديع عام واستقبال عام جديد. ولا تزال هذه الوتيرة مستمرة على الرغم من أن حسابات التفاؤل والتشاؤم أصبحت أشبه بطقوس خرافية غير عقلانية في عصر لا فضاء لها فيه.

إنما تبقى حتمية قراءة دروس عام مضى واحتمالات ما سيأتي به عام بدأ حاملاً ميراث ما قبله.

ومن وجهة نظر عربية صافية ـ بغض النظر عن اعتبارات التشاؤم والتفاؤل وعن التقييمات القومية والايديولوجية والسياسية. . . إلخ ـ فإن **عام ٢٠٠٣ كان عام احتلال العراق. . وبالضرورة ـ ولأنه كان أيضاً عام مقاومة الاحتلال ـ فإن سنة ٢٠٠٤ ستكون سنة مصير احتلال العراق، وبالتالي مصير الوطن العربي والأمة العربية، وبخاصة مستقبل القضية الفلسطينية وحتى مصير الوضع الاقليمي والنظام الدولي**. فلقد أصبح هذا كله يتوقف على مدى نجاح الولايات المتحدة في الاستمرار في احتلال العراق، وإعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط، أو فشلها واضطرارها للانكفاء منسحبة من العراق.

* * *

أرادت النخبة الحاكمة الأمريكية الإيهام بأن عام ٢٠٠٣ سيكون عام التخلص من الإرهاب وبأن غزو العراق هو نقطة العبور إلى تحقيق تلك الغاية. ومن أجلها

(*) نشرت هذه الدراسة للدكتور خير الدين حسيب في: **المستقبل العربي**، السنة ٢٦، العدد ٢٩٩ (كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٤)، ص ٦ ـ ١٠.

أطلقت كل أشباح أسلحة الدمار الشامل التي جالت والتي لم تجل بخيال كتاب روايات الخيال العلمي. لكن جدول أعمال الإدارة الأمريكية الحالية المعلن وغير المعلن أوسع من ذلك بكثير، إذ يشمل إقامة نظام «ديمقراطي» في العراق يكون ـ حسب تعبيرات المسؤولين في هذه الإدارة ـ نموذجاً تعيد أمريكا على أساسه رسم خريطة الشرق الأوسط حسب جدولها المعلن، في حين أن جدول أعمالها غير المعلن هو السيطرة على العراق كموقع استراتيجي وإقامة قواعد عسكرية فيه، وكذلك السيطرة على نفط العراق حيث تستكمل بذلك سيطرتها على نفط الخليج العربي كله، بالإضافة إلى سيطرتها بشكل أو بآخر على مناطق إنتاج النفط في وسط آسيا وأفريقيا ليكون النفط ورقة بيدها تتحكم في توريده وأسعاره، وبذلك تكون هذه السيطرة ورقة مساومة لديها وورقة تتحكم بها في علاقاتها مع أوروبا والصين واليابان بشكل أساسي. وهي مناطق تعتمد اعتماداً كلياً (أوروبا) أو شبه كلي (اليابان) على النفط المستورد.

***

لكن عام ٢٠٠٣ لم يلبث أن تحول إلى عام الخوف . **ومن يمكن أن يتابع بلاغات السلطات الأمنية الأمريكية عن رفع مستوى التأهب تحسباً لهجمات إرهابية داخل أمريكا إلى الذروة ولا يتذكر قول الرئيس الأمريكي الأسبق روزفلت:** «**ليس هناك ما ينبغي أن نخاف منه سوى الخوف نفسه**». وها هو جورج و. بوش يعكس الآية فيعتبر أن على الأمريكيين أن يتسلحوا بالخوف في مواجهة الإرهاب - فهو أثار من الذعر فوق ما تحتمله أعصاب الأمريكيين.. على الرغم من تدريبهم الثقافي المستمر - سينمائياً وتليفزيونياً - على حياة الرعب.

وعلى غرار أسطورة الملك ميداس الذي أصبح كل شيء يلمسه يتحول إلى ذهب، ولم يدرك إلا متأخراً أن هذه لعنة من الآلهة وليست هبة، أصبح كل شيء يتحول بين يدي الامبراطور الأمريكي الجديد إلى معضلة، إلى محنة، إلى عش للثعابين تلتف حول يديه. تحول العراق من انتصار سريع إلى ورطة كبرى، إلى مستنقع تجد نفسها غارقة فيه، وقبلها تحول الاقتصاد الأمريكي نفسه من باب الفائض في ميزانيتها وازدهارها الاقتصادي إلى باب العجز والضائقة، حيث يتوقع أن يتجاوز العجز في الميزانية الأمريكية لعام ٢٠٠٣ حوالى ٥٠٠ مليار دولار، وأن يصل هذا العجز إلى مثل هذا الرقم أو ربما أكثر منه في عام ٢٠٠٤، كما أن من المتوقع أن يستمر في عام ٢٠٠٤ الانخفاض الشديد في سعر الدولار في الأسواق العالمية مقابل العملات العالمية الرئيسة (مثل اليورو والين).

حتى القبض على صدام حسين تحول من جائزة كبرى إلى معضلة أكبر، وبدأ الأمريكيون يشعرون أنهم كالقابض على جمرة نار . . . حيث يريد المحافظون الجدد أن تتحول محاكمة صدام حسين إلى أعظم استعراض أمريكي للديمقراطية كما تصنعها القوة المسلحة . . . وأن تصبح بالتالي الصوت الحاسم الذي يقرر فوزهم بفترة الرئاسة الثانية لبوش حين يكون عام ٢٠٠٤ قد اقترب من نهايته. لكنهم ورئيسهم لا يعرفون هل سيضطرون إلى طلب محاكمة سرّية لصدام كما أشيع مؤخراً على ألسنة بعض أعضاء ما يسمى «مجلس الحكم المؤقت»، أم سيلجأون إلى تخديره قبل السماح بمحاكمته علناً أمام كاميرات التليفزيون؟ هل يطلبون من حلفائهم العراقيين أن يصدروا حكم الإعدام وينفذوه سريعاً، أم يستخدمون «عجز العراقيين عن إجراء محاكمة طويلة» بين ذرائع الاستمرار في حجب استقلالهم وسيادتهم عنهم؟

* * *

على أن نجاح بوش أو فشله في الانتخابات القادمة يعتمد على أمور ثلاثة: **الأول** مدى نجاح واستقرار الاحتلال الأمريكي في العراق، و**الثاني** حال الاقتصاد الأمريكي خلال عام ٢٠٠٤ حتى موعد الانتخابات في تشرين الثاني/ نوفمبر، و**ثالثاً** ما ستنتهي إليه الأوضاع في أفغانستان التي تشير الدلائل فيها على أنها عادت تشكل تحدياً للإدارة الأمريكية مع التصاعد المطرد لمقاومة طالبان، وما يترتب على ذلك من مخاوف من عمليات «إرهابية» ذات نطاق عالمي.

هذا الرئيس الأمريكي مصمم ـ وقد يكون قادراً ـ على أن يجعل من عام ٢٠٠٤ عام فوزه بفترة رئاسة ثانية يلتقط فيها أنفاسه ليتابع أداء ما تدفعه إلى أدائه نخبة المحافظين الجدد. فقط عليه أن يقفز فوق حواجز لا تبدو لها نهاية: المقاومة المسلحة، مخاطر محاكمة صدام حسين، مخاطر التذبذب بين احتقار حلفاء أمريكا وأصدقائها واللجوء إليهم في طلب العون للخروج من ورطته العراقية، مخاطر الغلو في إثارة خوف الأمريكيين من أشباح الإرهاب بما يلحقه هذا من أضرار بالاقتصاد الأمريكي وبطريقة الحياة الأمريكية، وحتى بوضوح الطريق الأمريكي إلى أي هدف كان. وشاء أو لم يشأ فإن العراق يحتل الفضاء الزمني الممتد من عام ٢٠٠٣ إلى نهاية عام ٢٠٠٤. فمجمل التحديات التي تواجه السياسة الخارجية الأمريكية وصناعها وصناع قراراتها على طول هذه المساحة وعرضها ليس مصيره بيد أمريكا والقيادة العسكرية أو السياسية الأمريكية. بقدر ما هو بيد المقاومة العراقية والشعب العراقي. لهذا تتردد التساؤلات ـ خاصة منذ أن وقع صدام حسين في الأسر ـ عما إذا كانت هذه الخطوة تعني أن المقاومة ستنحسر، وهو ضرب من أحلام اليقظة يراود عقول مديري حملة

بوش الانتخابية ومنظّري تيار المحافظين الجدد، أم تعني أن المقاومة ستشتد وتتسع قاعدتها، وهو الواقع الذي تؤكده أحداث الأيام الأخيرة من عام ٢٠٠٣. وهو ما أعلنه وأكده قائد عسكري أمريكي كبير في العراق يوم ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٣، وفي الوقت نفسه وجدت النخبة التي يترأسها بوش من المناسب أن تشغل الأمريكيين حملة «تخويف» من الإرهاب، في اعتراف ضمني منها بأن احتلال العراق لم يكفل أماناً لأمريكا والأمريكيين.

وحتى الهدية التي تلقاها جورج و. بوش من طرابلس الغرب قبيل أعياد الميلاد ورأس السنة تحولت بين يديه إلى ثعبان سام. . . تحولت إلى دعوة للضغط على إسرائيل للتخلي عن ترسانتها النووية وما تملكه غير ذلك من أسلحة الدمار الشامل. فهل يمكن أن يقدم فريق بوش في واشنطن ـ في سنة انتخابات رئاسية ـ على الضغط على فريق شارون في تل أبيب؟

على أي الأحوال، فإن «إنجاح» بوش في الانتخابات الرئاسية القادمة هو الهدف الرئيسي له ولمجموعة المحافظين الجدد المحيطة به. وكل شيء آخر يخضع لهذا الهدف. موقف الإدارة الأمريكية من كل ما عدا «إنجاح» رئيسها في الفوز بفترة رئاسية ثانية ـ سواء كان أمراً داخلياً أو خارجياً ـ يخضع لهذا الهدف. هذه هي نصيحة مستشار البيت الأبيض للشؤون الداخلية كارل روف التي ينصاع لها الجميع. لكن من يمكنه أن يقول إن المقاومة لا تدرك أهمية دورها في التأثير في حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية ونتيجتها؟ من يمكنه أن يتصور أن المقاومة يفوتها أن تدخر أغلى عملياتها للوقت الحاسم من عام ٢٠٠٤ بالنسبة إلى مصير فريق المحافظين الجدد؟

***

قبل عام ـ عندما كانت سنة ٢٠٠٣ في بداياتها ـ بدا أن العالم كله كان في مظاهرة عظمى غير مسبوقة ضد شن الحرب على العراق. والآن **تشير المعلومات المتوفرة إلى أن العالم سيشهد عودة لهذه الظاهرة خلال وقت قصير، إذ تجري الاستعدادات والتحضيرات لمظاهرات واسعة النطاق في أمريكا وأوروبا ـ ومن المؤكد أن تمتد إلى قارات العالم الأخرى ـ ضد احتلال العراق وضد استمرار العدوان على استقلاله وسيادته. والموعد هو يوم ٢٠ آذار/ مارس ٢٠٠٤، حيث سيكون المطلب الأساسي في المظاهرات العالمية في الذكرى السنوية الأولى لسقوط بغداد هو انسحاب الجيوش المحتلة من العراق وتسليم المسؤولية إلى الأمم المتحدة.**

إن العالم يتهيأ بجدية لإعادة مشاهد الاعتراض والرفض بوجه أمريكا

والمحافظين الجدد، وكذلك ـ وبالمنطق ذاته ـ بوجه إسرائيل.

معركة ٢٠٠٤ الحاسمة لانتخابات الرئاسة الأمريكية محكوم عليها منذ الآن بأن تجري على أرض العراق وأن تتحدد نتيجتها فيها. والنتيجة ستحدِّد بدورها إذا كان خطر النخبة الأمريكية الحاكمة الآن سيستمر لأربعة أعوام أخرى. . . أم أن تحالفاً غير مكتوب بين المقاومة العراقية والمعارضة الأمريكية للحرب والاحتلال ونزيف الدم الأمريكي والانتفاضة العالمية ضد خطر النازية الأمريكية الجديدة سيضع نهاية لهذا الإرهاب الرسمي.

* * *

إن جدول أعمال (أجندة) فريق المحافظين الجدد لعام ٢٠٠٤ يبدو واضحاً. . وأوضح ما فيه أنه يريد أن يبدو برنامجاً «حميداً» يعد بنقل السلطة والسيادة إلى العراقيين في منتصف العام إنما ظاهرياً فحسب. . . فالوعد لا يعدو أن يكون نقلاً شكلياً للسلطة والسيادة دون انسحاب الجيش الأمريكي وروافده من الجيوش الأخرى التي تحتل العراق. وهذا يتبعه انكفاء للقوات الأمريكية إلى قواعد عسكرية في مواقع محددة من العراق يجري بالفعل بناء بعضها في الوقت الحاضر، وعلى أمل أن ينجح الاحتلال في إقامة حكومة عراقية «عميلة» له توقع معه على «معاهدة دفاع مشترك» تسمح للولايات المتحدة بالاحتفاظ بتلك القواعد، وكل ما يترتب عليها من نتائج. . . بما في ذلك ضمان الحفاظ على تلك «الحكومة العراقية» وأية «حكومة عراقية» على شاكلتها، وبالتالي ترتيب الانتخابات لمجلس تأسيسي وإعداد الدستور حسب مصالح الولايات المتحدة قبل وفوق كل المصالح الأخرى. لكن **هذه «الأجندة» الأمريكية الرسمية ـ ككل خطب العرش الامبراطورية ـ مرهونة بالتجربة على أرض الواقع. وستكشف تطورات ٢٠٠٤ جوانبها الخفية التي لم تعد كذلك، وتلك التي لا تزال خفية. ومنها خطة نقل القواعد العسكرية الأمريكية التي ظلت رابضة في أوروبا الغربية طوال حقبة الحرب الباردة إلى العراق** بذريعة أن تلعب دورها في حقبة الحرب على الإرهاب. فالعراق أقرب إلى حقول نفط الشرق الأوسط الأخرى وحقول نفط القوقاز وقزوين. وقد بدأ الحديث في الأيام الأخيرة من سنة ٢٠٠٣ حتى عن نقل القوات الأمريكية من السعودية إلى قواعد في العراق. وثمة مؤشرات كثيرة إلى أن واشنطن تتباعد عن الرياض بدرجة لم يسبق لها مثيل تمهيداً لإتمام هذا في العام الجديد.

ويدعو البرنامج الأمريكي نفسه بالنسبة إلى القضية الفلسطينية، لفظياً، إلى التمسك بسياسة دولتين: إسرائيلية وفلسطينية. . . وعند هذا الحد ينتهي أي تحرك

فعلي نحو تحقيق هذا الجانب من «جدول الأعمال». ولا يمكن لأحد أن يتوقع أي تحرك بهذا الاتجاه في عام ٢٠٠٤ الذي ستسيطر عليه الحملة الانتخابية إلى بدايات تشرين الثاني/ نوفمبر.

❋ ❋ ❋

وأياً كانت درجة وضوح «جدول أعمال» فريق المحافظين الجدد فإن ممارسات هذا الفريق منذ مجيئه إلى السلطة تنذر بأخطار ومخاطر إقليمية وحتى كونية، فهي «أجندة» تدخل في إطار فكر أيديولوجي يقوم على اعتقاد بأن اللحظة التاريخية الراهنة هي فرصة لا تفوّت لأمريكا لإحكام سيطرتها على العالم بلا منازع ولا منافس.

فهل ستستمر الولايات المتحدة في انتهاج سياسة الانفراد بالقرار والفعل عالمياً (Unilateralism) وفي اتخاذ قرارات تعاقب حلفاءها ـ كما فعلت باستبعاد الشركات المنتمية إلى بلدان عارضت حربها على العراق؟ أم ستعود إلى الشرعية الدولية والعمل المشترك مع المجتمع الدولي (Multilateralism)؟

❋ ❋ ❋

هل يمكن أن يكون عام ٢٠٠٤ ـ إذاً ـ عام تحديد المصير الأخير لنخبة المحافظين الجدد برئاسة بوش؟ يبدو أنه لا يمكن أن يكون غير ذلك.

إن عام ٢٠٠٤ يبدأ وللولايات المتحدة وجود عسكري في ما لا يقل عن ستين بلداً أجنبياً كلها خارج القارة الأمريكية، في ما وراء البحار، ومعظمها بلدان فقيرة، ليس بين أي منها والولايات المتحدة حرب معلنة. الغالبية الساحقة من الأمريكيين لا تعرف شيئاً عن هذه البلدان ولا تعرف حتى عن وجود قوات أمريكية فيها. لكن بالنسبة إلى بلد واحد بينها جميعاً ـ هو العراق ـ يبدو الوضع استثنائياً في أبعاده وتأثيراته، على العراقيين وعلى الأمريكيين وعلى العالم الخارجي... وبطبيعة الحال ابتداءً من الوطن العربي.

❋ ❋ ❋

وبالنسبة إلى العرب، فإن الدراسات المستقبلية تبين أن المستقبل ليس قدراً محتوماً. فهناك دائماً بدائل ـ «مشاهد أو سيناريوهات» ـ بعضها أفضل من بعضها الآخر، ولكل منها متطلباته، ويعتمد تحقيق أي بديل أفضل على مدى القدرة والرغبة في توفير متطلبات هذا «البديل الأفضل». ولحسن الحظ فإن العراق قادر وراغب وحده في تحقيق البديل الذي يضمن تحرير العراق وانسحاب القوات المحتلة منه،

وهو لا يحتاج حالياً ومن أجل ذلك إلى دعم الأنظمة العربية . . التي تتوزع بين ساكت أو خائف أو متواطئ سراً أو علناً مع الإدارة الأمريكية، ولحسن الحظ فإن المتواطئين منهم غير قادرين على تحمل عبء دعم الاحتلال الأمريكي الحالي وإفشال المقاومة كما فعل كثيرون منهم بالمشاركة الفعلية المعلنة وغير المعلنة في تقديم التسهيلات لاحتلال العراق، وعلى رغم ما تفرضه عليهم التزاماتهم القانونية التي تمليها عليهم «اتفاقية الدفاع العربي المشترك»، وهم جميعهم موقعون عليها.

* * *

وبعد . . فإن المسافة بين التشاؤم والتفاؤل ـ في مثل هذه الأوقات الدقيقة والصعبة ـ أوسع بكثير من أن تقاس. لكن أصحاب الإرادة المقاوِمة يستطيعون عبورها بل إلغاءها. فقط «متى؟» هو السؤال اللغز: هل يتم هذا في سنة ٢٠٠٤ أو بعدها ـ إنه السؤال الذي لا يمكن لأحد أن يجيب عنه، إلا المقاومة العراقية والشعب العراقي. وعندما يتحقق انسحاب المحتل الأمريكي بدون شروط يكون العراق قد كسب الحرب رغم أنه خسر «معركة» غزوه من قبل أمريكا، فالمهم في النتيجة النهائية هو «كسب الحرب» وليس «خسارة معركة».

(٦)
حوار حول الملف العراقي(*)

● المبررات المعلنة... والأسباب الحقيقية لاحتلال العراق

● انتهت الحرب الباردة وفجأة أصبح العراق - بدلاً من الاتحاد السوفياتي - الخطر الاستراتيجي رقم واحد

● سلاح النفط هو الأداة الاستراتيجية لمنع أي منافسة لأمريكا على موقع الدولة العظمى الوحيدة

● أرقام الضحايا الأمريكيين لعمليات المقاومة العراقية هي لحملة الجنسية الأمريكية... ومن عداهم لا يدخلون في الحساب

● المجموعات المتعاملة مع الاحتلال الأمريكي والنظم العربية تتحمل معاً المسؤولية عما حدث وقد يحدث للعراق والوطن العربي

● المخرج الأساسي لأمريكا من ورطتها في العراق هو في دور الأمم المتحدة...

● تاريخياً وعقائدياً ونضالياً... العراق لا يعرف الطائفية

● الدولة الكردية مقبولة فقط إذا شملت كل أكراد المنطقة... أما أن تتحكم أقلية في أغلبية العراقيين فأمر غير جائز

● للمقاومة العراقية أوجه كثيرة غير الوجه المسلح.. والمقاومة بالموقف التي يبديها آية الله السيستاني أحد أهم الوجوه

● أنا أقول للعراقيين إن مصيرهم كله مشترك، ولا فرق بين إسلامي وقومي عربي وبعثي ويساري وشيعي وسني.. على العراقيين أن يتوحدوا، لأنه من دون الخلاص من الاحتلال لا يوجد أمل للعراق

(*) أجرى هذه المقابلة مع الدكتور خير الدين حسيب الدكتور محمد الهاشمي الحامدي على قناة «المستقلة» الفضائية في لندن يوم ٢٥/ ٣/ ٢٠٠٤، وذلك ضمن برنامج «نبض الشارع»، ونشرت في: **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٣ (أيار/ مايو ٢٠٠٤)، ص ٦ ـ ٣٠.

مشاهدينا الكرام في الموصل وبغداد والناصرية والبصرة وكل مدن العراق وأريافه، مشاهدينا الكرام في مكة المكرمة، في القاهرة، في القيروان، وفي مراكش، وفي كل أنحاء العالم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. أحييكم من قناة «المستقلة» في لندن، من منبر الحوار الديمقراطي الفكري والتاريخ والسياسية، وأقدم لكم على الهواء مباشرة هذه الحلقة الجديدة من برنامجكم، برنامج نبض الشارع. في هذه الحلقة نستضيف الكاتب والمفكر العراقي والعربي المعروف الدكتور خير الدين حسيب. نركز على شخصيته العراقية وإن كانت غالبية كبيرة من المهتمين بالعمل العربي يعرفون الدور المتميز للدكتور خير الدين حسيب على الساحة العربية، مؤسساً ومديراً لمركز دراسات الوحدة العربية، ومؤسساً رائداً في المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي الإسلامي والعديد من مبادرات العمل العربي المشترك في الجانب الثقافي عن طريق الطابع الأهلي. ولكن كما قلت في هذه الليلة نتحدث إلى مواطن عراقي وإلى كاتب عراقي وإلى سياسي عراقي سبق أن عمل في الستينيات محافظاً للبنك المركزي العراقي بدرجة وزير، وفي السنوات الماضية هو مثل غيره تابع تطورات القضية العراقية وشارك في ندوات كثيرة حولها، ولا شك في أنه تحدث إلى شخصيات عراقية كثيرة أيضاً حول ما جرى وحول ما يجري. والليلة، مشاهدينا الكرام، نستطلع رأي الدكتور خير الدين حسيب في ما جرى في العراق. تذكرون بعد تلك المقابلة التي أجريتها معه السنة الماضية قبل الغزو، أو أكثر من سنة من الآن، وتوقعاته للأمور. الخطة إذاً الغربية في غزو العراق نفذت ومضى الآن على سقوط بغداد أكثر من سنة، ويتوقع أن تتغير الأوضاع أيضاً بشكل جوهري في الثلاثين من حزيران/يونيو. وهناك الآن قانون انتقالي للدولة العراقية أو دستور مؤقت جديد. فكيف يقيّم د. خير الدين حسيب كل ما جرى في بلاده، وكيف ينظر إلى مستقبلها. هذا هو بشكل عام المحور الرئيسي لهذه المقابلة، وإن شاء الله نعطيكم فرصة في جزء منها للمشاركة بها في مداخلات وتعليقات.

■ ***د. خير الدين حسيب أهلاً وسهلاً بك. البداية هي بسؤال بسيط جداً، ولكن طويل جداً، ما رأيك في ما جرى في العراق؟***

حسيب: من الأسباب المعلنة لاستهداف العراق كان موضوع أسلحة الدمار الشامل وعلاقة العراق بالقاعدة وبالإرهاب. وتبيّن الآن بما لا يقبل الشك أنه لا توجد أسلحة دمار شامل، ولم تثبت أية علاقة للنظام السابق بالقاعدة، وبالتالي لا بد من التساؤل عما هي الأهداف الحقيقية لأمريكا في العراق؟ أنا لا أريد أن أعود إلى تفاصيل من الماضي، لكن أعتقد أن استهداف العراق بدأ في أوائل عام ١٩٨٩، حوالى فترة انتهاء الحرب الباردة، وحيث عين شوارزكوف قائداً لقوات التدخل

السريع (المركزية)، وطلب منه زيارة الشرق الأوسط وتقييم الأخطار التي تواجه أمريكا في الشرق الأوسط. وفي أواخر عام ١٩٨٩، وهذا كلام يصفه في مذكراته التي نشرها بعد عاصفة الصحراء: الفصل الأول كان عن حرب فيتنام، والفصل الثاني عن عاصفة الصحراء، وفي أول ستين صفحة من القسم الثاني من الكتاب الذي عنوانه *It Doesn't take a hero*، حيث يصف جولاته، ثم يقول إنه في أواخر ١٩٨٩ قدم تقريراً يقول فيه إن الخطر الأول والرئيسي على مصالح الولايات المتحدة هو العراق. بالإضافة إلى هذا، فإن قوات القيادة المركزية الأمريكية تقوم كل سنة بتمرين: سنة ١٩٩٠ خطط التمرين على أساس أن العدو هو العراق، وليس الاتحاد السوفياتي كما كان في السابق. فيسرد تفاصيل التحضيرات والأهداف التي تقصف. وبدأ فعلاً التدريب في تموز/ يوليو ١٩٩٠ وتداخل مع الحرب. ولهذا لاحظنا أنه في أول عام ١٩٩٠ بدأت الحملة الإعلامية على العراق حول «المدفع الكبير» وما شابه لتمهيد الرأي العام الغربي.

كذلك تبيّن أن موضوع العراق لا علاقة له بموضوع ١١ أيلول/ سبتمبر، بل كان هذا عاملاً مساعداً في الإخراج فحسب. في عام ١٩٩١ بعد انتهاء الحرب، شكلت لجنة برئاسة تشيني وكان وزير الدفاع، لوضع استراتيجية للولايات المتحدة. وتسرب بعض المعلومات عنها إلى جريدة **نيويورك تايمز**، وجزء من هذه الاستراتيجية يقول إن الولايات المتحدة لن تسمح بأي حال من الأحوال أن تنافسها دولة أخرى أو مجموعة من الدول، وأنها ستكون هي القوة الأعظم الوحيدة في العالم. وأثارت هذه التسريبات ضجة كبيرة في العالم، ثم أعادوا النظر فيها في عام ١٩٩٢.

بعد ذلك، وبسبب خسارة بوش الأب في الانتخابات، تأجلت العملية إلى ما بعد عام ١٩٩٧ حين شكلوا مجموعة أخرى، باسم القرن الأمريكي القادم، ثم جاء بوش الابن في عام ٢٠٠١، وبدأ في التنفيذ. هناك مؤشرات كثيرة حول هذا: وزير الخزانة الذي استقال أونيل. بوب وودورد في كتابه: **بوش في حالة حرب**، يقول في أول اجتماع حدث بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر، إن مجموعة رامسفيلد وولفويتز طرحت الهجوم على العراق قبل التحقق من الجهة التي نفذتها، وكان جواب بوش الابن أن حضّروا الخطط الموجودة لديكم وسننظر فيها. فموضوع ١١ أيلول/ سبتمبر ساعد في إخراج موضوع الحرب. والسؤال هو: إذا كان العراق لا توجد لديه أسلحة دمار شامل، وليست له علاقة بالقاعدة، وكولن باول نفسه يقول إنه لم يثبت وجود علاقة له مع القاعدة، فما الغرض من وراء غزو العراق؟

لقد قررت أمريكا أن لا تسمح لأي دولة أو مجموعة دول بأن تنافسها على زعامة

العالم، أو أنها ستكون أكبر دولة في العالم، فكيف لها أن تقوم بهذا، كيف ستمنع الاتحاد الأوروبي من أن ينافسها، وكيف تمنع الصين والهند والدول الأخرى؟ إن كونها متفوقة بالأسلحة لا يكفي. لأنه إذا تفوق الاتحاد الأوروبي عليها اقتصادياً، ماذا تفعل، هل تهاجمه؟ فهذه أيضاً قوى نووية. فكان من الضروري الإمساك بورقة النفط، ليس بمعنى الحصول على حاجات أمريكا، لا، وإنما الإمساك بورقة النفط في العالم كله. العراق لديه ثاني احتياطي في العالم، والمناطق النفطية كلها ستتم السيطرة عليها، مثل الذي حدث في بلدان وسط آسيا. فالغرض هو الإمساك بالورقة النفطية، لأن أوروبا تعتمد على النفط، وكذلك الصين والهند واليابان، فبذلك ستكون لدى أمريكا ورقة اقتصادية تتحكم فيها، في التصدير وفي الأسعار.

■ ***لسائل أن يسأل، أمريكا تتعامل مع دول نفطية كثيرة من دون أن تغزوها، وعلاقاتها بها طيبة، فما الذي يدعوها إلى الحرب إذا كان يتعلق الأمر فقط بالسيطرة على النفط والتحكم فيه، كان من الممكن أن تقيم علاقات طيبة مع العراق كما تقيمها مع الدول الأخرى، وربما أن الرئيس العراقي السابق صدام حسين بأخطائه الكثيرة والكبت الشديد الذي قام به في العراق هو الذي سهّل عليها الأمر، والدليل على ذلك أن أمريكا احتلت العراق وتحكمه، وبسرعة شكلت مجلس حكم فيه أبرز القوى السياسية العراقية، يعني: «الاخوان المسلمون» و«حزب الدعوة» و«الحزب الشيوعي».***

حسيب: لو أمسكت أمريكا بورقة النفط، وخفضت سعر النفط إلى ١٠ دولارات، ستتوقف روسيا مثلاً عن التصدير لأن الكلفة عندها عالية، فهي تستطيع أن تؤثر في اقتصاديات المناطق المختلفة إذا أمسكت بورقة النفط. إذا لم تمسك بها، فإن أوروبا ستتعامل مباشرة مع الدول المنتجة، وكذلك اليابان.

أما السبب الثاني غير المعلن فهو العراق كموقع استراتيجي وكبداية لشيء أوسع. وهذا لم يخفه الأمريكيون، فكولن باول وغيره صرحوا بأن العراق هو بداية لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط.

■ ***أمريكا تريد أن تكثف وجودها في العراق إذا أرادت أن تحتل الدول الأخرى؟***

حسيب: الهدف هو السيطرة والهيمنة، أمريكا عندها قوات موجودة في الكويت، وفي البحرين، وفي قطر، وفي الإمارات، وفي عدن، وفي السعودية نجد الأمريكيين خائفين من قواعد الإرهاب، فنقلوا قسماً من قواتهم هناك إلى العراق وإلى قطر.

الموضوع الثالث هو إسرائيل، العراق كان يشكل خطراً على إسرائيل، وبالتالي هذا كان هدفاً إسرائيلياً أمريكياً مشتركاً. إذا قرأت محضر الاجتماع الذي حصل بين د. سعدون حمادي وهنري كيسنجر في السفارة العراقية في فرنسا حول موضوع إسرائيل، ترى التباين في السياستين.

العراق هو البداية بالنسبة إلى أمريكا، فإذا نجحت بالاستقرار في العراق والقضاء على المقاومة، فإني أعتقد أن الخطوة الثانية ستكون سوريا فإيران ومصر والسعودية.

المقاومة . . . من؟

■ ***إذا نجحت في القضاء على المقاومة، هل لديك أي صورة عن هذه المقاومة في العراق، ما هويتها؟ هل يعرف أحد إذا كانت هناك مقاومة أو لا؟ هناك أعمال، نعم، لكن هل يوجد جسم عسكري، جسم سياسي؟ هل توجد مطالب وهل توجد رؤية؟***

حسيب: في الندوة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ما بين ٨-١١ آذار/ مارس ٢٠٠٤، كان ثمة حوالى ١٣٥ مشاركاً، ٥٠ منهم كانوا عراقيين، ٤٠ من الداخل و١٠ من الخارج. لا أحد منهم استطاع أن يعطي صورة متكاملة، إنما كلٌ يتحدث عن المنطقة الموجود فيها، وتبيّن أن الأربعين شخصاً الذين أتوا من داخل العراق، معظمهم لا يعرف بعضهم بعضاً سابقاً، وبالتالي لا يوجد تبادل معلومات بينهم حول المقاومة. إنني أتابع ما ينشر في التقارير الأمريكية والصحافة البريطانية وحتى الإسرائيلية. وهناك تقارير متناقضة بين ما يصرح به بريمر والقادة الأمريكيون في المناطق المختلفة وبين ما ينشر في الصحافة. بمعنى أن بعض التقارير الأمريكية يشير إلى أن ٩٥ بالمئة من المقاومة هم من أتباع النظام السابق. فيما هنالك تقارير تقول إن النظام السابق أعد للمقاومة قبل سنة، وأن قياداتها لا علاقة لها بالقيادات السياسية. في الحقيقة أنه من الصعب أن تحدد من يقوم بالمقاومة. أما بشأن ما يقال عن القاعدة، فلم تقدم قوات الاحتلال في العراق أي دليلٍ حتى الآن عن وجود أعضاء منها من الذين اعتقلتهم وحققت معهم. هناك بقايا من جماعة تسمى «أنصار الإسلام» وهم كانوا في منطقة حلبجة في السليمانية، وقبل الحرب وأثناء الحرب قصفتهم القوات الأمريكية بالتعاون مع حزب «الاتحاد الوطني الكردستاني» وهو تابع للأخ جلال طالباني وقضي على معظمهم، وبقي قسم يقدره البعض بمائة، ويقدره البعض الآخر بأكثر، قيل إنه تسرب إلى بغداد ويقوم بأعمال مقاومة.

■ ***ما هي الحقيقة عن الضحايا بين القوات الأمريكية؟***

حسيب: هناك مقاومة، ويجب أن نعرف أن الأرقام التي تنشر عن ضحايا القوات الأمريكية ليست صحيحة. لماذا؟ لأن الجيش الأمريكي الموجود في العراق مؤلفٌ من أربعة أقسام: قسم من الجنود يحمل الجنسية الأمريكية، والأرقام التي تنشر عن القتلى هي الأرقام الحقيقية. القسم الثاني من جنود مقيمين في الولايات المتحدة لديهم إقامة (غرين كارد)، وهؤلاء لا تنشر الخسائر البشرية بينهم، وهناك اتفاق مع عائلاتهم على أن قوات الاحتلال ليست ملزمة بإعادة جثثهم إلى أمريكا. وهناك مجموعة ثالثة ليست لديها جنسية أمريكية ولا «غرين كارد»، ولكن جنودها تطوعوا على أمل أن يحصلوا بعد الحرب على الجنسية، وهؤلاء كذلك لا يدخلون في الحسابات. القسم الرابع يتعلق بمن يقومون بالخدمات العسكرية كخدمات الطبخ والغسيل، وهي خدمات خصخصتها أمريكا في السنوات الأخيرة. وقد أوكلت هذه الخدمات إلى متعهدين أمريكيين. والخسائر التي تحصل في أوساط هؤلاء الجنود والعاملين لا تحسب، كما أن قسماً من هؤلاء من المترجمين. وبالتالي الأرقام التي تنشر عن الضحايا القتلى ليست الأرقام الحقيقية. سأعطيك مثالاً إضافياً: الجرحى الأمريكيون ينقلون إلى قاعدة أمريكية في ألمانيا، وفيها مستشفى وهو أهم مستشفى. مديرة المستشفى قبل حوالى أربعة أشهر صرحت في مقابلة مع صحيفة أمريكية، بأن عدد الجرحى من الجيش الأمريكي الذين وصلوا إلى هذا المستشفى كان ٧٧٣٢ في ذلك الوقت. هذا عدا الجرحى الذين نقلوا ليعالجوا في العراق وفي الكويت.

■ ***نسبة كبيرة من العراقيين الذين عاينوا تفجيراتٍ في مدارس أو مواقع مدنية عراقية، لديهم حيرة في هذه المسألة، ما الذي يجري في العراق؟ علماً بأن العمل العسكري يحتاج إلى قيادة سياسية وإلى أهداف سياسية.***

حسيب: العراق غابة مكشوفة، ويمكن للقوات الخاصة الأمريكية أو لمجموعات إسرائيلية أن تقوم بعمليات، كما يمكن ذلك لقوى أخرى. الذين يأتون من العراق من العراقيين يؤكدون أن تركيز المقاومة هو على قوات الاحتلال. الأحداث التي تحصل بالنسبة إلى المتطوعين في الشرطة ناجمةٌ عن أن هؤلاء يعتبرون متعاونين مع قوات الاحتلال وأنهم مسؤولون عن محنة الشعب العراقي. ويقال إنهم لا يهاجمونه مباشرة، بل ترسل إليهم تحذيرات بترك الخدمة. ولست أدري ما صحة هذا الكلام. ولكن من حيث المبدأ أعتقد أن استهداف المدنيين عمل يسيء إلى المقاومة ويمرر مخططات أجنبية.

■ ***هل هناك أي جناح سياسي لهذه المقاومة، بناءً على ما قلت؟***

حسيب: أنا لا أعمل هناك، إنما تصلني بالبريد الالكتروني تفاصيل عن

عمليات المقاومة العراقية كل يوم. بالنسبة إلى البرنامج، أنا واحد من الذين يتساءلون في هذا الموضوع. البعض يقول إن القضية لا تحتاج إلى تعقيدات، فهناك هدفان أساسيان هما: التحرير والديمقراطية، والأمر لا يحتاج إلى الكثير من التفلسف والتعقيد. وإن المقاومة في وضعها الحالي لا تستطيع أن تطرح برنامجها لأن ذلك قد يثير خلافات، أو قد يكشفها سياسياً.

■ ***هل هناك أية منظمة سياسية تطرح أهدافاً معلنةً ولها علاقة بالمقاومة؟***

حسيب: هناك بيانات تطلع باسم حزب البعث، ولا أدري إلى أي مدىً للحزب علاقة بالمقاومة أو مدى سيطرته عليها.

الانتخابات بين الشرعية واللاشرعية

■ ***هل سمعت بالتحالف الوطني العراقي؟***

حسيب: هناك قوى سياسية كثيرة ظهرت في العراق، والانتخابات ستبيّن حقيقة هذه الأحزاب إذا جرت انتخابات حقيقية.

■ ***إذا أرادت أن تدخل الانتخابات، وتقول إنها تبيّن أوزان الأحزاب، فهذا يتناقض مع قضية المقاومة، لأن الأمريكيين يقولون: أيها العراقيون لا حاجة لرفع السلاح والمقاومة لأننا أيضاً سنسلمكم السيادة في الثلاثين من حزيران/ يونيو.***

حسيب: الأمريكيون يقولون كذلك إنه في ٣٠ حزيران/ يونيو سيسلمون السيادة للحكومة المؤقتة، ولكن سيكون عندهم قواعد عسكرية في العراق.

■ ***يبقون كأصدقاء بطلب من الحكومة الجديدة.***

حسيب: من يضمن لهم أن الحكومة ستضمن لهم البقاء في العراق، إلا إذا كانت حكومة من صناعتهم؟ العراق له تاريخ عريق من عام العشرين إلى عام ١٩٥٨: مقاومة الاحتلال البريطاني. ما هو الفرق؟

■ ***الفرق كبير الآن: الأمريكان معهم المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، ومعهم حزب الدعوة، والحزب الإسلامي العراقي السني، والحزب الشيوعي، على الأقل أربعة من الذين أذكرهم، وأعتذر من الأخوة الذين يسمعوننا إذا نسيت أسماء أحزابهم. الآن يقولون إنه معنا الأحزاب الرئيسية في العراق ما عدا حزب البعث، فإذاً ستكون الحكومة في النهاية من روح هذه التيارات.***

حسيب: ألا يوجد تيار قومي في العراق؟

■ ***أنا أعرف أن هناك بعض الناصريين.***

حسيب: ليس تيار ناصريين، هناك تيار قومي عريض، ولا تنسى أن أكثر من ٨٠ بالمئة من الشعب العراقي عربي.

■ ***يدفع ثمن سياسة الرئيس صدام، هكذا يقولون.***

حسيب: اليوم هناك تصريح لآية الله السيد السيستاني يقول إن النظام السابق لم يكن طائفياً، كان دكتاتورياً. وبالتالي لا يمكن أن تحاسب قطاعاً كبيراً من الشعب على أساس ما عمله نظامٌ لم يمارس الديمقراطية حتى داخل الحزب.

■ ***الذي يجعل أمريكا في وضع مريح، أن هذه التيارات الرئيسية موافقة ومتعاونة ويقولون إنهم سيتعاونون مع الأمريكيين من دون مقاومة لبلورة وضع جديد.***

حسيب: هذه التيارات كانت في الخارج، وهذه تعاونت مع الأمريكيين في الاحتلال وجاءت على الدبابات الأمريكية، وأنا لا أريد أن أدخل في التفاصيل حول أشخاص بعينهم. لكن مجلس الحكم أغلبيته أشخاصٌ جاء بهم الأمريكيون. وكل ما يتفرع عن هذا المجلس فلدى الأمريكيين أكثرية فيه: الوزراء، مجلس إعداد الدستور. لذلك، فهذا المجلس غير شرعي، ولا يمثل أغلبية الشعب العراقي، وسيتبين ذلك عندما تُجرى الانتخابات إذا جرت.

■ ***سنأتي إلى موضوع الانتخابات بعد لحظات، ولكن السؤال الذي يدور في خاطر الكثيرين وهم يشاهدونك. مشاهدينا الكرام هذا البرنامج يأتيكم مباشرة من قناة «المستقلة"، وضيفنا هو د. خير الدين حسيب، هو السياسي والكاتب والمفكر العربي والعراقي والمدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية، والمؤسس الرئيسي لمنظمات عربية كثيرة، منها المؤتمر القومي العربي، والمؤتمر القومي الإسلامي. السؤال الذي يدور في خاطر الكثيرين من الناس ولا يزالون يبحثون عن إجابة عنه: كيف تيسّر للجيش الأمريكي ومن سانده من الجيوش الأخرى أن يحتل العراق كلها ويدخل بغداد في ثلاثة أسابيع تقريباً؟***

حسيب: الاستفسار الأصح هو: من كان يتصور أن بإمكان الجيش العراقي المحاصر منذ ١٣ سنة وخرج من حرب الخليج بعد الكويت، أن يقاوم أمريكا بكل جبروتها العسكري والتكنولوجي لثلاثة أسابيع؟

■ ***لماذا قاوم العراقيون في أم قصر والناصرية، ثم انهارت الأمور في الطريق إلى بغداد، وكان الكثيرون من الكتاب العرب يتوقعون أن تدوم المقاومة لأشهر؟***

حسيب: أنا لست عسكرياً كي أفهم بالأمور العسكرية، لكني أتابع ما ينشر في

الصحافة الأمريكية وأتابع التقارير التي تصدر عن مراكز الدراسات حول الحرب. في البنتاغون يقولون إنه نتيجة للغارات المستمرة التي شنّت على بغداد، حتى قادة الجيش الأمريكي الموجودون في القطاعات لم يكونوا يعرفون أنهم سيدخلون بغداد بالسرعة التي دخلوا بها، لأنهم كانوا قد قضوا على أي مقاومة أخرى. الحرب غير متكافئة ولا يمكن لأي عاقل أن يتصور أن يتغلب الجيش العراقي أو يهزم الجيش الأمريكي.

■ ***لو كان للنظام العراقي أي قدر من المشروعية، كان يمكن للجنود أنفسهم أن يتفرقوا، ثم تظهر مقاومة بشكل من الأشكال. السؤال المحير أن أم قصر عسكرياً واجهت وأخرت تقدم التحالف لمدة وكذلك الناصرية، فكيف تبخرت مئات الآلاف من الجنود في طرفة عين؟***

حسيب: أنا لا أستطيع أن أجيبك، لأنني لا أعرف ماذا كان يدور في داخل النظام، لكن تبيّن أن التقارير أو المعلومات التي تسربت عن أنه كانت هناك خيانة ليست صحيحة. الأشخاص الذي ذكرت أسماؤهم موجودون في السجن، وكما ذكرت لك كان يقال إن النظام كان يعتقد أنه لن يستطيع أن يقاوم أمريكا وهيأ للمقاومة من حيث المال والتدريب والسلاح.

■ ***إذاً أنت تقول إن ثمة احتمالاً بأن ما هو موجود هو مقاومة النظام؟***

حسيب: ممكن، وهناك تقارير بهذا المعنى. حتى سكوت ريتر الذي كان من المفتشين الدوليين على الأسلحة يقول إنه في عام ١٩٩٦، ذهب إلى مكان قريب من أبو غريب على أساس أن يبحث عن أسلحة دمار شامل، فرأى مؤسسة تعلم العراقيين كيف يصنعون متفجرات يدوية، فاستغرب وذهب إلى مكان آخر قرب معسكر الرشيد فرأى مدرسة أخرى يعلمونهم فيها كيف ينسفون الدبابات ويستعملون المواد المنتجة محلياً. جاء هذا في مقالة نشرها في إحدى الصحف الأمريكية ويقول فيها إنه قدم تقريراً حول هذا الموضوع وبعث نسخة منه إلى المخابرات الأمريكية (سي. آي. إي.). هناك معلومات وردت في تقرير نشره الصحفي العربي علي بلوط في **الدايلي ستار**، ونشر في عدد من الجرائد: **الشراع** و**العربي** وغيرهما، تشير إلى تحضيرات قبل سنة. قد تكون صحيحة، وقد لا تكون صحيحة. لكن الأمريكان أنفسهم يعترفون الآن بأن هذه العمليات نوعية، إذ من يمكن أن يسقط الأباتشي، ثم على ماذا يدل النجاح بمنع قوات الاحتلال من استعمال مطار بغداد؟

■ ***هل أفهم أنك ترجح أن الذي يجري الآن له علاقة بشكل أو بآخر بترتيبات للحكومة العراقية السابقة؟***

حسيب: لا يوجد احتلال في العالم تم ولم تظهر مقاومة لهذا الاحتلال، وبالتالي

ظهور المقاومة أمر طبيعي، لكن يجدر الانتباه إلى أنه عادة ما بين بدء الاحتلال والمقاومة، تمضي شهور أو أكثر، أما المقاومة في العراق، فبدأت بعد أيام. وقد ساعد على ذلك حل الجيش والقوات الأمنية الأخرى.

■ ***الجيش العراقي يقول مثلاً إنه كان هناك حجم كبير من الخوف والضغط الذي تمارسه الحكومة، وعندما رأوا الأمريكيين قادمين رأوا أن الدولة ضعفت هيبتها، وكذلك الحكومة، وكذلك الرئيس صدام حسين. فانفرط عقدهم وكل واحد أخذ سلاحه وذهب. أنا أقول هذا السؤال لأن بعض الحكومات العربية الأخرى يمكن أن تهاجم، والنظرية هذه تقول إن هناك في بعض الدول وضعاً شبيهاً بالعراق تماماً، لأن الناس فعلاً مكبوتة بشكل هائل، وإذا جاء الأجنبي، فحتى الجيش نفسه سيغتنم الفرصة ويخرج عن الحكم.***

حسيب: يعني في حدود ما نقل من تقارير، وخاصة ما نقله الصحافيون البريطانيون في **الغارديان** و**الاندبندنت** وغيرهما، الشعب العراقي لم يقاوم ولكن لم يرحب بالاحتلال.

■ ***بعد مئات السنين سيقال إن أمريكا دخلت إلى العراق في نيسان/ أبريل وعملت مجلساً مؤقتاً شاركت فيه الأحزاب الرئيسية التي ذكرتها لك.***

أحزاب الخارج مسؤولة

حسيب: هذه الأحزاب كانت في الخارج. النظام على مدار ٣٥ سنة لم يسمح لأي قوة سياسية أخرى أن تمارس العمل السياسي أو التنظيم السياسي، حتى حزب البعث كان يعمل كجهاز من أجهزة الدولة الأخرى، ولم يكن حزباً يمارس عملاً سياسياً . . . إلخ، وبالتالي الناس تحتاج إلى وقت لتنظم نفسها وتعطي رأيها. ثم كم «حزب دعوة» موجود؟ هل هناك واحد فقط؟ ثم كم «حزباً شيوعياً» موجود؟ لا أريد أن أدخل في التفاصيل. هذه القوى لا تمثل الشعب العراقي، وهي مسؤولة عن مساعدة الأمريكيين في احتلال العراق وما سيترتب على ذلك على المنطقة العربية كلها.

■ ***ما الذي يدفع أي بلاد في أي مكان في العالم أن تجلب الاحتلال لنفسها؟ لا بد من أن تكون هناك أوضاع شاذة أو غريبة، أو أن يصبح الاحتلال أحسن من النظام القائم؟***

حسيب: أكيد كان هناك وضع شاذ وغريب، ولكن هل العلاج هو الاحتلال؟ هناك كتاب صدر بالإنكليزية قبل حوالى ثلاثة أشهر، اسمه *Weapons of Mass Deception*، ترجم للعربية وصدر منذ فترة قصيرة، هذا يبين لك إلى أي حد الإعلام والتضليل والدعاية لعبت دوراً في الحرب. يروي لك أشياء من قبيل أن هناك شركة

علاقات عامة هي التي أسقطت تمثال صدام حسين. هذه الشركة استأجرت ١٤٣ شخصاً لإسقاط التمثال، ولا يظهر ذلك على شاشات التلفزيون. وهو يحكي قصصاً عن الحرب مع الكويت والصراع في داخل الكونغرس حول الموافقة أو عدم الموافقة على الحرب ضد العراق في عام ١٩٩١.

■ ***أنا قرأت فقط غلاف الكتاب، الزميل جهاد الخازن يقول لو كان الأمر بيدي لجعلت كل ناخب أمريكي يقرأ الكتاب، ولترجمته ووزعته مجاناً في كل بلد عربي، وخصوصاً العراق، ولعل جامعة الدول العربية تفعل، وواضح أن الجامعة لم تفعل. الدار العربية للعلوم هي التي بادرت.***

حسيب: هذا الكتاب يشرح كيف أن شركة العلاقات العامة التي جاءت مع الأمريكان هي التي اخترعت فكرة «المؤتمر الوطني العراقي»، وهي التي اختارت الشخص الذي يرأسه.

■ ***هل يمكن أن يقول لك هذا الشخص نفسه العكس: أنا وظفت المسألة لأن لي عدواً هو صدام حسين؟***

حسيب: ما تعاملت قوى كبرى مع أشخاص أو تنظيمات إلا وكان ذلك لمصلحة القوى الكبرى. عندما اتفق النظام في العراق مع شاه إيران، سقطت الحركة الكردية في ٢٤ ساعة. الكونغرس عمل تحقيقاً للجنة يسميها «Pike's Committee» وفيها كل البرقيات، وبعد أن انتهت حاجتهم إلى الأكراد انتهت حركة هؤلاء بسرعة.

■ ***للتاريخ د. خير الدين حسيب، حتى لو أرادت أمريكا أن تخطط كل هذه المؤامرات، لا يمكنها أن تفعل ذلك إلا بوجود ما يبرر تدخلها. لا يمكنها بسهولة مثلاً أن تقول: أنا أريد أن أغزو مصر. إذ بالرغم من كل المشاكل الموجودة فيها هناك تيارات وطنية عديدة مختلفة مسموح لها بالعمل. هل لك أن تقول كمفكر قومي عربي إن حزب البعث بقيادة الرئيس صدام حسين مارس من الظلم الشديد ما جعل العراق هدفاً سهلاً للطامعين؟***

حسيب: النظام مسؤول عن هذا، لا شك. لكن معيار النظام في الظلم لم يكن على أساس طائفي. إذا كان هناك شيء جيد في النظام، فهو العدالة في الظلم.

■ ***الآن سنتوقع رؤساء عرباً مسؤولين، قادة يحضرون الحوار، رؤساء أجهزة الاستخبارات يقيمون الآن ويحصلون على معلومات جديدة. بصفتك شخصية عراقية معروفة، يهمني أن يسمعوا منك لأن الكثير منهم ارتكبوا في بلدانهم أعمالاً بشعة، وهذا ما نخاف منه. هذا الاستبداد سيؤدي بالوطن العربي إلى داهية.***

حسيب: العرب يتحملون مسؤولية ما حصل، الحرب لم تكن حرباً أمريكية -

عراقية، كانت حرباً أمريكية - عربية على العراق.

■ ***ماذا تقصد بعربية - أمريكية؟***

حسيب: الدول العربية من دون استثناء. الدول العربية كانت ما بين «ساكت» أو «خائف» أو «متواطىء علناً» أو «متواطىء سراً». فالعرب مسؤولون، وخاصة أن اتفاقية الدفاع العربي المشترك تقول: إذا تعرضت دولة عربية إلى اعتداء، فالدول العربية كلها ملزمة بالدفاع عنها بما فيها استعمال جيشها ... إلخ، وكذلك إذا هُددت عسكرياً من دولة غير عربية، فالدول العربية ملزمة بردّ التهديد عنها. وكذلك لا يجوز لأية دولة عربية أن تعقد اتفاقية عسكرية أو أمنية مع أية دولة غير عربية تؤثر في الأمن القومي العربي. فأين موقف الدول العربية من ذلك؟

■ ***أنت تعرف أنهم يحكون في بعض الجرائد أنهم يجتمعون في القمة ويعرفون أن الآخر يكيد لهم؟***

مسؤولية النظم العربية

حسيب: القوات الأمريكية من أين أتت؟ هناك قوات جوية وقوات بحرية وقوات برية، وقد جاءت القوات الأجنبية من خلال دول عربية، ولو لم تسمح هذه الدول «العربية» للقوات الأمريكية والبريطانية باستعمال أراضيها وقواعدها لما استطاعت غزو العراق. وكان الموقف التركي أفضل من مواقف هذه الدول العربية.

■ ***الآن نعود إلى موضوع العراق، نتحدث عن المستقبل حتى الدروس الماضية أو ظروف ما جرى، أولاً عندما جاء خبر اعتقال صدام حسين، هل فوجئت؟***

حسيب: أنا كنت أتابع يومياً الإعلام الأمريكي والبريطاني والإسرائيلي. يبدو أن الأمريكيين استطاعوا أن يحدّدوا المنطقة التي تنقّل فيها صدام حسين وقسموها إلى قطاعات وبدأوا يفتشون في كل قطاع. وهناك روايات مختلفة عن واحد من أقربائه أو حرسه الخاص... إلخ، أوقف وانهار واعترف وساعدهم، وروايات عن أشياء أخرى. لكن لم يكن الأمر مفاجئاً كثيراً وأنا لا أعرف لماذا أوقفوه ثم اعتبروه أسير حرب.

■ ***إذاً د. خير الدين حسيب، هل هناك أي أسرار في موضوع التعامل الأمريكي مع اعتقال صدام حسين، خلال فترة اعتقاله وما بعدها؟***

حسيب: موضوع أمريكا والديمقراطية في العراق كذبة كبرى، أولاً انقلاب عام ١٩٦٨ الذي قام به أساساً عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداوود انقلابٌ أمريكي،

وشارك فيه ناصر الحاني الذي كان سفير العراق في بيروت، إضافة إلى لطفي العبيدي الذي كان صلة الوصل مع البكر، وآخرين منهم الملحق العسكري في بيروت لدولة عربية. والبعث شارك فيه لأنه لم تكن لديه قوة عسكرية في بغداد حتى يقوم بذلك وحده. البعث قام بانقلاب آخر في نهاية تموز/ يوليو ١٩٦٨، وتم ترحيل عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداوود. ثم قام البعث بتصفيات متتالية للقوى التي لا تريدها أمريكا، فبدأ بعد ٣٠ تموز/ يوليو بالقوميين فقط، وكنت أنا من القوميين الذين اعتقلوا. اعتقلت في ما كان يسمى «قصر النهاية»، وقد كان قصراً وحوّل إلى سجن وسموه «قصر النهاية»، بمعنى نهاية الإنسان. وكان هناك قاطع كبير كله زنزانات على الجهتين يسمونه «قاطع الطيارين الناصريين». شباب في عمر الزهور في العشرينيات أخضعوا لدورة تأديبية في «قصر النهاية»، ثم قسم تم إرساله إلى وظائف مدنية، وقسم أحيل على التقاعد. بعدها تعاون الأكراد في السبعينيات مع البعث. في اتفاقية آذار/ مارس للحكم الذاتي أعطى حكم البعث للأكراد أكثر مما حصلوا عليه أو كان يمكن أن يحصلوا عليه تحت أي نظام آخر، فاشتركوا في الوزارة، ثم انقلب على الأكراد وتعاون مع الشيوعيين، وبعدها انقلب على الشيوعيين. فهذه الأطراف المختلفة تمت تصفيتها، وهذا يفيد أمريكا التي لم تكن تريد قوميين وحدويين وناصريين، ولا شيوعيين.

■ ***هل يعني هذا أنك تقول إن صدام حسين كان عميلاً؟***

حسيب: أنا لا أقول هذا، ولكن كان هناك لقاء مصالح، لا أعتقد أنه عميل، أعتقد أنه لم يكن هناك طريقة أخرى ليصل إلى السلطة. بعدها جاءت الحرب مع إيران. من شجع العراق على الحرب؟ أمريكا شجعته. زودته بأسلحة وتكنولوجيا، وكان يوجد في السفارة الأمريكية في بغداد فرع خاص للسي. آي. أي.، كانوا يزوّدون العراق بصور الأقمار الصناعية، وعندها كانت العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا مقطوعة. وفي كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٣ رامسفيلد هذا نفسه جاء إلى العراق وقابل طارق عزيز وصدام حسين لمدة ثلاث ساعات وكتب تقريراً بأن صدام حسين شخص جيد ويمكن التعاون معه. ثم عاد بعد ثلاثة أشهر، فقابله مرة ثانية وأعادوا العلاقات.

■ ***ماذا يوجد لديك إذاً من معلومات حول معاملة صدام حسين كأسير حرب؟***

حسيب: أنا لا يوجد لدي معلومات، عندي استنتاج وهو أنه إذا حاكموه الآن سيثير في محاكمته من القضايا والمعلومات ما سيسيء إلى بوش الابن والأب، وبالتالي سيكون ذلك عاملاً كي يخسر بوش الانتخابات، لذلك قرروا أن يعاملوه وفقاً لاتفاقية جنيف.

■ ***الآن أنت ذكرت في تقييمك أن الظلم والاستبداد كانا سبباً من أسباب ما جرى للعراق، وأنت انتقدت الذين تعاونوا مع الولايات المتحدة الأمريكية. هؤلاء الآن هم في الوضع الحالي يتحركون تدريجياً نحو التعاون مع السلطة والاتجاه لتسليم السلطة إلى العراقيين في الثلاثين من حزيران/ يونيو، ما رأيك في هذا؟***

حسيب: إنني لا أزال أنتقد أولئك الذين تعاونوا مع الولايات المتحدة، إذ لا نستطيع أن نخدع أنفسنا، أمريكا تقول إنها سوف تعمل اتفاقاً عسكرياً لإقامة قواعد عسكرية في العراق بناءً على طلب الحكومة منها ذلك. فهي تنوي أن تأتي بحكومة توافق على هذا، وأعضاء مجلس الحكم موافقون على هذا، فأين الوطنية، ولماذا نحتاج إلى قواعد عسكرية؟

■ ***المنطق يقول إذا خرج الأمريكيون مباشرة، سيعود ربما الحكم السابق لتسلم الحكم؟***

حسيب: يمكن أن يسلموا السيادة للأمم المتحدة مؤقتاً، وتأتي قوات دولية، ويمكن أن تكون عربية، من مصر وسوريا والسعودية، كما يمكن أن تكون دولية، وكلما تدخل قوات دولية ينسحب الأمريكيون تدريجياً.

الانتخابات الأمريكية عامل فاصل

■ ***أعطني اقتراحك المحدّد لما ينبغي أن يحصل في رأيك أنت، لو كان الأمر لك، ماذا ينبغي أن يحصل في العراق؟***

حسيب: الذي سيقرر مصير العراق والمنطقة هو الانتخابات الرئاسية الأمريكية المقبلة.

■ ***بأي معنى؟***

حسيب: إذا جُدد لبوش في الانتخابات ونجح سيقوم بتنفيذ بقية المشروع الذي عناوينه إقامة دائمة في العراق، وتصفية الوضع في سوريا وفي إيران ومصر والسعودية، ليس بمعنى غزو، بل ستقدم مطالب لسوريا ومصر وإيران والسعودية. إذا نفذوا نفذوا، وإذا لم ينفذوا يخرج لهم عشرون قصة. بدأت الأمور الآن في سوريا، ويتحدثون عن أسلحة دمار الشامل.

نجاح أو عدم نجاح بوش في الانتخابات يعتمد على عاملين اثنين: **الأول** هو المقاومة في العراق، إذا استمرت المقاومة في العراق سيتكبد الأمريكيون خسائر بشرية، فإن المواطنين الأمريكيين لن يتحملوا. صحيح أن الجثث التي تعود تحطّ بها

الطائرات في الليل ولا تقام طقوس للأهالي لتسليم الجثث، لكن الأهالي يتسلمونها من الكنيسة هم وأصدقاؤهم. وبذلك، فإن هناك قطاعاً متزايداً من الناس يتأذى من موضوع الحرب وما يجري فيها.

والعامل **الثاني** هو الوضع الداخلي في أمريكا. الوضع الاقتصادي أولاً، والوضع السياسي. الوضع الاقتصادي ليس في صالح بوش حتى الآن. بوش استلم الإدارة وعنده فائض في الميزانية يقدر بحوالى ٢٦٠ مليار دولار. أما هذه السنة، فلديه عجز مقداره ٥٠٠ مليار دولار، ويتوقع أن يكون في السنة القادمة ٥٠٠ مليار دولار أيضاً. أما قيمة الدولار، فقد انخفضت ما بين ٣٥ و٤٠ بالمئة.

■ ***الفرق ليس كبيراً بينه وبين جون كيري، لو فاز جون كيري كيف سيكون الفرق؟***

حسيب: الفرق الأساسي بين بوش وكيري هو أن بوش يقول إن أمريكا هي القوة العظمى الوحيدة في العالم، وأمريكا لا تحتاج الى الآخرين ويمكن أن تقوم بما تريد. وهذا ما جربه في العراق، وبالتالي إذا نجح سيستمر في المشروع أي بسياسة الانفراد (Unilateralism) في النظام العالمي و«الهيمنة» عليه. أما كيري، فهو كذلك مهتمٌ بقوة أمريكا، لكنه يريد العمل من خلال تعاون وتوافق دوليين، ومن خلال مجلس الأمن (Multilateralism). وهو يريد أمريكا أن «تقود»، لا أن «تهيمن» كما يريد بوش.

■ ***إذا فاز كيري، هل سيسحب القوات الأمريكية من العراق؟***

حسيب: لا، سيعطي دوراً أساسياً للأمم المتحدة، وقد يدعو إلى نشر قوة دولية في العراق، قد يكون الجيش الأمريكي جزءاً منها، ولكن ليس هو المسيطر فيها، وتكون قيادتها للأمم المتحدة. كما سيسلم الجانب السياسي للأمم المتحدة. هذا ما هو معلن عن كيري حتى الآن.

■ ***في رأيك في ٣٠ حزيران/ يونيو، هل لديك معلومات عن مدى اتساع قاعدة الحكومة وطريقة تسليمها؟***

حسيب: سيبذلون جهدهم، فإما أن يعملوا «ليوجرغا» عراقية، يختارون هم الأسماء بالتعاون مع بعضهم، أو يوسّعوا مجلس الحكم ويختاروا منه حكومة. لكن إذا لم ينجحوا بذلك، فسيكون أحد الأسباب هو المقاومة، والموقف المشرف لسماحة آية الله السيد علي السيستاني الذي يقاوم بالموقف. وقد استطاع أن يعرقل ويحبط الكثير من المشاريع التي أعدت للعراق. ولا أعتقد أنه سيقبل تمرير إيجاد حكومة

انتقالية، ما بين أول تموز/يوليو وما بين نهاية السنة.

■ ***ما الذي سيحصل فعلياً؟ العراقيون يشاهدوننا الآن، ما هي توقعاتك فعلياً، أنت قلت إذا اعترض آية الله السيستاني ستختلط الأوراق، لكن عملياً ما هي الاحتمالات التي يمكن أن تتحقق في العراق؟***

حسيب: يستمر الوضع الحالي، الآن في كل وزارة هناك مستشار، والمستشار هو الوزير. وبالتالي يمكن أن يستمر هذا الوضع.

لا تاريخ للطائفية في العراق

■ ***من هو الرئيس المقبل للعراق؟***

حسيب: إذا خسر بوش في الانتخابات، أعتقد أن المخرج الأساسي للعراق وللأمريكيين هو تسليم السيادة المؤقتة للأمم المتحدة، وهي تختار رئيس وزراء يكون محل إجماع، شخص مثل ناجي طالب، وهو من الضباط الأحرار، وكان رئيس وزراء في عام ١٩٦٧. صحيح هو شيعي من الناصرية، لكنه قومي عربي ناصري. وتصبح هناك وزارة كلها تكنوقراط حتى لا يحدث إختلاف وتجري انتخابات، ويضع المجلس دستوراً.

■ ***هل لديك كباحث وأكاديمي عراقي معلومات قريبة من الصحة ترجح على أرض الواقع شيئاً عن عدد الشيعة والسنة في العراق؟***

حسيب: هناك كثيرون لا يعرفون خلفية وتاريخ العراق ويقومون بإسقاطات من لبنان وبلدان أخرى على العراق، وهذا غير صحيح. فبين الشيعة والسنة في العراق، وخلال التاريخ العراقي كله، لم يحدث أي اصطدام طائفي. الشيعة في العراق معظمهم قبائل عربية، قسم منها هاجر إلى الجنوب وتشيّع. كان يكفي أن يتشيّع رئيس القبيلة لكي تتشيّع القبيلة برمتها. وقبيلة مثل قبيلة شمر جزء منها في الشمال سنّة، وجزء منها في الجنوب شيعة، فهل تتصور أن يتقاتل أبناء قبيلة في ما بينهم لأن بعضهم سنّي وبعضهم الآخر شيعي؟

في العراق، العرب السنّة لا يستطيعون أن يزايدوا على الشيعة في الوطنية، ولا في القومية العربية. ثورة العشرين قيادات رئيسية منها كانت شيعية. ولم يتأسس حزب في العراق على أساس طائفي، والأحزاب القومية المهمة كان رؤساؤها شيعة. حزب الاستقلال كان رئيسه الشيخ محمد مهدي كبه، ونائب الرئيس كان صديق شنشل، وفيه خليط. في الجبهة الشعبية كان محمد رضا الشبيلي، وسعد الصالح كان في حزب

الأحرار. لا يوجد حزب في العراق أو قوة سياسية على أساس طائفي، حتى حزب البعث وحركة القوميين العرب كان عدد من أمنائها العامين من الشيعة ولم تقم على أسس طائفية. وفي تاريخ العراق كان سبعة من رؤساء الوزراء شيعة. في النظام السابق كان اثنان من رؤساء الوزراء من الشيعة. لم يكن هناك اختلاف طائفي. حتى الأكراد، كان هناك اثنان من رؤساء الوزراء من الأكراد، وكان هناك نائب لرئيس الجمهورية من الأكراد، كما تقلدوا أعلى المناصب في الجيش وفي وزارات الداخلية وغيرها.

■ ***هناك أرقام متضاربة حول الأعداد، فأعطنا فكرة عن هذا الموضوع.***

حسيب: أولاً، بالنسبة الى عدد الشيعة والسنّة العرب، لا توجد أية إحصائية في العراق حول هذا الموضوع، وكل الكلام الذي يقال هو كلام تخميني، علماً أنه لا يهمني إذا كانوا ٤٠ أو ٥٠ أو ٦٠ بالمئة. لكن أصل المعلومات يعود إلى فترة الاحتلال البريطاني، حيث كان الاحتلال يعيّن ثلاثة قناصل: واحد في بغداد، وواحد في الموصل، وواحد في البصرة. وفي كل سنة كان القناصل يقدمون تقارير لوزارة الخارجية عن المنطقة التي يوجدون فيها. وهذه تقارير ممتازة للغاية وموجودة في مكتبة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة لندن (London School of Economics). هؤلاء يقدمون تخمينات، فلواء البصرة «يخمنون» عدد سكانه ثم يخمنون أن الموجودين في البصرة هم ٤٠ بالمئة سنّة، و٦٠ شيعة، والعدد ليس دقيقاً ولا أساس له، وكذلك التقييم. ثم جاء حنا بطاطو وأنجز دراسة سياسية اجتماعية عن العراق، مبدياً تحفظاً على كل هذه الأرقام ومستعملاً أرقام القناصل البريطانيين. ولكن ترك الجميع كل التحفظات وأخذوا بهذه الأرقام وهي مجرد تخمينات لا تستند إلى قاعدة معرفية حقيقية. أول تعداد منتظم كان عام ١٩٤٧، وبعدها جرى التعداد كل عشر سنوات وآخرها كان في عام ١٩٩٧، ولا يوجد في التعداد أي سؤال عن: هل أنت شيعي أو سنّي؟ هناك سؤال عن الديانة، هل أنت مسلم أو مسيحي أو غير ذلك؟ وبالتالي لا يوجد أي إحصاءات ومعلومات دقيقة عن موضوع الأعداد. مؤخراً في «الجزيرة» كان هناك حوار مع الدكتور حارث الضاري وكان معه السيد أحمد منصور، وذُكر أن عدد السنّة في العراق كان بين ٥٦ و٥٨ بالمئة، أي أن الشيعة ليسوا الأغلبية. وأنا أعتقد أن هذا موضوع هدفه إلهاؤنا به وبث روح الفتنة الطائفية في العراق. العلاقة بين السنّة والشيعة في العراق علاقة متداخلة من الزواج المختلط إلى الانتماء المشترك للحزب الواحد إلى الوحدة الوطنية داخل الوطن الواحد.

■ ***يقال إن السنة في العراق يؤيدون تأجيل الانتخابات، لأنهم خائفون من أن انتخابات حرة سوف تعطي للشيعة الأغلبية في الحكم. ولذلك أنا أريد، لأنك أكاديمي معروف وغير طائفي بإجماع الناس، أن تعطيني فكرة عن هذا الموضوع.***

حسيب: سبق أن قلت إن الكثير من العراقيين لا يفرقون بين شيعي وسنّي لا في الوظائف ولا في الجامعات. . . إلخ، وكما قلت السنّة العرب لا يستطيعون أن يزايدوا على الشيعة في القومية والعروبة. وعدد من الناس الذين نحن رضعنا منهم القومية كانوا شيعة، لذلك فإن مواقف السيستاني لا تختلف عن مواقف بعض القيادات السنّية في ما يتعلق بالانتخابات.

■ ***وماذا تؤيد أنت؟***

حسيب: الانتخابات يجب أن لا تتم تحت إشراف قوات الاحتلال، يجب أن تتم تحت إشراف الأمم المتحدة أو حكومة شرعية ذات سيادة.

حقيقة المسألة الكردية

بالنسبة إلى موضوع الأكراد، فهذه قضية مختلفة، الأكراد يتمسكون بإحصاء عام ١٩٥٧، وهو الإحصاء الذي حصل قبل ثورة تموز/يوليو، ويعتقدون أنه أفضل إحصاء، وكان ثمة سؤال في الإحصاء عن اللغة الأم، ونتيجة هذا استخرجوا نتائج الإحصاء. خلافاً لما يقوله الأكراد، فإن نسبتهم في عام ١٩٥٧ كانت ١٦,٤ بالمئة من سكان العراق. وبالتالي، فالكلام عن ٢٠ و٢٥ بالمئة ليس وارداً. على فرض أن الزيادة السكانية لكل فئات الشعب العراقي جرت بالنسبة نفسها من النمو، فإذا افترضنا أن عدد سكان العراق هو الآن ٢٤ مليوناً، والنسبة بقيت كما هي، فعدد الأكراد الآن في حدود ٤ ملايين. التركمان نسبتهم ٢,٢ بالمئة في احصاء عام ١٩٥٧، حيث كان عددهم ١٢٦,٨٠٦، وإذا افترضنا بقاء هذه النسبة نفسها وإذا طبقناها على الحالي للسكان وهو ٢٤ مليوناً، فيكون عددهم ٥٢٨,٠٠٠، وليس مليونين ولا ثلاثة كما يتردد ويقال. هذه كلها معلومات.

■ ***هذا الكلام سيفرح الأكراد لأن عندهم مشكلة كبيرة مع التركمان.***

حسيب: هذا لن يفرحهم. مدينة كركوك يا سيدي، التركمان فيها ٣٧,٦ بالمئة، والأكراد ٣٣,٣ بالمئة، والعرب ٢٢,٥ بالمئة.

■ ***العرب الآن يُخرجون من كركوك.***

حسيب: أغلبية مدينة كركوك ليست كردية، وحتى إذا أخذنا لواء كركوك كله،

فالأغلبية ليست كردية، وإنما هي ٤٨,٢ بالمئة، والباقي عرب وتركمان.

■ ***د. خير الدين حسيب، هل توافق على المطالب الكردية الآن وأقلها الفدرالية، أو من الناحية النظرية يُقال لماذا كل القوميات لديها دولها، ولماذا نحن الأكراد تعترضون على أن تكون لنا دولة مستقلة؟***

حسيب: في اتفاقية سيفر تمّ تقسيم كردستان إلى ثلاثة أقسام بين العراق وإيران وتركيا في الوقت نفسه الذي تم فيه تقسيم المشرق العربي إلى دويلات بموجب اتفاقية سايكس - بيكو. وبالتالي لم يكن العرب هم الذين قسموا كردستان وضموا جزءاً منها إلى العراق، فنحن العراقيين غير مسؤولين عما أصاب الأكراد.

■ ***لم يكن هناك دولة اسمها كردستان؟***

حسيب: بلى، كانت هناك مجموعة تسمى كردستان تحت الحكم العثماني. الآن حق تقرير المصير يختلف إذا كان هذا ضمن العراق فقط أو إذا كان ضمن كردستان كلها. إذا نشأ وضعٌ يتاح للأكراد فيه في كل كردستان تقرير المصير واختاروا الانفصال والاستقلال فيكون من حقهم أن يستقلوا في كردستان كلها وليس فقط في العراق، أي أن يعطى لهم هذا الحق في تركيا وإيران وفي العراق.

أما في العراق، فحق تقرير المصير يجب أن يتحقق ضمن وحدة الكيان العراقي. العراق لا يستطيع أن يعطي حق تقرير المصير للأكراد بما فيه الحق في الانفصال، فتقوم دولة كردية جزئية، ويدخل العراق في مشاكل مع تركيا وإيران، وهذه لا تهدد فقط الأمن القومي العراقي ولكن تهدد الأمن القومي العربي. وبالتالي فالمبدأ أن المواطنين أياً كانت قوميتهم ودينهم ومذهبهم متساوون في الحقوق والواجبات. وأنا لا أمانع أبداً في أن يكون رئيس جمهورية العراق كردياً أو شيعياً، أو سنّياً، أو تركمانياً . . . إلخ إذا توفرت فيه المؤهلات. إن للأكراد خصوصية خاصة في ما يتعلق بثقافتهم . . . إلخ، يجب أن تؤمّن إلى أقصى حد ممكن. ولكن ما طرح في ما يسمى قانون إدارة العراق، لا يجوز لأقلية ١٦ بالمئة أن تتحكم بدستور لكل الشعب العراقي.

■ ***إذاً أنت تؤيد آية الله السيستاني في انتقاداته؟***

حسيب: أنا أؤيد أن تصير هناك هيئة تأسيسية منتخبة انتخاباً حراً ليس تحت ظل الاحتلال، ويكون فيها أكراد، أسوة بباقي فئات الشعب العراقي، ويقع فيها توافق، ثم يجري إعداد دستور يحدد الحقوق والواجبات. لا يوجد دستور في العالم تحدد فيه أقلية حقوق الأكثرية أو مصير المجتمع كله.

■ ***لكن الأكثرية لن تعطي الحقوق للأقلية ؟***

حسيب: في العراق يجب أن لا يحكم على موقف بعض الحكام إزاء الأكراد على أنه موقف الشعب العراقي. إذا قامت الديمقراطية في العراق، فأعتقد أن إخواننا الأكراد سيمارسون حقوقهم في المواطنة كاملة، ويحق لهم أن يأخذوا كل حقوقهم الثقافية وما إلى ذلك. أما أن يتحكموا في مصير العراق كله، فهذا لا يجوز، وخاصة أن قياداتهم كانت متعاونة مع الأمريكيين وساهمت في مجيئهم إلى العراق.

هناك كذبة كبرى عما يسمى «بالديمقراطية في كردستان» وأن هذه واحة للديمقراطية، وأن النموذج الكردستاني سيعمم على كل العراق. لا توجد لا واحة ولا ديمقراطية. «الحزب الديمقراطي» الذي يرأسه الأخ مسعود البارزاني وحزب «الاتحاد الوطني» الذي يرأسه الأخ جلال طالباني عبارة عن ميليشيات مثل تلك التي كانت في لبنان. فلا يوجد هناك انتخابات ولا ديمقراطية، والانتخابات الوحيدة التي صارت عام ١٩٩٤ بقيت سنة. حتى نتائج الانتخابات لم يعملوا بها، وبقيت حكومة موحدة فترة قصيرة ثم انفصلا. والآن هناك حكومة في السليمانية وحكومة في أربيل، ولا ديمقراطية ولا انتخابات. وقد مضت سنة منذ أن سقط النظام ولم يستطيعوا أن يوحّدوا أنفسهم، علماً أن هناك قوى سياسية أخرى مثل «الحزب الإسلامي الكردستاني» لها نفوذ واسع، وآخر انتخابات لاتحاد الطلبة كان هو الحزب الذي سيطر على ما علمت.. أنا لا أريد أن أتدخل في هذه الأمور، ولكني حريصٌ على أن لا أحكم على إخواننا الأكراد من خلال جلال الطالباني ولا مسعود البرزاني.

الرد على المداخلات

سنعطي مجموعة من المداخلات وكل واحدة لا تتجاوز دقيقتين. نبدأ بالعراق مع الأخ داوود الباغستاني.

● ***اتصال من كردستان العراق: داوود الباغستاني:***

الباغستاني: **أولاً**، نحن في كردستان لا نقول إننا مثل سويسرا نموذج ديمقراطي، ولكننا مقارنةً مع جيراننا فإن وضعنا ليس الأسوأ. لا نقول مئة في المئة أحسن، لكنه ليس أسوأ.

ثانياً، أنا لا أتفق مع الدكتور حول عدد التركمان أو الأكراد أو الشيعة، وفي الحقيقة المسألة ليست العدد بقدر ما هي العقل. ليت التركمان كانوا ٥ ملايين أو ١٠ ملايين على أن يكونوا عاقلين يفهمون مصالحهم الوطنية.

■ ***يا أخ داوود كيف تقول ليتهم كانوا عاقلين، هم عاقلون.***

الباغستاني: أنا أريد أن أقول: إذا كانوا عاقلين وعندهم انتماء وطني ويحسون بوطنهم، فالمشكلة ليست بالعدد، المشكلة الموجودة الآن هي مشكلة الديمقراطية. الدكتور يقول إن الأكراد والأطراف الأخرى يمكن أن يشكلوا هيئة تشريعية تشرّع وتعمل، وتكون ديمقراطية. والديمقراطية تحل مشكلة العراق. ألا يعتقد أن ٣٥ سنة أو أكثر من نصف قرن من الظلم ومن الدكتاتوريات المتواصلة في العراق تحتاج إلى سنوات، وهناك أجيال عانت من هذه الدكتاتوريات في العراق؟ هل يعتقد أنه بعد سنتين أو ثلاث، الأكراد سيتركون المطالبة بحقوقهم. أصلاً هناك إنكار للحقيقة. بالنسبة الى الأكراد صارت انتخابات، وهناك برلمان كردي، وحدث خلاف بين الأحزاب الكردية، هذا صحيح، مثلما حدث بين كل الأحزاب وبين حركات التحرر، وحتى في الثورة الفلسطينية والثورات الأخرى. ولكن أنا أتفق مع الدكتور في أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تأت بالديمقراطية للعراق، أو مشروع الشرق الأوسط الكبير، وأنا أعتقد أن هذا المشروع ينقصه الكثير، ولو كان جاداً، لكان مطلوباً أن يحل الخلاف العربي - الإسرائيلي في الدرجة الأولى.

● ***الأخ هاشم العبيدي، عراقي مقيم في السويد:***

العبيدي: في ما يتعلق بحقوق الأكراد، إن الفدرالية المرسومة في قانون إدارة الدولة المعد من قبل بريمر غايته الأساسية تشكيل مجلس للبت في الاتفاقات الأمنية والعسكرية غير المشروعة، لتكبيل العراق. في ما يتعلق بالفدرالية، من المعروف أن النظام الفدرالي يكون بين دولتين أو أكثر. أنا أؤيد بحرارة ما قاله د. حسيب وأشدّ على يديه. بالنسبة الى المسألة، لماذا لا يرد نص يمنع الانفصال أو ما يمهد له أو ما يدعو إلى الانفصال. فإذا أخذ البرلمان الكردي قراراً بالانفصال، فماذا يكون قرار الحكومة المركزية. فيجب أن يكون هناك نص في الدستور الدائم يمنع الانفصال.

● ***الأخ محمد في دبي:***

محمد من دبي: **أولاً**، بدأ الدكتور بعلاقة القاعدة يقول إنه لا توجد علاقة، علاقة القاعدة مع النظام السابق علاقة قوية، وهي التي تفجر في الوقت الحاضر في العراق وتقتل الأبرياء، وهناك تعاون قوي مع البعثيين، والشعب العراقي مظلوم. القاعدة والبعثيون لا يخافون ربنا، يقتلون الأبرياء والمدنيين ويفجرون الفنادق التي فيها ناس عزل. **ثانياً**، أنتم أيها المدافعون عن صدام لا تريدون الخير للشعب العراقي، ولا يوجد مقاومة في العراق، وهذا تخريب من النظام السابق والقاعدة والمجرمين في حق الشعب العراقي. أما بالنسبة الى الأمريكيين، فلهم فضل في تحرير

الشعب العراقي. الحكومات العربية كلها عندها علاقات مع الأمريكيين. لماذا فقط العراق قامت عليه «العيطة» بينما كل الدول العربية فيها أمريكان ؟

■ ***أنت تقول الأمريكان لهم فضل في تحرير الشعب العراقي، كم تتوقع نسبة العراقيين الذين يرون هذا الرأي؟***

محمد من دبي: في تقديري الـ ٢٤ مليوناً يؤيدون إلا قليلاً ممن عندهم طائفية، هم خائفون من المجلس، وحتى الأخ الذي يتناقش عنده طائفية قوية بعض الشيء.

● ***الأخ جاسم البغدادي في بريطانيا:***

البغدادي: الحقيقة أنا أتفق مع طروحات د. حسيب، ولا أعتقد أنه يهاجم المجلس لكونه يضم بعض العمائم، كلنا نحترم العمائم وعلى رأسهم السيد علي السيستاني حفظه الله، وهذه العمائم هي التي حفظت العراق لفترة طويلة. فليكفّ الإخوان عن النظرة الطائفية البغيضة لتدمير العراق وتشتيته إلى فئات حتى يسهل على المستعمر حكم العراق. ولا يدخل المستعمر إلى العراق إلا على الطريق الطائفي، ولا توجد طائفية في العراق. وأثبتت الأحداث وسوف تثبت أن العراق كتلة واحدة عرباً وأتراكاً سنّة وشيعة. أما عن تسلط بعض الفئات وخاصة بالنسبة الى الزعامات الكردية على إرادة الشعب الكردي، فإنها في الحقيقة لا تمثل الرأي الكردي. وانظر إلى اللحمة العربية والكردية في الخارج، فهناك لحمة غير مشهودة ويلتف العرب والأكراد ويريدون وحدة العراق على رغم وجود زعامات كردية غير منتخبة، ولا تختلف عن أي حاكم عربي أو إسلامي متسلط على إرادة شعبه. أما بالنسبة الى الزعامات الكردية التي تريد أن تستغل الظلم الذي وقع عليها نتيجة بعض الممارسات الحكومية الخاطئة، والتي تعرضت لها فئات أخرى من الشعب العراقي للحصول على مكاسب غير شرعية، كما اتخذت الحركة الصهيونية الأعذار نفسها بناءً على الممارسات النازية الخاطئة، فهذا غير صحيح وسوف يجلب الدمار للشعب العراقي ككل وللإخوة الأكراد كذلك، وعلى الدول المجاورة مثل إيران وتركيا.

■ ***إذاً أنت تؤيد رأي د. حسيب في معالجة القضية الكردية.***

البغدادي: طبعاً، وهذا هو الأسلوب الصحيح.

● ***الأخ نشأت من لندن:***

نشأت من لندن: الموضوع لا يحتاج إلى كل هذا التعقيد، الذي ساعد الاحتلال هو متعاون، والذي هو ضد الاحتلال يعتبر مقاوماً. ومحاولة الربط بين المقاومة وبين إيذاء الشعب العراقي هي عملية التفاف على المقاومة الأصلية. وأنا أحترم رأي

الدكتور، وكل ما قاله تقريباً هو الشيء الذي يعتقده كل العراقيين. الطائفية غير واردة في العراق لأن العراقيين تمازجوا وأصبح متعذراً على المرء أن يعرف أصله. الأهم من ذلك كله مصلحة العراق ووحدته.

● ***اتصال من أبو حمزة من الموصل:***

أبو حمزة من الموصل: تحياتنا للدكتور حسيب، هذا شخص يشرّف العراق لأنه من وطنيته لا يفرق بين سنّة وشيعة وأكراد، ونحن نريد منه أن يظهر في ندوات كثيرة حتى يراها الإخوان والمواطنون الشرفاء، حتى لا نقع في فخ التفريق بين الشيعي والسنّي.

● ***عبد المنعم من أبو ظبي:***

عبد المنعم من أبو ظبي: السؤال عن واقع القوميين العرب، وإلغاء الزحف الصليبي على الأمة ابتداء من العراق، ومن ثم على جميع الدول العربية، هل هناك مخرج غير القومية العربية، هل يمكن أن يكون التيار الإسلامي هو المخرج للأمة أو للعراق أو أي دولة أخرى؟

● ***اتصال من الأخ الدليمي من بغداد:***

الدليمي من بغداد: باختصار أحيي الدكتور الجالس أمامك، ورأيه هو رأي كل الشعب العراقي سنّة وشيعة وأكراداً، ولو أن العراقيين سمعوا قناة «المستقلة» كلهم، سوف ترون غداً مظاهرات تؤيد كل الكلام التي قاله الدكتور اليوم.

■ ***أنت تقول أن ما قاله د. حسيب اليوم هو معبر عن رأي الشعب العراقي كله؟***

الدليمي: معبر جداً وكلام حيادي وليس طائفياً أو عنصرياً.

■ ***أنت والأخ المتصل من الموصل ستدعونني أسأل د. حسيب إذا كانت لديه نية للترشح لرئاسة العراق في الانتخابات القادمة، إذا كان الكلام كما تتحدثون الآن.***

■ ***والآن الجزء الأخير من هذا الحوار مع الكاتب والمفكر العراقي العربي المعروف د. خير الدين حسيب، المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية.***

حسيب: لي تعليق أولي على ما سمعت من المداخلين.

بالنسبة الى الأخ داوود، الإحصاءات التي ذكرتها إحصاءات رسمية، وهي عندي في مجلدات كاملة، وكل من يريد هذه الإحصاءات يستطيع أن يطلبها على البريد الاكتروني لمركز دراسات الوحدة العربية في بيروت لنرسلها إليه. بالنسبة الى

الأخ محمد من دبي، موضوع القاعدة مفتعل. عندنا في العراق بشكل كبير وربما في بعض الدول العربية الأخرى هناك خلط شديد وتداخل ما بين الإشاعات والسياسة. في موضوع القاعدة وعلاقتها بالنظام السابق، أنا لا أتحدث دفاعاً عن النظام السابق، إنما أتحدث استناداً الى ما قاله وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية كولن باول في تصريح رسمي معلن أنه لم تثبت هناك أية علاقة ما بين النظام السابق والقاعدة.

بالنسبة الى الوضع الحالي، أنا كذلك لا أتحدث استناداً الى معلومات شخصية أو استنتاج أو تحليل، إنما هناك تقارير رسمية وتقارير صحفية بريطانية وأمريكية من العراق وتصريحات المسؤولين العسكريين الأمريكان، وكلها تشير إلى أنه لم يثبت حتى الآن أن للقاعدة علاقة بهذه التفجيرات. أما الذين يقال إن لهم علاقة بذلك، فهم «أنصار الإسلام» الذين بقي منهم مئة، أكثر أو أقل، ويقال إن لهم علاقة بالقاعدة. ومن هنا يأتي الحديث عن الموضوع.

أنا لا أؤيد تفجيرات الفنادق وغيرها. هؤلاء ناس مدنيون يجب ألا يكونوا هدفاً.

أما من يتكلم عن الأمريكان والديمقراطية، ويقول إن الأمريكيين سيقيمون لنا ديمقراطية، فليعلم أن الأمريكيين ليس من مصلحتهم أن تقوم ديمقراطية في مجتمعاتنا. فإذا قامت الديمقراطية، فنحن لن نشتري الأسلحة التي نشتريها الآن. اشترت البحرين وقطر طائرات إف ١٥ وإف ١٦، ماذا ستفعلان بها ومن هو العدو؟ والإمارات اشترت طائرات بثمانية مليارات دولار، فما الغرض منها غير دعم الصناعة الأمريكية؟ كذلك إذا قامت الديمقراطية لن يبقى سعر النفط كما هو. نحن نصدّر النفط ونأخذ عوائد، ثم نستورد سلعاً صناعية. لكن السلع الصناعية في الغرب ارتفع سعرها، والأسعار الحقيقية للنفط اليوم هي أقل مما كانت عليه في عام ١٩٧٣. بعبارة أخرى، إننا نخسر من النفط وندفع أكثر لشراء السلعة نفسها التي كنا نأخذها في السابق. ولو كان سعر النفط يرتفع بنفس نسبة ارتفاع السلعة الصناعية نفسها في الغرب، لكان يجب أن يكون سعر البرميل اليوم حوالى الستين دولاراً. لهذا، ليست الديمقراطية في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية. لو كانت هناك ديمقراطية وانتخابات حرة، فهل سيوافق الشعب الكويتي على أن تبقى قواعد عسكرية في أراضيه، والأمر نفسه بالنسبة إلى قطر والإمارات وعُمان. أما نموذج أمريكا الديمقراطي، فنحن نختبره في العراق! فأين هي الديمقراطية؟ انظر إلى التقارير التي صدرت عن المنظمة العربية لحقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية، وتقارير صحافية أمريكية، وتقارير المحطات التلفزيونية في البي. بي. سي. ١ و٢، والقناة ٤ . . . إلخ. هل هذه هي الديمقراطية؟

بالنسبة الى موضوع العمائم، فهذا وترٌ ميت بالنسبة إلي نهائياً، ولا أريد أن أدخل فيه.

وبالنسبة الى الإخوة هاشم العبيدي وأبو حمزة والأخ من بغداد، أنا أشكرهم على مداخلاتهم.

أما بالنسبة الى الأخ عبد المنعم، الذي تكلم عن القومية العربية، وهل يمكن أن يكون التيار الإسلامي بديلاً، فقد آن الأوان أن نفهم أن هذه قوالب سابقة لم تعد تصلح الآن، وبالتالي ما لم نُفق كلنا إلى رشدنا، ويكون هناك كتلة تاريخية تجمع تيارات القومية العربية والحركة الإسلامية والحركة اليسارية التي تؤمن بالتحرير والديمقراطية، فلا يوجد أمل في أن نتخلص من الاحتلال والاستعمار. وعليه، دعونا نتحرر من قيود الماضي وننظر إلى المستقبل.

■ ***الناس الذين يشعرون أن حديثك يعبر عنهم، هل عندك نية أن تعود الى العراق؟***

حسيب: عندما طلب مني ترك العراق، قمت بتقييم المرحلة السابقة وتوصلت إلى قرارٍ مع نفسي، هو الابتعاد عن السلطة والتفرغ للعمل الفكري الوحدوي الذي أعمل فيه. وأنا أشعر أنني حققت جزءاً مما كنت آمل أن أحققه في العمل السياسي. أما إذا كان البلد في حاجة إلى أن أقدم له خدمة معينة في مرحلة قصيرة، فأنا لن أتردد في هذا، وهو أمرٌ متروك للظروف. ولكن من حيث المبدأ، أنا بعيد عن العمل السياسي المباشر.

علاقة العراق والكويت

■ ***ما هو مستقبل العلاقة بين العراق والكويت؟***

حسيب: من المصلحة أن نكون صريحين في هذا الموضوع. النظام السابق عندما غزا الكويت لم يأخذ رأي الشعب العراقي. أخذ قراره بنفسه. ولكن عندما غزت القوات الأمريكية العراق، فإن أغلبية الشعب الكويتي كانت مؤيدة لغزو العراق ولحصاره. لا توجد لدي معلومات مباشرة، ولكن أخشى إذا استمرت هذه الظاهرة أن ينتقل الخلاف من خلاف بين نظامين إلى خلاف بين شعبين، لأن الشعب العراقي ليس من السهل أن يغفر، فالمطلوب هو جهد من الطرفين لمعالجة هذا الأمر. هناك قضية التعويضات والحدود، وهناك قضية ديون. . . إلخ. علينا أن نتعامل مع هذه الظاهرة كدولتين عربيتين متجاورتين، ونحن جزء من هذه الأمة، علينا أن نحل

مشاكلنا بأنفسنا، أو من خلال جامعة الدول العربية، وذلك بأن تقوم بتحكيم يتفق الطرفان على الالتزام بنتائجه.

■ ***تحكيم على ماذا يا دكتور، انتهى موضوع الحدود مع الأمم المتحدة.***

حسيب: ليس المهم أن تقنعني، أنا شخصياً لا يهمني فقط أرض موجودة في الكويت أو العراق، فالعراق لديه ما يكفي من النفط، وكذلك الكويت. وأنا كشخص وحدوي لا أستطيع أن أتكلم عن الحدود. القضية الوحيدة في ما يتعلق بالحدود ما بين العراق والكويت، هي أنه يقال إن العراق يحتاج إلى إطلالة على الخليج أكبر من الإطلالة الحالية لأسباب تتعلق بالأمن القومي العربي. أنا لا أستطيع أن أقول إن هذا الكلام صحيح أم لا، ولكن يمكن أن يبتّ فيه فنيون عسكريون عرب ومن خلال اتفاقية الدفاع العربي المشترك. هم الذين سيحدّدون هل هناك فعلاً حاجة أم لا.

■ ***دكتور حسيب، الكويت سوف تجيبك أنه إذا كانت دولة بحاجة إلى منفذ بحري، هل تنتزعه من دولة أخرى؟***

حسيب: أنا لا أدعو إلى هذا، وأنا معارض لغزو العراق للكويت منذ البداية، ولكن أنا أتكلم عن علاقة طويلة الأمد، ولا يمكن للعراقيين أن يقبلوا بعد أن يتخلصوا من القوات الأمريكية أن تبقى قوات أمريكية في الكويت تكرر المأساة حيثما تريد. يمكن لقوات عربية مشتركة ضمن اتفاقية الدفاع العربي المشترك أن تأتي لتطمئن الكويت من خلال انتشارها على جانبي الحدود (قوات مصرية، سعودية، سورية... إلخ، ولكن ليس أمريكية).

■ ***الكويتيون يقولون إن الكثير من العراقيين مرتاحون لدور الكويت في تحريرهم من صدام حسين. وهناك شخصيات عراقية تقول هذا.***

حسيب: أنا لا أريد أن أعطي أهمية لما يذكر حول هذا في بعض الصحافة الكويتية. هناك تقارير من الصحافيين البريطانيين منشورة في بعض الصحافة البريطانية تشير إلى أن هناك عدداً غير قليل من السيارات التي تأتي من الكويت الى العراق تكون موضع استهداف عسكري.

■ ***أنت في رأيك أن هناك مشكلة والحوار المباشر مطلوب؟***

حسيب: إما حوار من خلال العائلة العربية، أو إذا تعذر ذلك يتعامل العراق والكويت كدولتين متجاورتين وليستا جزءاً من الأمة العربية. لا يوجد علاقة أكثر من هذا، فيذهبان إلى محكمة العدل الدولية للتحكيم أو أي صيغة أخرى تبت في ذلك.

لأنه مثلما الكويت لها تعويضات وقبضت قسماً غير قليل منها، الآن العراق سيطالب الكويت والأردن والسعودية وأمريكا وكل من ساعد في احتلال العراق، سيطالبهم بتعويض. أمريكا لم تسقط نظاماً فقط، إنما قضت على دولة. المهم أن يتفق البلدان على أن لا يلجآ إلى القوة، في حل خلافاتهما، وان تحل بالطرق السلمية.

■ ***الآن الحكومة العراقية الحالية التي سوف تكون ممثلة في القمة العربية تشعر بالامتنان للكويت وأمريكا للدور الذي قاما به.***

حسيب: لا أريد أن أكرر ما قلته، هؤلاء ينطبق عليهم ما حصل عند احتلال الإنكليز للعراق عام ١٩٢٠ وتعيينهم مستشارين في كل وزارة، حيث كان المستشار هو الوزير الحقيقي. حينها قال أحد الشعراء العراقيين ساخراً:

في أي مملكة يباع شهيدها ... للخائنين الخادمين أجانبا

مستأجرين على خراب ديارهم ... ويكافأون على الخراب رواتبا

وقِيلَ أيضاً في قصيدة أخرى:

المستشار هو الذي شرب الطِّلا ... فعلامَ يا هذا الوزير تعربدُ

ليس كل البعثيين مجرمين

■ ***هذا رأيك في موضوع مجلس الحكم، هل لديك تعليق على سياسة استئصال البعث والبعثيين على أساس حكم الاستبداد الذي أشرفوا عليه في العراق؟***

حسيب: أنا أعتقد أن هذا لا ينطبق فقط على البعث. يجب أن تتاح فرصة للذين تضرروا من هذه الإجراءات منذ عام ١٩٥٨ حتى الآن أن يقدموا شكوى بأية جرائم ارتكبت، على أن تشكل هناك لجنة دولية فيها المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية، والصليب الأحمر... لتقبل هذه الشكاوى. وهذا ليس فقط ضد البعث والنظام السابق. ففي عام ١٩٥٩ ارتكب الأكراد والشيوعيون مجازر في الموصل وكركوك. وفي عام ١٩٥٨ قتل أناس أبرياء ونصبت مشانق في الشوارع. ينبغي أن يفتح مجال التحقيق من عام ١٩٥٨ إلى الآن. هذه اللجنة ستستلم شكاوى وتحقق، وعندما يصبح هناك مجلس منتخب، يقرر كيف يتعامل مع هذا الأمر. وهناك أمثلة في العالم مختلفة، هناك تجربة جنوب أفريقيا، وتجربة شمال إيرلندا، وتجربة لبنان، وهناك أيضاً تجربة ما بعد الحرب العالمية الثانية مع كل من ألمانيا واليابان. فالمجلس يقرر بعد أن يتيح فرصة للرأي العام أن يناقش هذه الأمور، وبعد

أن تهدأ العواطف يقرر كيف يتعامل مع هذه القضايا.

لا يمكن الحديث عن ديمقراطية مع عزل سياسي. حتى العزل السياسي الذي مارسه عبد الناصر لا أوافق عليه. لا توجد ديمقراطية مع عزل سياسي. من حق البعثيين الذين لم يسرقوا أو ينهبوا أو يرتكبوا جرائم أن يمارسوا العمل السياسي مثل غيرهم.

■ ***لكن هل يقبل المجتمع بهم بعد المشاكل والمحن التي مر بها الشعب العراقي؟***

حسيب: نحن قلنا إن مرتكبي الجرائم والمخالفات يحالون على المحاكمة، ويتم التعامل معهم كما يقرر المجلس، ويعطى مجال للناس لمناقشة الموضوع. آن الأوان لأن يقرر الشعب العراقي أصالةً عن نفسه، لا صدام حسين، ولا بول بريمر، ولا ما يسمى مجلس الحكم الانتقالي المعين، يملك الحق في أن يقرر نيابة عنه. الشعب العراقي وحده هو من يقرر كيف يتعامل مع هذه القضية وغيرها.

موقف إيران المحيّر

■ ***الأتراك يعترضون على دولة كردية، ولذلك يتوقع منهم أن يبقوا باستمرار ضد مسألة انفصال الأكراد، ولكن هل صحيح أن إيران لها «أجندة» مختلفة، ولها نفوذ وثقل كبيران في الداخل العراقي؟***

حسيب: طوال نحو ١٥ سنة، من خلال مركز دراسات الوحدة العربية، ومن خلال المؤتمر القومي العربي، يوجد تيار عربي يسعى إلى أن تكون إيران جزءاً من العمق الإسلامي للأمة العربية، وأن تتحول من عدو محتمل إلى صديق محتمل. ونظمنا عدداً من الندوات في هذا الموضوع، وعملنا على الدفع في هذا الاتجاه وحققنا نتائج أولية إيجابية. موقف إيران من الحرب الأخيرة، محيّر وغير مقبول. فما معنى الحياد الإيجابي؟ وما معنى إرسال وفدٍ لزيارة مجلس الحكم، واستقبال وفدٍ من هذا المجلس في طهران. حتى إن أحد أعضاء هذا المجلس الذي زار إيران بلغ به الكرم الى حدّ أنه تبرع لإيران بحقها في التعويضات عن حربها مع العراق، على اعتبار أن هذا واردٌ حسب قرار الأمم المتحدة، مع أنه لا يوجد قرار من الأمم المتحدة بالتعويض لإيران، بل هناك قرار حول من هي الجهة التي بدأت الحرب، ولم يتم الفصل في هذا. لا يوجد شيء يقر إعطاء تعويضات لإيران.

كما أن الإيرانيين كانوا يحاولون أن يبيعوا ويشتروا مع الأمريكيين في ما يتعلق بالعراق، وكانت منظمة «مجاهدين خلق» أحد أثمان هذه الصفقة. أقول آسفاً أنا غير

مرتاح للموقف الإيراني، ولا أعتقد أن هذا سيخلص إيران في الزمن الأبعد من خطر أمريكي إذا لا سمح الله استقر الأمريكيون في العراق.

■ ***إذا أي مواطن يشاهدنا، وضع نفسه موضع رئيس أو قائد لإيران، وجواره نظام حكم شن حرباً على إيران لمدة ثماني سنوات، وقتل عائلات وضرب واحتل مدناً إيرانية، ثم جاء طرف ثالث أراد أن يتخلص من ذلك النظام، لماذا لا يسكت؟ فبالنسبة اليه هذا انتقام له من صدام حسين.***

حسيب: الأمور لا ينظر إليها من هذا المنظار الضيق. أولاً، إيران والنظام العراقي السابق تبادلا الزيارات وعقدا اتفاقات وبدآ حواراً في موضوع الأسرى وعقدا اتفاقات، آخرها كان قبل سنتين أو ثلاث في طهران بعد تولي وزير الخارجية الجديد. بالنسبة الى إيران، أنا أقول هذا من زاوية المصلحة الإيرانية البحتة، أنا أعتقد أن هذه السياسة لن تؤدي إلى نتيجة معهم، والشيء نفسه بالنسبة الى سوريا. إن هذه المحاولات كلها للترضية والتطمين التي قدموها، وللتعاون الذي أبدوا الاستعداد له، لن تؤدي إلى نتيجة. ونحن نرى الآن التصعيد على إيران. فإيران تخسر إسلامياً في موقفها من العراق، يجب أن لا يربط موقفها بالنظام. بالنسبة الى العراق، هذا بلد صار فيه احتلال، يجب على إيران أن لا تقف هذا الموقف، لأنه إذا استقر الأمريكيون في العراق سيكون ذلك خطراً عليها.

■ ***بالنسبة الى الدول العربية، حسب رأيك، هل هي قادرة على وضع أية استراتيجية للتعامل مع الوضع الجديد؟***

حسيب: لحسن الحظ أن الدول العربية لا تستطيع أن تعرقل المقاومة، وإلا كانت أمريكا ضغطت عليها لتوقفها، كما أنها لا تستطيع أن تساعد المقاومة التي لا تحتاج إلى ناس مدربين ولا إلى تمويل، وهي تعمل من دونهم. الأمريكيون يتحدثون عن دول الجوار، خاصة العربية، بزعم أنه يدخل منها متسللون. . . إلخ. المقاومة ليست بحاجة إلى مئة أو مائتين يأتون من سوريا والأردن. ثم بأي حق تقوم أمريكا باستقدام جيوش من اليابان وإيطاليا وإسبانيا وأوستراليا وبلغارياً والسلفادور وغيرها، وليس عند هذه الدول مشكلة مع العراق، فيما هو ممنوع على العرب أن يرسلوا متطوعين إلى العراق، ولديهم اتفاقية دفاع عربي مشترك.

■ ***الحكومة العراقية الحالية هي التي تطلب ذلك.***

حسيب: يجب أن نحسم هذا الموضوع، هذه الحكومة غير شرعية وليس لها حق، والأفضل أن نسمع من بريمر نفسه.

■ ***الآن في ختام هذه الحلقة، كيف يبدو المستقبل القريب في العراق، هل أنت متفائل بأن ما دعوت إليه سوف يتحقق، أم أنت متشائم وتظن أن أمريكا ستنجح بتنفيذ استراتيجيتها على مدار العشرين سنة المقبلة، كيف ترى الأمور؟***

حسيب: المستقبل ليس قدراً محتوماً، هناك بدائل مختلفة، وهناك بدائل أفضل من أخرى. ولكن إلى أي حد نحن قادرون على - وراغبون في - دفع ثمن الخيار الأفضل. هذا يعتمد على العراقيين، على المقاومة، وهنا المقاومة ليست فقط المقاومة المسلحة. أنا أعتبر أن ما يقوم به آية الله السيستاني هو نوع من المقاومة لا يقل عن المقاومة المسلحة. إنه المقاومة بالموقف. وهذا التصعيد المستمر ... إلخ، لن يمكن الأمريكيين من أن يستقروا. لكن المحطة الحاسمة هي الانتخابات في أمريكا، وحتى الآن حتى مجلة *Economist* في عدد أخير تؤكد هذا. نحن في الندوة التي عقدها المركز أخيراً عن احتلال العراق وتداعياته، دعونا مايكل هدسون من أمريكا، وإيريك رولو من فرنسا، وكان من رأيهم أنه حتى الآن فالاحتمال الأرجح أن لا ينجح بوش في الانتخابات، وهذا يعني بداية نهاية الاحتلال للعراق.

■ ***د. خير الدين حسيب، الآن لو طلبت منك آخر مداخلة في حلقة اليوم، ماذا تقول مباشرة للعراقيين الذين يتابعونك الآن على شاشة «المستقلة»؟***

حسيب: أنا أقول للعراقيين إن مصيرهم كله مشترك، ولا فرق بين إسلامي وقومي عربي وبعثي ويساري وشيعي وسنّي... إلخ، إذا ما اتحدوا وأحبطوا كل المحاولات لإذكاء الفتنة الطائفية. وأنا أستطيع أن أقول، من خلال الندوة التي عقدناها في بيروت، وكان فيها ٥٠ مشاركاً من العراقيين، إنني لا أعرف، هل هم من الشيعة أو السنّة أو الى أي مذهب ينتمون، ما عدا عشرة تدل عليهم أسماؤهم، فضلاً عن تركماني واحد.. لكن اللقاء كان يدعو إلى التفاؤل، لأنه تبدو هناك محاولات لقيادات جديدة. وستسمع في المستقبل كثيراً عن الشيخ جواد الخالصي، وعن الدكتور حارث الضاري وابنه اللامع الدكتور مثنى حارث الضاري، وقيادات أخرى. هؤلاء واحد شيعي، وواحد سنّي، ويلتقون مع قيادات أوسع ستشكل قيادات لعمل وطني يقضي على بذور الفتنة الطائفية. على العراقيين أن يتوحدوا لأنهم من دون الخلاص من الاحتلال لا يوجد أمل للعراق، بل سنعود إلى أوضاع ما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

■ ***د. خير الدين حسيب، مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية، والكاتب والمفكر العربي العراقي المعروف، شكراً جزيلاً لك.***

(٧)
حــوار حــول مستقبــل العــراق(*)

● أنا أعتقد أن أمريكا الآن في مأزق، وأنها سقطت في المستنقع العراقي..

● الأمريكيون لا يعرفون العراق جيداً: لا يعرفون نسق القيم في العراق، ولا يعرفون معنى الكرامة عند العراقي.

● للعراق تاريخ طويل في مقاومة القواعد العسكرية، وهناك كثيرون ضحوا وماتوا في سبيل ذلك.

● للأسف لو كان بإمكان معظم الأنظمة العربية أن تتدخل الآن في العراق لفعلت ذلك لمصلحة أمريكا.. ولو استطاعت أن تعطّل المقاومة العراقية لفعلت ذلك دون تردد.

● الأخضر الإبراهيمي لن يتورط في موضوع تقدم فيه الأمم المتحدة تغطية للأمريكان في احتلال العراق.

● أنا أعتقد أنه إذا كانت الأمم المتحدة تريد أن تنجح، فيجب أن يكون مجلس الرئاسة مكوناً من أشخاص ثلاثة غير حزبيين، ورئيس الوزراء والوزراء من التكنوقراط، وليسوا تحت السيطرة الأمريكية.

● لو كان الأمريكيون جادين فعلاً في الخروج من العراق قبل نهاية السنة ومهتمين بالأمن فلماذا حلّوا الجيش؟

● لا يمكن أن تكون الانتخابات في العراق حقيقية وحرة تحت الاحتلال.

● أصبح معروفاً أن هناك عملاء من الموساد في العراق ساهموا في تدريب الأمريكان على هذه الوسائل.. وما يجري في العراق يكاد يكون صورة طبق الأصل لما يحدث في فلسطين المحتلة.

● في موضوع التعذيب هناك ١٣ حالة من الانتهاكات، و١٣ شخصية قيادية مسؤولة عنها.

● إن مصير العراق والأمة العربية ودول الجوار غير العربية والنظام العالمي يتوقف على ما يحدث هذه السنة في العراق.

(*) أجرى هذه المقابلة مع الدكتور خير الدين حسيب عرفات حجازي على قناة «NBN» اللبنانية يوم ٦/ ٥/ ٢٠٠٤، وذلك ضمن برنامج «الملف»، ونشرت في: **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٤ (حزيران/ يونيو ٢٠٠٤)، ص ٦ ـ ٢١.

■ *أسعد الله أوقاتكم، بعد عام ونيف على الاحتلال الأمريكي للعراق، تغيرت وقائع وحقائق، وجرت مياه كثيرة تحت الجسور. فشتّان ما بين وقفة بوش على أرض بارجته الصلبة قبل عام مفعماً بنكهة النصر وبين غرق جنوده في وحل العراق. العراق بعد عام من الاحتلال تبدو صورته باهتة أمام ألوان الدم والدمار ووقع أصوات الانفجارات التي لا تهدأ. زلزال الاحتلال ضرب كل شيء، غَيَّرَ معالم كل شيء: نظام الحكم، مؤسسات الدولة، العلاقات الدولية والاقليمية . . . إلخ، لم يعد أي شيء كما كان. الأمريكيون فوجئوا بما لم يكن في الحسبان: أمن منفلت، مقاومة ضارية، اقتصاد يتراجع، مجلس حكم يترنح، وتحالف دولي يتصدع، والمخاوف والشكوك تذهب في كل اتجاه والأصوات ترتفع حتى داخل الإدارة الأمريكية مُنْذِرةً بفيتنام جديدة.*

قوات الاحتلال التي سقطت في الفخ تحاول الخروج منه: استعانت بالأمم المتحدة لتنفيذ نقل السلطة إلى العراقيين وتشكيل حكومة انتقالية والبدء بالتحضير لانتخابات عامة مطلع السنة المقبلة. لكن السؤال هو: أي سلطة وأي سيادة ستسلم للعراقيين؟ وأي حكومة انتقالية وبأي صلاحيات ستحكم؟ أي قوة متعددة الجنسية سيقرر مجلس الأمن إرسالها إلى العراق؟ ما هو مصير قوات الاحتلال؟ من يحفظ الأمن؟ هل تتوقف المقاومة؟ كلها أسئلة صعبة تطرح قبل شهرين أو أقل من استحقاق نقل السلطة إلى العراقيين.

للقراءة في هذا الوضع الغامض والصعب والمعقد، «الملف» يستضيف الدكتور خير الدين حسيب مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية للحديث عن واقع العراق ومستقبله. وقبل أن نفتح الحوار نرغب بمشاركتم معنا بالإجابة عن السؤال التالي بنعم أو لا، السؤال هو: هل تؤيد الاستعانة بالبعثين السابقين لإحلال الأمن في العراق؟ اتصل على الرقم ١٠٤٦ وأعطني رأيك.

دكتور كمدخل لحوارنا الليلة، بعد مرور عام ونيف على الاحتلال، هل تعتقد أن الأمريكيين وقعوا في الفخ الذي نصبوه في العراق، فلا هم قادرون على الخروج منه، لأن الخروج منه مكلف، وأما البقاء فيه فمكلف أكثر؟

حسيب: بغض النظر عن النيات، أعتقد أن أمريكا خططت للحرب أكثر مما خططت لما بعد الحرب. وهناك عدد من الدراسات نشرت في مجلة *Foreign Affairs* في سنة ٢٠٠٢ تشير إلى أن الصعوبة ليست في احتلال العراق، وإنما الصعوبة في ما بعد الاحتلال. لذلك قدروا أن أمريكا تحتاج إلى قوات تتراوح ما بين ٣٠٠ إلى ٥٠٠ ألف جندي وهذا ما حصل. أمريكا نجحت باحتلال العراق، ولم يكن من المتصور أن الجيش العراقي المنهك منذ حرب الخليج الثانية في ١٩٩١، والمحاصر على مدار ثلاث

عشرة سنة، يستطيع أن يقاوم الجيش الأمريكي مع كل التقانة المتوفرة لديه. إضافة إلى ذلك، فإن الخطة العسكرية العراقية كانت ـ على ما يبدو الآن ـ تعتقد أن الجيش الأمريكي سيحاول احتلال المدن وقد هَيَّأَ العراقيون للمقاومة داخل المدن، ولكن الخطة الأمريكية تفادت المدن، مكتفية بتطويقها، محاوِلةً الوصول بأسرع ما يمكن إلى بغداد، وحصل ما حصل.

أنا أعتقد أن أمريكا الآن في مأزق، وأنها سقطت في المستنقع العراقي، ولم تستقبل بالورود كما قالوا لها، وكما ظنت أو كما قِسْمٌ منها ظن. صحيح أن معظم العراقيين لم يقاوموا، ولكنهم لم يرحبوا بالاحتلال، لأن للعراق تاريخاً طويلاً مع الاحتلال. الأمريكيون لا يعرفون العراق جيداً: لا يعرفون نسق القيم في العراق، ولا يعرفون معنى الكرامة عند العراقي.

■ ***يعني على الرغم من وجود مراكز دراسات . . .***

حسيب: الطغمة التي دفعت إلى الحرب، كما يبين وودورد في كتابه الأخير *Plan of Attack*، أعني طغمة رامسفيلد وولفويتز وتشيني وبيرل وفيث، لم يكن رموزها يملكون أية خلفية في معرفة المنطقة، على عكس ما تُفِيدُ به التحضيرات التي قامت بها وزارة الخارجية. لذلك فإن الذي سيقرر مصير أمريكا في العراق هو الانتخابات الأمريكية. إذا استمرت المقاومة واتسعت كما يبدو في الأيام الأخيرة ـ حيث انتشرت إلى كربلاء والنجف والديوانية وغيرها ـ وإذا كان هناك ضحايا أكثر مما تتحمل أمريكا، فإن الأمور ستدفعها إلى خيار التسريع بالخروج من العراق. إن إحدى مزايا أمريكا أنها براغماتية؛ ولذلك فهي قد تغير مواقفها بنسبة ١٨٠ درجة إن وجدت مصلحتها في ذلك، كما أن مصلحة الرئيس الأمريكي ورغبته في الفوز في الانتخابات قد تتطلبان ذلك. ولذلك قد يُجبرون على الرحيل وتسليم الأمور للأمم المتحدة، ولكنهم سيحاولون أن يبقوا إلى آخر يوم ممكن في العراق، لأن مخططهم أوسع من العراق.

■ ***إذاً ألا تعتقد أنه في محاولة للخروج من الفخ العراقي يحاول الأمريكيون الآن الاستنجاد بالأمم المتحدة، وتسمية الأخضر الإبراهيمي والرهان عليه على ترتيب نقل السلطة إلى العراقيين؟ هل يمكن أن تنقذهم الأمم المتحدة؟***

حسيب: حتى الآن، وبانتظار قرار جديد من مجلس الأمن يحدد دور الأمم المتحدة، فإن دور الأمم المتحدة حالياً هو، كما أعلن الابراهيمي ووافق على ذلك كوفي أنان ومجلس الأمن، اختيار حكومة مؤقتة ومجلس رئاسة والتحضير للانتخابات. وفي شهر تموز/يوليو سيتم عقد اجتماع لـ ١٠٠٠ أو ١٥٠٠ عراقي يمثلون اتجاهات

مختلفة لاختيار مجلس استشاري يضم ما بين ١٠٠ إلى ١٥٠ شخصاً، على أن يكون هذا المجلس بمثابة برلمان استشاري جديد يساعد الحكومة في التخطيط، على أن تكون الحكومة حكومة انتقالية لتصريف الأعمال، ومهمتها الرئيسية إجراء الانتخابات في موعد لا يتجاوز كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥.

■ ***سنعود للحديث بالتفصيل عن مهمة الأخضر الإبراهيمي وعن دور الأمم المتحدة، لكن طالما نحن بصدد الحديث عن مآزق، ألا تعتقد أن العرب هم أيضاً في مأزق؟ الحرب تدور على أرض عربية وهم لا يستطيعون أن يستقيلوا من دورهم، وخاصة أن الحرب على مقربة من حقول النفط. هناك دعوات دولية ودعوات إسلامية - د. حسيب - لكي يتدخل العرب في العراق من خلال إرسال قوات تحت يافطة أو تحت علم الجامعة العربية. هل تعتقد أن من مصلحة العراقيين أن تدخل القوات العربية إلى العراق؟ هل هذا يفيد؟ وهل هذا يعطي بعض الدور للعرب؟***

حسيب: الأخ عرفات، بعد حرب الخليج الثانية، وبعد احتلال الخليج وانتشار القواعد الأمريكية، أصبحت الولايات المتحدة عضواً رئيسياً فاعلاً وإن كان غير رسمي في مؤسستين هما الجامعة العربية ومنظمة الأوبك. هذا ما تبين في الاحتلال الأمريكي للعراق. الحرب لم تكن حرباً أمريكية فقط، كانت حرباً أمريكية ـ عربية على العراق شاركت فيها معظم النظم العربية إما «بالسكوت» أو «بالخوف» أو «بالتواطؤ المعلن» أو «بالتواطؤ الخفيّ». من أين تحركت القوات الأمريكية لاحتلال العراق؟ من أين تحركت الطائرات والبارجات؟

إنني أحيل على كتاب وودورد، وفيه معلومات مفصلة حول الأدوار التي لعبتها دول جوار العراق ودول عربية أخرى غير مجاورة في تسهيل عملية احتلاله من قبل القوات الأمريكية[١]، وأتوقع أن تقوم الحكومات المعنية بالرد على ما جاء فيه من اتهامات.

■ ***دكتور أنت تعرف أن نظام الرئيس صدام حسين كان مشكلة بالنسبة إلى كثير من الدول العربية، الآن اختلف الوضع، نحن لا نتعاطى الآن مع الوضع العراقي الراهن، العراقيون بحاجة إلى مساعدة من أشقائهم العرب، كيف يمكن للعرب أن يساعدوا العراقيين؟***

حسيب: للأسف، لو كان بإمكان معظم الأنظمة العربية أن تتدخل الآن في

---

(١) انظر: Bob Woodward, *Plan of Attack* (New York: Simon and Schuster, 2004), pp. 232, 236-239, 312-315, 379,388-389 and 401.

العراق لَفَعَلَتْ ذلك لمصلحة أمريكا، لأن الحرب قامت بمساعدتها، وبدونها لم يكن ممكناً أن تقوم الحرب. موقف تركيا كان أفضل من موقف الأنظمة العربية. فلذلك، من حسن حظ العراق أنها لا تستطيع أن تعرقل عمل المقاومة، بسبب أن المقاومة لديها مقاتلون مدرَّبون ولديها سلاح، ولديها الحد الأدنى من التمويل من التبرعات. . إلخ. ولو استطاعت الأنظمة أن تُعَطِّل المقاومة لفعلت ذلك دون تردّد.

■ ***سنتحدث عن المقاومة، لأنه يوجد مقاومات في العراق، ولا أدري عن أية مقاومة تتحدث، سنتحدث عنها بالتفصيل. نعود إلى مهمة الإبراهيمي، قلت إن الإبراهيمي عاد للعمل على الوصول إلى صيغة سياسية لعملية نقل السلطة إلى العراقيين، لكن هذه المهمة موضع خلاف وجدل داخل العراق، أعضاء في «مجلس الحكم» يؤيدون مهمة الإبراهيمي وآخرون يعترضون عليها ويعتبرون أن العراق ليس بحاجة إلى أوصياء، ليسوا قطيع غنم ولا قطيع بقر، حتى يتدخل الابراهيمي. كيف تنظر أنت إلى مهمة الإبراهيمي وما هي الشروط التي تراها ضرورية لإنجاح دوره في عملية نقل السلطة؟***

حسيب: سؤال مهم جداً. الإبراهيمي لم يأت بمبادرة من الأمم المتحدة، وإنما جاء بمبادرة وبإلحاح من الولايات المتحدة.

■ ***وبطلب من «مجلس الحكم».***

حسيب: ما يسمى «مجلس الحكم»، لا يقدّم ولا يؤخر في الموضوع.

■ ***يعني مجرد واجهة؟***

حسيب: الذي يريده بريمر يعمله هؤلاء، لكنهم لا يقدمون ولا يؤخرون، هُمْ فقط مشغولون بتعيين أقاربهم وأزلامهم، وقسم منهم مشغول بالاستفادة من هذه المرحلة. وبالتالي، دورهم محدود. وإذا كانوا معارضين لمهمة الأخضر الإبراهيمي، فلأنهم يعتقدون أنها ستُنْهِي دورهم، وبخاصة أن المقترح من الإبراهيمي كما يبدو، أن تكون الحكومة حكومة تكنوقراط، يتم فيها استبعاد السياسيين بمعنى المنتمين إلى أحزاب، إلخ، وأن يقوم مجلس رئاسة من ثلاثة أشخاص غير حزبيين.

■ ***حول هذه المسألة دكتور، هل لديك أسماء؟ نقرأ في الصحف أن هناك عدنان الباجه جي مرشح أن يكون رئيس حكومة أو رئيساً، وإبراهيم الجعفري، وأسماء أخرى مطروحة. هل باعتقادك يمكن لهذه الأسماء أن توحي بالثقة للعراقيين؟ وكيف سيتم التوزيع؟ هل وفق حصص طائفية؟ وهل هذا يتناسب مع الوضع القائم في العراق؟***

حسيب: حسب ما قيل على لسان الإبراهيمي، وحسب ما ذكر في تقريره،

وكذلك في المقابلات التي تمت معه في بعض الفضائيات العربية، هو لا يريد أحداً من الحزبيين أن يشارك في هذه الوزارة، وبالتالي يتطلع إلى إمكانية تشكيل مجلس رئاسة ووزارة من غير الحزبيين. ومن هذا المنطلق، يمكن استبعاد كل من يجري الكلام عنهم، لأن لهؤلاء جميعاً أحزاباً.

■ ***قرأت اليوم، أن بعض أعضاء مجلس الحكم هدَّد بأن «قانون إدارة الدولة» قد يتخلون عنه، وكأنهم هم الذين وضعوه.***

حسيب: زعم الفرزدقُ أنْ سيقتلَ مربعا أَبِشرْ بطولِ سلامةٍ يا مربعُ

كل ما حدث، كل المآسي التي حدثت، كل الأشياء في سجن أبو غريب، في الفلّوجة، في النجف وكربلاء، لم تهزّهم ولم تحركهم.

مظفر النواب شاعر عراقي تعرفه، لديه قصيدة فيها يصف الأنظمة العربية والحكام، يقول:

تتحـــرّك دكّــة غســل الموتـــى أمـا أنتـم فـلا تتحـرك لكـم قصبـة

■ ***تبدو قاسياً عليهم، يعني نحن أمام استحقاق داهم وهو الشاغل الآن بالنسبة إلى العراقيين هو موضوع ٣٠ حزيران. السؤال، لمن ستنتقل السلطة في العراق؟ هل تكون السيادة كاملة كما يريدها العراقيون؟ أم هل ستكون سيادة منقوصة كما يريد الأمريكيون وكما عبروا عن ذلك؟ وهل هذه الخطوة ستقدم وتؤخر في مسار القضية العراقية؟***

حسيب: الأخ عرفات، هناك فرق بين ما يريده الأمريكان وبين ما يطمح إليه الأخضر الإبراهيمي. الأخضر الإبراهيمي مبعوث للأمين العام ومكلف بمهمة معينة، ونحن يجب أن لا نحكم عليه كرجل قومي عربي جزائري. . إلخ، هو ذاهب لأداء مهمة معينة وبتفويضات معينة. أنا من معرفتي للأخضر الإبراهيمي، فأستطيع القول إنه لن يتورط في موضوع تُقَدِّم فيه الأمم المتحدة تغطية للأمريكان في احتلال العراق.

■ ***لا يمكن أن يوفر غطاء دولياً للمأزق الأمريكي؟***

حسيب: هو لن يقوم بذلك، يمكن أن تفعل ذلك الأمم المتحدة أو غيره، لكني لا أعتقد أنه يمكن أن يقوم بهذا الدور، وينهي حياته السياسية بهذا الموقف. وكما فعلت أمريكا مع «مجلس الحكم» تريد أن تفعل مع الحكومة المؤقتة ومجلس الرئاسة: تريدهما أداةً لخدمة مصالحها. تَصَوَّر أن الأمريكيين وقبل أن يعرفوا من هي الحكومة

المؤقتة وقبل أن يعرفوا نتيجة الانتخابات والحكومة التي ستنبثق عن الانتخابات يقولون إن الحكومة القادمة سيعقدون معها اتفاق دفاع بموجبه يكون لهم قواعد في العراق! كيف لهم أن يعرفوا أن الحكومة القادمة في العراق ستعطيهم هذه القواعد؟ للعراق تاريخ طويل في مقاومة القواعد العسكرية، وهناك كثيرون ماتوا وضحوا في سبيل ذلك، وهذا تمّ قبل ثورة ١٩٥٨. في ١٩٥٨ حتى معاهدة دفاع بغداد تم إلغاؤها. إن العراق لا يمكن أن يقبل بقواعد عسكرية، ما هو الغرض من هذه القواعد العسكرية؟ يجب أن تقنع العراق ما هو الغرض من القواعد العسكرية.

أنا أعتقد أنه إذا كانت الأمم المتحدة تريد أن ينجح الإبراهيمي في مهمته، فيجب أن يكون مجلس الرئاسة من أشخاص ثلاثة غير حزبيين ورئيس الوزراء والوزراء من التكنوقراط وغير تابعين لأحد، وليسوا تحت السيطرة الأمريكية.

■ ***هذه هي الفكرة التي يستند إليها الإبراهيمي.***

حسيب: إضافة إلى ذلك، أنا لا أعرف موقف الأمم المتحدة من مسألة غير قابلة للجدل هي أنه، لا يمكن أن تتم انتخابات حرة تحت الاحتلال الأمريكي، وبالتالي الانتخابات المقدر لها أن تتم في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥ ويُحَضَّر لها من الآن، يجب أن يسبقها صدور قرارٍ من مجلس الأمن يُحدِّد تاريخاً لجلاء القوات الأمريكية وغير الأمريكية من العراق في موعد لا يتجاوز ٣١ كانون الأول/ ديسمبر القادم.

■ ***ومن سيحفظ الأمن يا دكتور، من سيحفظ الأمن في العراق؟***

حسيب: وهل الأمن موجود الآن في العراق؟

■ ***على الأقل لم تنشب حرب أهلية.***

حسيب: هذا ما عملوا له طويلاً، دائماً كنت تسمع من المسؤولين الأمريكيين، ومن الإعلام الأمريكي، ما معناه أنه إذا خرجنا ستنشب هناك حرب أهلية. لا يا أخي، لن تَحدُثَ حرب أهلية على الرغم من كل محاولاتهم. هم يحاولون أن يهندسوا انشقاقات بين الشيعة والسنة، ثم داخل كل واحدة منهما. لكن تاريخ العراق لم يشهد مثل هذا الانشقاق والصدام بين أهله طيلة تاريخه؛ ويجب عدم إسقاط حالة الانقسام الطائفي والمذهبي التي كانت في لبنان على العراق. في العراق الوضع مختلف، الشيعة معظمهم ـ في ما عدا قلّة صغيرة من أصول إيرانية ـ قبائل عربية تشيعت قبل ٢٠٠ إلى ٣٠٠ سنة. قسم منها هاجر من شمال العراق إلى جنوبه والحوزة العلمية ساعدتهم، تَشَيَّعَ الشيخ ومن ثم تبعتْه القبيلة كلها فتشيعت، ولا تزال حتى الآن قبائل مثل شمر: في الشمال سنة وفي الجنوب شيعة، الجبور في الشمال سنة وفي الجنوب شيعة. كما

أن العرب السنة في العراق لا يستطيعون أن يزايدوا على العرب الشيعة في العروبة ولا في القومية العربية. العرب الشيعة كانوا قيادات رئيسية في ثورة ١٩٢٠، وكل الأحزاب القومية التي تشكلت كانت مزيجاً من الشيعة والسنة، «حزب الاستقلال» رئيسُه كان الشيخ محمد مهدي كبه (شيعي) ونائب الرئيس كان محمد صديق شنشل (سني). . وكذلك الأحزاب الأخرى. لم يكن في العراق حزب طائفي يقوم على أساس طائفة واحدة. ونحن رضعنا القومية على أساتذة قسم منهم كانوا شيعة. لا يستطيع أحد أن يزايد على الشيعة في العروبة. أما ما يقال إن الظلم كان أكثر على الشيعة وعلى الأكراد ممَّا كان على السنة. . إلخ، فإنه يعود إلى أنه في الوضع الذي كان موجوداً، كل واحد ينظر من زاويته إلى أنه مظلوم. لكن إذا كان هناك شيء يذكر للنظام السابق في هذا الموضوع، فهو أنه مارس «عدالةً في الظلم».

■ ***ظلم كل الناس ولكن بالسوية.***

حسيب: المعيار لم يكن طائفيّاً في الظلم، كان سياسيّاً يرتبط بمدى خطر الشخص أو المجموعة على أمن النظام أو على شخص رئيس النظام حسبما يقدره النظام. أنا غير متخوف من أي شيء من هذا النوع، وكانت هناك تجارب بالنسبة إلى الفلّوجة والنجف.

■ ***الآن الجيش ما زال في طور التكوين وسنأتي على ذكره، لكن حتى الآن لم يتجاوز عدد القوات المسلحة العراقية، المُجَهَّزة بأسلحة خفيفة، والتي لم تخضع لدورات تدريبية، ولم تحمل بعد عقيدة قتالية، الحَدَّ الذي يسمح لها بأن تضبط الأمن، خاصة أن هناك ستة ملايين قطعة سلاح إذا لم يكن أكثر لدى العراقيين، والميليشيات ما زالت تتمتع بسلاحها، فكيف يترك الأمريكيون؟***

حسيب: لو كان الأمريكيون جادين فعلاً في الخروج من العراق قبل نهاية السنة، ومهتمين بالأمن، فلماذا حلّوا الجيش؟ أَلَمْ يَحُلُّوا الجيش والأجهزة الأمنية الأخرى لكي يبرروا بقاءهم لفترة أطول؟ إنهم لم يسقطوا نظاماً فقط، بل قضوا على الدولة. ثم ما معنى أن تترك، بغداد وغيرها ما بعد سقوطها، يومين للنهب والسلب؟ كان يمكن أن يعلنوا منع تجول يحول دون هذا كله مثلاً. الجيش العراقي كان عدده حوالى ٥٠٠ ألف، وكان بإمكانهم ـ والآن بإمكانهم ـ أن يفرضوا على أي ضابط أو جندي كانت له علاقة بحزب البعث ويريد أن يستمر في علاقته مع حزب البعث مغادرة الجيش، والذي ينهي علاقته بحزب البعث ولن تكون له علاقة حزبية مستقبلية يمكن أن يستفاد منه في الجيش. بعبارة أخرى أن يكون في العراق جيش غير حزبي وغير سياسي يخضع للقيادة السياسية.

■ ***هذه النظرة غير متفق عليها في الداخل العراقي، لأن هناك الكثير من الناس متخوفون من عودة الضباط أو العسكريين، لأن هذا يشكل خطراً على الأمن، هكذا قالوا في تصريحاتهم.***

حسيب: أولاً، الجيش العراقي ـ وبخاصة الجنود ـ هو جيش إجباري وليس جيش متطوعين، وبالتالي يضم جميع فئات الشعب، وكان هو البوتقة التي تصنع الاندماج الاجتماعي بين كل الطوائف. فمن أين ستأتي بالجيش؟ هذا هو الجيش. إذا كان هناك أفراد شاركوا في جرائم يستبعدون ويحالون على المحاكمة حينما تقوم حكومة شرعية منتخبة. على أن باب المحاكمات إذا انفتح، لا ينبغي أن يدخله هؤلاء فقط، بل كل من ارتكب جريمة سياسية منذ العام ١٩٥٨ حتى الآن، لأن العام ١٩٥٩ شهد مجازر في كركوك والموصل ارتكبها الأكراد والشيوعيون. وللمجلس المنتخب أن ينظر في الطريقة الأنسب لمعالجة الموضوع.

■ ***إشارة إلى أن حصيلة الاستفتاء من قبل المكالمات التي وردت جاءت النسبة ٦٠ قالوا نعم للاستعانة بالبعثيين السابقين لإحلال الأمن في العراق و٤٠ قالوا لا لهذه الاستعانة. دكتور كنا نتحدث عن موضوع نقل السيادة إلى العراقيين. كولن باول قال بوضوح إن على الحكومة المقبلة أن تقبل أن تكون السيادة منقوصة لأن القوات المسلحة لا بد أن يترك لها حرية العمل وحرية التحرك، وبالتالي هم لا يفرضون هذا الأمر على الحكومة المقبلة إنما بالتفاهم معها، وحتى الرئيس شيراك حذر من أن أي قرار سيصدر من مجلس الأمن يجب أن يكون واضحاً في تحديد الدور الذي سيوكل إلى الأمم المتحدة، وهو حذر أيضاً من أن تكون عملية تسليم السلطة عملية صورية ورمزية، وأن يبقى كل شيء في يد الأمريكان، كيف تنظر أنت إلى هذه الصورة؟***

حسيب: مجلس الأمن وفرنسا وروسيا وألمانيا أرادوا فعلاً أن يخرجوا العراق من هذه الأزمة. وإذا أرادت أمريكا أن تخرج من هذا المستنقع وأمامها الانتخابات، أعتقد أنه ليس أمامها إلا أن تسلم الموضوع إلى الأمم المتحدة، والأمم المتحدة تتولى إنشاء الحكومة الجديدة، وأن يحدد قرار مجلس الأمن موعداً لانسحاب القوات الأمريكية من العراق. لا يمكن أن تكون الانتخابات حقيقية وحرة تحت الاحتلال.

■ ***أنت في رأيك يجب أن تكون هناك جدولة زمنية لخروج القوات؟***

حسيب: وقبل نهاية السنة الحالية.

■ ***ربما تجد الأمم المتحدة استحالة في عملية الاستغناء عن القوات الأمريكية.***

حسيب: خلال هذه الفترة، الستة أشهر، الأمم المتحدة والحكومة الجديدة تشرف على إعادة تكوين الجيش العراقي، وفق أسس سليمة، أمامها ستة أشهر

والجيش العراقي موجود وحتى لا تزال بعض أسلحته مُخَبَّأَة. وضباطه موجودون كما تبيَّنَ في الفلّوجة، والذين نودي عليهم للدخول إلى الفلّوجة أنهوا المشكلة في المدينة سريعاً، فيما لم يستطع الأمريكيون بكل قوتهم أن يدخلوها.

■ ***لماذا لجأوا إلى هذا الخيار؟ ألا تعتقد أن في هذا رسالة يريدون أن يوجهوها إلى الشيعة؟***

حسيب: هذا ما قلته في البداية من أن الأمريكان براغماتيون. عندما كان الخيار أن يدخلوا الفلّوجة عسكرياً ويحتلوها ويقدموا عشرات ومئات القتلى من الأمريكان، الأمر الذي سيؤثر على بوش في الانتخابات، فضلوا الخيار الثاني أي الاستعانة بفوج من الجيش العراقي السابق، لأنه سيوفّر عليهم كثيراً.

■ ***كيف سيوفقون إذاً في معالجة مشكلة مقتدى الصدر وخاصة أن هناك مدينتين مقدستين عند الشيعة، وقد حذرت المراجع من أن الدخول إلى هاتين المدينتين خط أحمر وقد يترتب عليه تداعيات خطيرة؟***

حسيب: كنت أتمنى أن ينسق السيد مقتدى الصدر بشكل أكبر مع المرجعية في النجف، أي مع الحوزة العلمية في النجف. الآن لا أستطيع أن أتصور أن الحوزة ستبقى ساكتة أمام هذه الضحايا. قبل يومين هناك ٦١ قتيلاً واليوم مساء في آخر الأخبار قيل إن هناك ٤١ من القتلى. أنا أعتقد أن المسألة قد تحل على غرار الحل في الفلّوجة. أمّا إذا استطاعوا القاء القبض على مقتدى الصدر فلا أعتقد أن المقاومة ستتوقف، لكنها ستأخذ أشكالاً أخرى: عمليات منفردة في بغداد وغيرها مثلاً. لا تَنْسَ أن لدى مقتدى الصدر في مدينة الثورة (الآن تسمى مدينة الصدر) قاعدة شعبية من حوالى مليونين، ولسبب أو لآخر هم وراءه. وهناك مناطق أخرى في بغداد مثل مدينة الحرية ومدينة الشعلة كذلك لديه مؤيدون فيها، وبالتالي ساحته ليس فقط النجف وكربلاء. ثم هناك عمليات في العمارة والديوانية وغيرهما. أعتقد أن المرجعية قد تخسر بعض بريقها إذا تركت مقتدى الصدر لمصيره.

■ ***كنا نتكلم عن أن المسألة الأمنية تتقدم ما عداها من حيث الأولوية. يعني من دون أمن لا ديمقراطية ولا إعمار ولا يمكن القيام بأي شيء. وبما أن القوات العراقية التي يعمل الأمريكيون على تشكيلها لا يوجد لديها معنويات، وغير راغبة في الاصطدام بأبناء شعبها، وشاهدنا كيف أنهم رفضوا أن يطلقوا النار على أبناء الفلوجة. لذلك ربما حاولوا الخروج من هذا المأزق بالاستعانة بضباط الجيش السابق.***

حسيب: الأخ عرفات، مخططهم الأولي بعد أن حلوا الجيش أن يؤسسوا جيشاً خلال ثلاث سنوات من أربعين ألف جندي. الوقائع أجبرتهم على التغيير، أمس أو

اليوم وزير الدفاع قال خلال ثلاث سنوات سيصل العدد إلى ١٥٠ ألفاً. هل يمكن للعراق أن يكون عنده ٤٠ ألفاً في الوقت الذي تمتلك فيه إيران نصف مليون، وفي الكويت أكثر من ٤٠ ألفاً!

■ ***يجب أن يأخذوا في عين الاعتبار دول الجوار.***

حسيب: هم كانوا يعملون هذا على أساس أنهم باقون في العراق.

■ ***ربما بدأوا يشعرون أن بقاءَهم قد لا يطول. ولكن بانتظار هذه الفترة، تقول إنه خلال ستة أشهر يجب أن ينسحبوا، وهذا أمر فيه استحالة، حتى أن الفرنسيين والألمان وحتى الدول العربية التي تريد إنهاء الاحتلال الأمريكي لا يتصورون أن يكون خروج القوات الأمريكية بسرعة. ربما حسب ما ذكرت قد يلجأ مجلس الأمن إلى إصدار قرار يعترف بشرعية الحكومة المقبلة، ومن ثم يمكن أن يطلب تشكيل قوة متعددة الجنسيات، هنا بإمكان العرب أن يضغطوا وبإمكان الأوروبيين أن يضغطوا أيضاً من أجل تشكيل قوة تأتي تحت علم الأمم المتحدة وبإمرة الأمم المتحدة وقد تكون الولايات المتحدة الأمريكية مساهمة فيها.***

حسيب: هذا حل ممكن، ولكن في الوقت نفسه الحكومة المؤقتة تعيد تشكيل الجيش العراقي، والقوة المتعددة الجنسيات كلما دَخَلَ قسمٌ منها ينسحب الأمريكيون تِبَاعاً.

■ ***يقال إن هذه الحكومة دكتور حسيب لن تكون لديها صلاحيات. فهذه مرحلة انتقالية من سبعة أشهر، وكل ما هو مطلوب من هذه الحكومة أن تسيِّر الأمور اليومية للناس، لا يحق لها أن تعقد اتفاقات أمنية تعطي للأمريكيين حق إقامة قواعد، مثل هذه الأمور مُنَاطٌ بحكومات شرعية منتخبة وفق الأصول الدستورية.***

حسيب: هذا يعتمد على مجلس الأمن والأمم المتحدة: هل ستكون غطاء شرعياً للاحتلال الأمريكي، أو تريد أن تساهم في تحرير العراق؟ إذا أرادت تحرير العراق وتخليصه من الاحتلال، فالقرار بيدها هي بالاتفاق مع أمريكا إذا وافقت. وإلا هذه الحكومة المؤقتة إذا عينت وبَقيت قوات الاحتلال، فإن المقاومة لن تتوقف، وبالتالي يستحيل إجراء انتخابات بوجود عمليات مقاومة.

■ ***ما هي معلوماتك دكتور عن هذه المقاومة، هل هي مقاومة عشوائية، هل هي مقاومة منظمة، هل لها خيوط مرتبطة بالخارج، ومن ثم كم نوعاً من المقاومات داخل العراق؟***

حسيب: منذ أن سقطت بغداد حتى الآن، هناك تقارير مختلفة ومتضاربة حول

المقاومة. هناك من يقول إن النظام السابق كان مُهَيئاً للمقاومة قبل سنة من سقوط بغداد، وحتى في تقارير سكوت ريتر يتحدث أنه في عام ١٩٩٦ قام بزيارة أماكن في ضواحي بغداد للتفتيش عن أسلحة الدمار الشامل، حيث رأى مواقع يصنعون فيها متفجرات يدوية، وذهب إلى مكان آخر، فَوَجَدَ مدرسة للتدريب على استعمال المتفجرات لتفجير الدبابات وقدَّم تقريراً بذلك. حتى في الفلوجة لديَّ تقارير أمريكية تقول إن الأمريكيين كانوا يعتقدون في البداية أن أكثرية الناس الموجودة في الفلوجة قادمة من الخارج، وبعد أن انتهت العملية يقولون إن عدد القادمين من الخارج هو ١ بالمئة وأن البقية عراقيون. هل هناك تنسيق أم لا؟ التقارير الأمريكية تقول إن هناك تنسيقاً بين من يقومون بالمقاومة في المناطق المختلفة، بغداد، والفلوجة، والرمادي، والموصل، وكركوك وغيرها.

■ ***يعني لا بد أن يكون هناك غرفة عمليات سرية هي التي تقوم بضبط المسألة.***

حسيب: هناك قدر من التنسيق بشكل يضمن عدم كشفهم. من الصعب تقديم معلومات دقيقة جدّاً وشاملة، لكن هناك بيانات تصدر باسم القيادة العامة للمقاومة الوطنية، تشير إلى أن هناك تنسيقاً بين قواها.

■ ***ما علاقة هذه المقاومة بالمقاومات الأخرى التي لا يمكن لأحد أن يطلق عليها اسم مقاومة، بل هي عمليات إرهابية. . هذه التي تطال يومياً العراقيين المدنيين: تفجير السيارات، قتل رجال الشرطة العراقيين وهؤلاء مدفوعون للحفاظ على بلدهم، فما ذنبهم إذا كانت قوات الاحتلال موجودة؟***

حسيب: جميع هذه الأعمال، التفجيرات التي تصيب مدنيين، شرطة عراقيين، أناساً أبرياء، هذه مدانة، وليست للمقاومة، ولا يمكن اعتبارها مقاومة.

■ ***كيف يمكن الخلاص منها؟***

حسيب: هذه قسم منها يعتقد أن الأمريكان وراءَه، وقسم آخر يعتقد أن إسرائيل وراءه، ثم قسم يعتقد أن جهات أخرى وراءه.

■ ***القاعدة مثلاً، أسامة بن لادن وجماعته.***

حسيب: حتى الآن لم يثبت في التحقيقات التي قام بها الأمريكان للمقاتلين الذين ألقوا القبض عليهم، وحسب المصادر الأمريكية نفسها، أن أحداً منهم من القاعدة. بعد اغتيال محمد باقر الحكيم، لماذا لم ينشروا نتائج التحقيق؟ من قام بالعملية وبالعمليات الأخرى التي استهدفت مقر الأمم المتحدة؟ لماذا لم ينشروا نتائج التحقيق؟

■ ***والسفارات؟***

حسيب: هذه العمليات مدانة وغير صحيحة، وهي قد تكون هادفة تشويهَ صورة المقاومة.

■ ***ولكن كيف يمكن الخلاص منها دكتور؟***

حسيب: لقد توقف كثير من العمليات التي تستهدف المدنيين والفنادق في الفترة الأخيرة.

■ ***المقاومة الحقيقية، المقاومة الوطنية ألا تستطيع أن تضبط هذه الحالات الشاذة، والنتوءات التي تظهر حولها؟***

حسيب: أصبح معروفاً أن هناك عملاء من الموساد في العراق ساهموا في تدريب الأمريكان على هذه الوسائل، وما يجري في العراق يكاد يكون صورة طبق الأصل لما يحدث في فلسطين المحتلة.

■ ***ما هو الدور الذي يمكن أن تلعبه دول الجوار بالنسبة إلى مستقبل العراق وبالنسبة إلى إعادة الأمن والاستقرار فيه؟***

حسيب: أنا لا أعتقد، بناء على المعلومات التي ذكرتها لك، أن دول الجوار تريد للعراق أن يتحرر وللأمريكان أن يخرجوا، لأن هذا سيؤدي إلى تغييرات أساسية في دول الجوار كلها.

■ ***وإذا خرج الأمريكان؟***

حسيب: إذا خرج الأمريكان والعراق منتصر وديمقراطي، فإن هذا سيحدث زلزالاً عربياً. أكثر الدول المجاورة تريد العراق لا حيّاً ولا ميتاً للأسف الشديد.

■ ***ألا تتوقع أن تحدث فتن داخلية دكتور خاصة عندما سيبدأ توزيع الحصص والمغانم؟ هناك طوائف تشعر أنها غبنت طويلاً لا بد أن تأخذ حقها، وهناك طوائف كانت تنعم بخيرات ثم أتى هذا الزلزال لينقص بعض هذه الحصص؟ والأكراد أيضاً تراودهم أحلام، وربما وجدوا أن الفرصة ملائمة. يعني تداخل كل هذه الطموحات والرؤى مع بعضها، ألا يمكن أن ينجم عنه صراعات؟***

حسيب: في ما يتعلق بالخوف من خلافات الحصص إلخ، أولاً لن تقوم حكومة حقيقية إلا في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥ بعد إجراء الانتخابات واختيار الحكومة، هذا إذا جَلاَ الاحتلال عن العراق.

■ ***من سيضع قانون الانتخاب؟***

حسيب: قانون الانتخاب تضعه الحكومة المؤقتة، وعلى أساسه تجرى الانتخابات. لكن الدستور يضعه المجلس المنتخب الشرعي. أنا أؤكد لك أن العراق لا يحتاج إلى أية مساعدات خارجية لإعادة بناء البلد وتطويره، خلال هذه السنة قوات الاحتلال صدَّرت نفطاً قيمته أكثر من ٨ مليار دولار. وخلاف ما يقال من أن العراق حتى يستعيد إنتاج النفط بمعدلاته السابقة يحتاج إلى ١٨ ملياراً، ففي تقرير أمريكي أخير أعده خبير أمريكي على معرفة واسعة بنفط العراق ونشر كملحق في مجلة *MEES* وَرَدَ أنه حتى يعود العراق لإنتاج الكمية نفسها التي كان ينتجها قبل احتلال العراق (٣,٥ مليون برميل يومياً تقريباً) يحتاج إلى مليار دولار فقط. وهذا يمكن أن يأخذه من بنك الرافدين أو من أي مكان في الخارج. كما ذكر أن كل زيادة في طاقة الإنتاج بمليون برميل يومياً يحتاج فقط إلى مليار ومائتي مليون دولار. العراق بعد حرب ١٩٩١، وخلال ستة أشهر أعاد الكهرباء والماء والهاتف وتصليح الجسور وكل شيء. اليوم، وبعد سنة، فإن خطوط الهاتف غير معادة كلها، والكهرباء ثلاث ساعات توزَّع وثلاث ساعات تنقطع . . . وهكذا بقية الخدمات.

■ ***ألا تعتقد أن المعرقل هو الوضع الأمني الذي لا يسمح؟***

حسيب: هناك الوضع الأمني، والفساد، والروتين، وهناك قضايا كثيرة.

■ ***العمال والمهنيون الذين جاءوا لإصلاح الكهرباء ومصافي النفط تعرضوا لعمليات اغتيال من جنسيات مختلفة.***

حسيب: صحيح هناك قسم تعرَّض لذلك، ولكنه لم تحدد الجهة التي وراء ذلك.

■ ***في إطار المخاوف التي ترد في ذهن المواطن العربي أن الدستور المؤقت نَصَّ على اعتماد الفدرالية التي يعتبرها البعض صفة مقنعة للوصول إلى دولة اتحادية في العراق. هل هناك خوف على وحدة العراق خاصة أن هذه الفدرالية لم تحدد، هل هي فدرالية طائفية، فدرالية إدارية، فدرالية مناطقية عرقية، ما طبيعة هذه الفدرالية؟***

حسيب: يوجد في الدستور العراقي منذ ١٩٢٤ وحتى سقوط بغداد مادة تقول إن العراق جزء من الأمة العربية. هذه المادة أسقطت في هذا الدستور المؤقت (قانون الحكم المؤقت) وأشير بدلاً من ذلك إلى أن هناك قوميتين عربية وكردية والشعب العربي في العراق جزء من الأمة العربية وليس العراق كله!

الأخ عرفات: ٩٥ بالمئة من الشعب العراقي مسلمون، و٨٠ بالمئة عرب، ونسبة الأكراد في العراق وخلافاً لما يقولون من أنها ٢٠ أو ٢٥ بالمئة هي ـ حسب إحصاء ١٩٥٧ ـ ١٦,٤ بالمئة، وهم يريدون الاعتماد على إحصاء ١٩٥٧. حتى في كركوك، مدينة كركوك نفسها الأكثرية فيها ليست أكراداً بل تركمان وعرب. وحتى في لواء كركوك كله الأكثرية ليست كردية. فهناك جهل وغوغائية. ثم أية فدرالية يريد الأكراد؟ فليتفقوا بينهم في البداية. أما ما يقال من أن هناك ديمقراطية في منطقة كردستان ويريدونها أن تعم على العراق كله فهو كذبة كبيرة. في منطقة كردستان وتحت الحماية الأمريكية الجوية، جرت انتخابات في عام ١٩٩٤، ولم يتفقوا على نتائج الانتخابات، وقسموا المقاعد في ما بينهم. أول سنة كانت الحكومة موحدة وبعد ذلك اختلفوا. والآن هناك حكومة في السليمانية وأخرى في أربيل. ولقد وقع تهجير من منطقة إلى منطقة أخرى وحَصَلَ قتال وجماعة جلال الطالباني احتلت أربيل ومسعود البارزاني استعان بقوات صدام لاسترجاعها. ثم أين الانتخابات في هذه «الأحزاب»؟ هم عبارة عن ميليشيات مثل تلك التي كانت في لبنان، واحدة يرأسها جلال الطالباني وأخرى مسعود البارزاني، ولا يوجد انتخابات أو غيره، وهم بحاجة إلى ديمقراطية حقيقية مثل بقية العراق.

■ ***يمكن أن يكون السواد الأعظم من الأكراد غير موافق على هذا؟***

حسيب: أنا أعتقد أنه لا يجب أن يُنْظَرَ إلى إخواننا الأكراد، الذين نعتز بهم، من خلال مسعود البارزاني وجلال الطالباني. يجب أن يعطوا فرصة حتى ينتجوا قياداتهم، ولا يمكن «لمجلس حكم معين» أن يقرر مستقبل دستور العراق، ويدع أقلية تقرر مستقبل الأغلبية. هذه عملية يجب أن تتم بالتوافق.

■ ***كيف يتوافق الأكثرية بمجلس الحكم على أن يكون الشعب العربي في العراق جزءاً من الأمة العربية، وهناك طعن في عروبة العراق؟ هناك ممثلون داخل مجلس الحكم لهم تاريخهم النضالي ووجودهم على الأرض ولهم حيثياتهم، وما كان من المفترض أن يقبلوا بتمرير هذا الأمر.***

حسيب: في العشرينيات، بدأ الإنكليز في تطبيق العملية نفسها: في كل وزارة مستشار، والمستشار هو الوزير الحقيقي، والأمر نفسه الآن في ما يسمى بالوزارات العراقية والمستشار هو المقرر النهائي وليس الوزير. وقد أوحت هذه الظاهرة لشاعر عراقي في حينه بقصيدة يَرِدُ فيها البيت الشعري التالي:

المستشار هو الذي شرب الطِّلا　　　فعلامَ يا هذا الوزير تعربدُ

■ ***في ما تبقى لدينا من وقت دكتور، ما زال لدينا بعض المواضيع، موضوع تعذيب الأسرى والسجناء العراقيين الذي قوبِلَ بموجة استنكار عالمية واسعة وحتى داخل الولايات المتحدة الأمريكية، الضجة ما زالت قائمة ولم تهدأ بعد وهناك مطالبات باستقالة وزير الدفاع رامسفيلد وتحميله مسؤولية ما حصل، لأنه كان أمامه تقرير منذ خمسة أشهر ووضعه في الدرج ولم يُطْلِعْ عليه أحداً. وهناك رؤوس حسب ما تقول الصحافة الأمريكية يجب أن تطير مقابل هذه القنابل التي انفجرت في وجه بوش، وبخاصة أن الصحف الأمريكية تحمل رامسفيلد المسؤولية عن ذلك.***

حسيب: التقرير الذي كشف هذه الفضائح هو تقرير أعده الـ «Major General» أنطونيو تاغوبا. هذا التقرير نشر أمس (في ٥/ ٥) في ٥٣ صفحة. التقرير تم إعداده في شهر شباط/ فبراير، وبدأ في كانون الثاني/ يناير، وقبله كان هناك تقرير آخر يشير إليه. المضمون لا يعترف فقط بالانتهاكات والتعذيب الذي حدث ويعدد الحالات، يذكر كذلك الحالات التي تقدم بها أشخاص عراقيون معتقلون قدموا شهادات ومعلومات حولها يعتقد التقرير أنها صحيحة. ثم يذكر أنواع هذه الأشياء التي قاموا بها: مجموعة الانتهاكات الصارخة داخل أبو غريب والتي ارتكبتْها عناصر الشرطة العسكرية الأمريكية ومن بينها تصوير معتقلين رجالاً ونساءً بالفيديو والكاميرا وهم عراة، وإرغام معتقلين ذكور على ارتداء ألبسة نسائية داخلية، وتطويق رقاب ذكور معتقلين بجنزير كلب والتقاط صور فوتوغرافية معهم، وإقدام عناصر من الشرطة العسكرية على ممارسة الجنس مع إحدى المعتقلات، وهو انتهاك خطير لم تذكره وسائل الإعلام الأمريكية، ويتجاوز الانتهاكات التي يعدها تقرير المعتقلين الأحياء لتشمل موتاهم إذ خلص إلى أن جنوداً أمريكيين صوروا جثث المعتقلين العراقيين. كما أكد التقرير أن هؤلاء العناصر تلقوا مديحاً من رؤسائهم لإقدامهم على هذه الأعمال، وذكروا أنهم حصلوا على إشادة منهم. هناك ١٣ حالة من انتهاكات التعذيب يشير إليها التقرير، ويذكر بعدها حوالى ١٣ شخصاً من تسلسل القيادات مسؤولين عن الأعمال التي تمت ويوصي بعقوبات مختلفة عليهم.

■ ***ألا تعتقد أنه كان يجب أن تأخذ هذه القضية أبعاداً أكثر أهمية بالنسبة إلى العرب والعراقيين، أليست هذه تعتبر جرائم حرب؟***

حسيب: هذه جرائم حرب. وكانت المعلومات متاحة أواخر السنة الماضية، وهذا التقرير هو تحقيق ثانٍ بناء على تحقيق أولي.

■ ***هل يستطيع العراقيون أن يطالبوا الآن بمحاكمة دولية؟***

حسيب: مَنْ مِنَ العراقيين يقوم بذلك؟ هل الذين في «مجلس الحكم»؟

■ ***أنا قرأت أن أفراداً عراقيين متضررين يمكن أن يقدموا دعوةً إلى المحكمة الجنائية.***

حسيب: هناك ١٢ شخصاً في لندن أقاموا دعوة. ولحسن الحظ أنه مهما قلنا عن الإدارة الأمريكية، هناك صحافة ووسائل إعلام عدد منها مستقل ومؤسسات مستقلة. بعد يومين (بعد ٥/ ٥ بيومين) سيبدأ استجوابٌ في الكونغرس حول ما حدث، لجنة خاصة بالقوات المسلحة وستظهر كل الفضائح.

■ ***اليوم ٥/ ٥ «الواشنطن بوست» نشرت المزيد من الصور.***

حسيب: «**الواشنطن بوست**» و«**نيويورك تايمز**».

■ ***يبدو أن هذه سياسة، كانت هذه هي القاعدة، وعدم التعذيب هو الشاذ.***

حسيب: **الواشنطن بوست** و**نيويورك تايمز** و**لوس أنجيلوس تايمز** تقول أمس إن بوش أَنَّبَ رامسفيلد لأنه لم يخبره بما حدث. وهناك تقريران أحدهما نشره روبرت فيسك في الـ *Independent* يوم أمس (٥/ ٥). التقرير الأمريكي يقول إن هذه ليست غريبة على المجتمع الأمريكي، بغض النظر عن بوش والتزامه بالدين.. إلخ، لكن المجتمع الأمريكي من أكثر مجتمعات العالم استهلاكاً للصور الخلاعية في الفيديو والانترنت، وهو أكثر بلد فيه شذوذ جنسي، والتقرير يذكر نوعية الوسط الذي قَدِمَ منه هؤلاء المتطوعون، والحياة التي تَعَوَّدوا عليها، ولذلك فإنه ليست غريبة عنهم هذه الأعمال.

روبرت فيسك في الـ *Independent* يوم أمس (٥/ ٥) يقول كذلك هذه «Lancashire Regiment» التي قامت بهذه الأعمال، يتحدث عن تاريخها وعن أعمال مجيدة قامت بها في تاريخها وكذلك عن أعمال مشينة قامت بها من هذا النوع، وبالتالي هو لا يعتقد أن القضية هي فقط حالات استثنائية خاصة، طبعاً هذه وجهة نظر. هذا التقرير الذي نشر يوم أمس فيه استجواب وشهادات لحوالى ٣٠ فرداً من السجناء. للأسف الشديد هناك تقرير **بالواشنطن بوست** وتقرير آخر اليوم (٥/ ٥) في جريدة **الزمان** يشيران إلى أن بعض المحققين في سجن أبو غريب لم يكونوا أمريكيين، بل كانوا من نظام عربي مجاور.

■ ***لماذا يستعينون بهم؟***

حسيب: لا أدري، ولقد شاركوا في عملية التعذيب، هذا ما يقال. وأنا أتمنى أن توضح الحكومة المعنية هذا الأمر، لأن استقرار هذا الكلام في ذهن العراقيين ستكون له نتائج وخيمة.

■ ***لهذا، البعض يتساءل لماذا أحجمت الولايات المتحدة الأمريكية عن الدخول في المحكمة الجنائية الدولية، ألأنها لا تريد أن تعرض قواتها المسلحة للمساءلة بجرائم الحرب؟***

حسيب: روبرت فيسك يذكر اليوم (٦/ ٥) في تقريره أنه كانت هناك سيارة فيها أشخاص، تم قصفها بالطائرة، فقتل اثنان والثالث كان مجروحاً على الأرض، والهليوكوبتر فيها فيديو يصور مع الصوت كل التفاصيل من أول العملية إلى آخرها. فكان الطيار يسأل القيادة ماذا نعمل بهذا الجريح الذي يزحف، فقيل له إضربه هو والسيارة. وهذا ممنوع وفقاً لاتفاقية جنيف. هذه هي الديمقراطية الأمريكية.

■ ***في موضوع العلم العراقي الذي أثار جدلاً واسعاً حول ألوانه ومغازي الأفكار التي فيه: البعض منتقد، البعض موافق، البعض يعتبر أنه لا يحمل أي قيم عراقية ولا حضارة عراقية. والبعض قال إنه يشبه العلم الاسرائيلي إلى آخر هذا الجدل. وهناك تظاهرات خرجت. ألا تعتقد أنه كان من الأسلم أن يكون موضوع رسم العلم العراقي بعناوينه ومضامينه من حكومة شرعية منتخبة تتحمل هي هذا الموضوع.***

حسيب: هذا صحيح. لماذا الإسراع في هذا الأمر؟ وحتى إذا أرادوا أن يضعوا علماً، ومع أنهم مجلس غير شرعي، كان عليهم أن يعلنوا عن مسابقة، وأن يراعوا أن العلم العراقي، وأعلام عدد من الدول العربية، مأخوذ من علم الثورة العربية، وألوانه استمرت دون تغيير، والنظام السابق اكتفى بأن أضاف إليه كلمة الله أكبر. إن بلداً فيه ٩٥ بالمئة مسلمون، ٨٠ بالمئة عرب يجب أن يعكس عَلَمُهُ تاريخَه وميراثَه. وبالتالي لا العراق ولا العلم ملك لنظام معين.

■ ***كنت تفضل إذاً أن يبقى العلم كما هو؟***

حسيب: أن يبقى كما هو إلى حين أن تأتي حكومة جديدة منتخبة من مجلس منتخب.

■ ***هل من الضروري تغيير العلم؟***

حسيب: لا حاجة إلى تغيير العلم. ورئيس اللجنة الذي اختار العلم، والذي أعد أخوه العلم، يقول إننا لم نقم بإعلان الأمر، والإعلان الوحيد ظهر في جريدة الاحتلال التي اسمها **الصباح**، كما طلبنا من أعضاء مجلس الحكم أن كل من يعرف فناناً يدعوه إلى المشاركة.

■ ***في نهاية هذه الحلقة، دعني أسألك ونختم، لا أدري إذا كان لديك قدر من التفاؤل . . هل تكون نهاية حزيران/ يونيو المقبل بداية مرحلة جديدة لولادة عراق جديد ديمقراطي، أم ستكون مرحلة من الآلام أو المزيد من الآلام التي يعيشها العراق والشعب العراقي؟***

حسيب: الأخ عرفات، أنا من المقتنعين أن مصير العراق والأمة العربية ودول الجوار غير العربية، والنظام العالمي يتوقف على ما يحدث في العراق، وأن هذه السنة ستكون حاسمة للعراق وللمنطقة والعالم. هذه السنة سنة انتخابية. ما لم يسقط بوش سنمر بمحنة طويلة وقد نرجع إلى نهاية الحرب العالمية الأولى. ونجاح بوش أو سقوطه يعتمد على عاملين أساسيين، **الأول** ما يحدث في العراق والمقاومة بشكل أساسي: والتي ستجبره على الانسحاب من العراق. و**الثاني** ما يحدث داخل أمريكا نفسها، في أمريكا كان العامل الاقتصادي هو الذي يقرّر، أما الآن، فقد دخلت السياسة. في كتاب بوب وودورد *Plan of Attack* كشف الكاتب أشياء كثيرة، والكتاب لم يصدر إلا منذ أسبوعين فقط، وسيحتاج إلى وقت حتى تأخذ المعطيات الواردة فيه دورها. والكتاب المهم كذلك لريتشارد كلارك بعنوان *Against All Enemies* الذي كان مسؤولاً عن حرب الإرهاب في الإدارة الأمريكية الحالية وقد استقال احتجاجاً. وبوب وودورد لديه كتاب سابق اسمه *Bush At War*، وهناك كتاب سابق صدر أيضاً اسمه *Weapons of Mass Deception*، يبيّن كيف أن شركات العلاقات العامة استُخدمت في الحرب وما إلى ذلك من الفضائح. وأنا أتمنى عليكم أن تهتموا إعلامياً بهذه الكتب الأخيرة، وبخاصة كتاب وودورد الأخير وريتشارد كلارك وقبله كتاب أونيل الذي كان وزيراً للخزانة، وأن تُعِدّوا حلقة تستضيفون فيها شخصين اثنين أو ثلاثة لمناقشتها. وأنا من خلال الـ NBN أوجه دعوة لكل وسائل الإعلام العربية أن تهتم بتلخيص ونشر مراجعات لهذه الكتب حتى تعلم الشعوب العربية حقيقة ما تقوم به أنظمتها، وما يحصل في العالم.

■ ***شكراً جزيلاً د. خير الدين حسيب، وشكراً لمتابعتكم وإلى اللقاء.***

(٨)
حول الوضع العراقي الراهن وبعض قضايا المستقبل(*)

● الحكومة العراقية الانتقالية امتداد لما كان يسمى سلطة الائتلاف أو حكم الاحتلال، والطريقة التي تم بها اختيار هذه الحكومة تشير إلى ذلك.

● يقولون إن هذه الحكومة تمثل كل الأطراف الرئيسية: إذاً أين الأحزاب القومية؟ أين التيار اليساري؟ أين التيار الإسلامي العروبي؟ أين تيار مقتدى الصدر؟..

● العراقي يُحكم عليه ــ سواء أكان في داخل العراق أم في خارجه ــ من خلال موقفه السياسي والوطني..

● يجب أن تقتنع قوات الاحتلال الأمريكية أنها المشكلة وليست الحل، وأن المقاومة كانت نتيجة للاحتلال، وأن الاحتلال لن يكون قادراً على تحقيق الأمن داخل العراق، وأن عليه أن يسلم الجانب السياسي والأمني للأمم المتحدة.

● لا بد من إشراف عربي ودولي على الانتخابات في العراق.

● أعتقد أن المقاومة ستستمر في العراق، وستتوسع أفقياً ونوعياً.

● الشعب العراقي وحده له الحق في أن يقرر محاكمة صدام حسين أو غيره من خلال المجلس الوطني.

● دور إخواننا العرب الأمريكيين يجب أن يكون حاسماً في الانتخابات.. أرجو أن ينظروا إلى أن عدم التجديد لبوش ينقذ المنطقة العربية والأمة العربية من دمار محتّم.

(*) لقاء خاص مع الدكتور خير الدين حسيب أجراه الدكتور محمد الهاشمي الحامدي لقناة **المستقلة** بتاريخ ٩/ ٧/ ٢٠٠٤، ونشرت في: **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٦ (آب/ أغسطس ٢٠٠٤)، ص ٦ ـ ٣٩.

■ *بسم الله الرحمن الرحيم، أيها المشاهدون الكرام، في الموصل، وفي بغداد، وفي أربيل، وفي الناصرية، وفي أم قصر، وفي كركوك، وفي الفلّوجة، وفي النجف، وفي كربلاء، وفي الأنبار، وفي كل ركن وناحية من أنحاء العراق، وفي نواكشوط وفي داكار وفي أديس أبابا وفي جوبة وفاس وفي صعدة وصنعاء وتعز وفي العين وفي العيون وفي كل أنحاء العالم، أرحب بكم إلى سهرة الليلة على قناة «المستقلة».*

أهلاً وسهلاً بكم جميعاً، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، ومرحباً إلى سهرة صريحة أخرى من السهرات التي نغطي فيها الملف العراقي ونستمع فيها إلى، ونحاور فيها ممثلين لأبرز الاتجاهات الفكرية والسياسية المعنية بالشأن العراقي خاصة من بين العراقيين. الحوار يدور في قناة «المستقلة» بحرية، هذه القناة التي تطمح إلى أن تكون كما هي بعض شعاراتها منبر الحوار الديمقراطي في الفكر والتاريخ والسياسة وبرلمان المشاهدين العرب الحر المفتوح الذي يدور الحوار فيه بعيداً عن مقص الرقابة، وقناة حوار الأديان، وقناة الحوار بين الثقافات والحضارات. ضيف السهرة لهذه الليلة كما تم الإعلان عنه منذ عدة أيام هو المفكر والسياسي والكاتب العراقي المعروف الدكتور خير الدين حسيب. سبق أن استضفناه في قناة «المستقلة»، يعرفه المهتمون بالعمل العربي العام خاصة بالعمل الفكري العربي من خلال إدارته لأهم مؤسسة بحثية فكرية في الساحة العربية خلال العقود الثلاثة الماضية أعني مركز دراسات الوحدة العربية. يعرفه المتابعون للمؤتمر القومي العربي ونشاطه لأنه هو المؤسس الأبرز للمؤتمر القومي العربي والأمين العام الأول لهذا المؤتمر؛ ويعرفه أيضاً المعنيون بنشاط المؤتمر القومي ـ الإسلامي لأنه أيضاً قاد عملية تأسيس هذا اللقاء الفكري بين التيارين القومي والإسلامي؛ ويعرفه قراء مجلة «المستقبل العربي» التي تصدر منذ ستة وعشرين عاماً عن مركز دراسات الوحدة العربية باعتباره رئيس تحريرها؛ ويعرفه العراقيون أيضاً ككاتب وكأحد أبناء العراق ونخبته، وكمسؤول سابق أيضاً في الستينيات قبل أن يُعتقل في العراق ويغادره ويستقر في بيروت منذ ثلاثين عاماً. ويركز جهده الكامل على العمل في مركز دراسات الوحدة العربية، وثم في المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي. الحوار سيأتيكم على الهواء مباشرة وإن شاء الله بعد أن نستمع إلى آراء الدكتور خير الدين حسيب في أهم معطيات الوضع العراقي الجديد، مشاهدينا الكرام، سوف ندير الحوار بينكم وبينه، حيث نستقبل مكالماتكم للتعليق على ما قال، ولطرح الأسئلة عليه على أرقام الهاتف والفاكس التي تظهر أمامكم على الشاشة. فأهلاً بكم إلى سهرة الليلة على قناة «المستقلة».

■ *د. خير الدين حسيب الحمد الله على السلامة ومرحباً بك.*

حسيب: أهلاً بك.

الحكومة الانتقالية

■ *د. خير الدين حسيب منذ التقينا آخر مرة في تلك الفترة كانت أمور الحكم في يد السيد بول بريمر السفير الأمريكي، وفي الحقيقة المندوب السامي الأمريكي إذا جاز التعبير، في العراق آنذاك. في ٢٨ حزيران/ يونيو الماضي، يعني يومين أو ثلاثة قبل الموعد المقرر، سلم بول بريمر برسالة قضائية ورسمية السلطة والسيادة للحكومة العراقية الجديدة التي يرأسها السيد أياد علاوي. ما هو موقفك من الحكومة الجديدة في العراق؟ هل ترحب بها؟ هل ترى أن السلطة والسيادة عادت إلى العراق؟ هذا هو المحور الأول الذي نريد أن نبدأ منه الحوار، فتفضل.*

حسيب: شكراً الأخ الحامدي على هذه الدعوة وعلى هذه المقدمة. في ما يتعلق بما يسمى الحكومة العراقية الانتقالية، أنا أعتقد أنها امتداد لما كان يسمى سلطة الائتلاف أو حكم الاحتلال. الطريقة التي تم بها اختيار هذه الحكومة ومواصفات الوزراء الموجودين فيها - معظمهم على الأقل - تشير إلى ذلك. وخلافاً لما ذكره الأخ الأخضر الابراهيمي في تقريره المقدم إلى مجلس الأمن حول كيفية تشكيل هذه الحكومة، وسأتطرق فيما بعد إلى ما قاله في هذا الموضوع. الحكومة هذه حكومة ظل لقوات الاحتلال. رئيس الحكومة ـ وكما أشارت تعليقات جميع وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة والمسموعة ـ على علاقة بالمخابرات المركزية الأمريكية ومعها المخابرات البريطانية (MI6) وذهبت **نيويورك تايمز** إلى حد القول إنه تم تجنيده منذ العام ١٩٩٢ من قبل السي آي إي وهو على قائمة الذين تُدْفَع لهم الرواتب من المتعاملين مع تلك المخابرات.

■ *طبعاً هذا حديث لـ «نيويورك تايمز». وهي ربما قد تكون أيضاً تقصد الإساءة إلى الحاكم الجديد.*

حسيب: هناك شبه إجماع في وسائل الإعلام في مختلف اتجاهاتها على هذه المعلومات. والأغرب من هذا والمفجع أكثر أن رئيس هذه الحكومة المؤقتة اعترف بعلاقته مع السي آي إي ومع المخابرات البريطانية وعدد آخر لا أذكره من أجهزة المخابرات التي تحدث عنها.

■ *هل هذا كلامه هو؟*

حسيب: نعم، هذا كلامه هو.

■ *ربما كان يقصد أنه تعاون مع دول أجنبية لتغيير الأوضاع في العراق لخدمة وطنه.*

حسيب: علاقات رئيس الوزراء للحكومة المؤقتة أو ما يسمى بالحكومة المؤقتة

معروفة بين كل العراقيين، وبالتالي أنا أعتقد أن هذه حكومة ظل. أما إلى أي مدى تمثل الشعب العراقي، فيجيب عنه استطلاع للرأي قامت به سلطة الاحتلال، قبل حلّها شكلياً، حول عدد من القضايا من ضمنها سؤال عن الأشخاص المفضلين لدى المُسْتَطْلَعَة آراؤُهم ومدى ما يتمتعون به من ثقة لدى الشعب العراقي، وعن الأحزاب السياسية الموجودة في العراق. وهذا الإحصاء قامت به سلطة الاحتلال، وبالتالي إذا كان هناك من تزوير في النتائج، فيجب أن يكون تزويراً لصالح سلطة الاحتلال أو للذين تعيِّنُهم. ومع ذلك، أشارت نتائج استطلاع سلطة الاحتلال إلى أن نسبة الذين يؤيدون رئيس الوزراء الجديد هي ٢,٢ بالمئة. سُئلوا كذلك عن الحزب الذي تمثله (حركة الوفاق الوطني)، وكانت النتيجة ٢,٢ بالمئة. وهذا هو الذي كان على الأخ الأخضر الإبراهيمي أن يعرفه أو أن تكون سلطة الاحتلال قد أطلعته عليه. فليس من حقه أن يقول في تقريره إلى مجلس الأمن إن أياد علاوي جاء بتأييد أغلبية الشعب العراقي. وللمعلومات، فإن جميع أعضاء «مجلس الحكم الانتقالي» حصلوا على نسبة تأييد تتراوح بين صفر و٨ بالمئة كحد أقصى.

■ ***يعني من تأييد أبناء الشعب العراقي، أو العينة التي تم استطلاعها؟***

حسيب: من الاستطلاع الذي قامت به سلطة الاحتلال، وهناك استطلاعات أخرى. سلطة الاحتلال هذه في الاستطلاع الذي قامت به تقول إن ٩٢ بالمئة يعتقدون أن القوات الأمريكية قوات محتلة، وهناك ٥٥ بالمئة ممن يشعرون أكثر أمناً إذا تركت القوات الأمريكية فوراً. كما أن ٤١ بالمئة ذكروا أن على الأمريكيين أن يتركوا فوراً[١]. ضِفْ إلى ذلك أن ١٨ وزيراً من الوزارة كانوا في أمريكا، ومعظمهم جاء مع قوات الاحتلال، ويدينون بولائهم لقوات الاحتلال أولاً. والأخ الأخضر الإبراهيمي

---

(١) انظر: John Solomon, «Poll of Iraqis Reveals Anger Toward US,» Associated Press, 15/6/2004. <http://www.commondreams.org/cgi-bin/print.cgi?file=/headlines04/0615-08.htm>; «Iraqis' Opinions On U. S. 'Grim',» *Washington Times*, 17/6/2004, p. 1; «Public Opinion in Iraq: First Poll Following Abu Ghraib Revelations, Baghdad, Basrah, Mosul, Hillah, Diwaniyah, Baqubah, 14-23 May 2004,» <http://wid.ap.org/documents/iraq/cpapoll_files/slide0030.htm>, and «While Ambivalent About the War, Most Iraqis Report a Better Life,» an ABC News Poll: Iraq - Where Things Stand. Available at: <http//www.cpa-iraq.org/government/polling.html>.

لقد تم هذا الاستطلاع للرأي العام المشار إليه في المصادر الثلاثة الأولى المشار إليها من قبل «سلطة الائتلاف المؤقت» وشمل ست مدن هي: بغداد البصرة الموصل الحلة الديوانية وبعقوبة (خلال الفترة ما بين ١٤ ـ ٢٣ أيار/مايو ٢٠٠٤)، وذلك من خلال لقاءات مباشرة للمستجوبين في هذه المدن الست والذي يقول التقرير إنها تمثل الفئات المختلفة في القطر. وأن نسبة الخطأ في النتائج هي حوالى ٤ بالمئة. وتشير هذه التقارير أيضاً إلى أن ٧١ بالمئة من المستجوبين ذكروا بأنهم قد فوجئوا بالصور المذلة وبقصص إساءة المعاملة من قبل الأمريكيين، وأن ٥٤ بالمئة ذكروا بأنهم يعتقدون أن جميع الأمريكيين يتصرفون مثل الحراس في أبو غريب. =

في تقريره إلى مجلس الأمن، المنشور في عدد تموز/يوليو من **المستقبل العربي** مع قرار مجلس الأمن(٢)، يتحدث عن كفاءة أغلبية الوزراء! ليت الأخ الأخضر الإبراهيمي يخبرنا ما هي كفاءات وزراء هذه الحكومة، وما مدى التناسب بين مسؤوليات بعض الوزراء واختصاصاتهم، ثم ما المؤهلات التي تؤهل بعض هؤلاء لاستلام وزارات السيادة؟ لا أريد أن أتكلم أكثر من هذا على هذه الحكومة التي جاءت لإقامة الديمقراطية في العراق واضطرت بعد أيام قليلة إلى إعلان ما سُميّ «**قانون السلامة الوطنية**» وهو في الحقيقة ما نسميه نحن في العراق **الأحكام العرفية**، إذ أصدروا «قانون السلامة الوطنية» وفيه كل مَقَابح الأحكام العرفية التي عاشها العراق وشاهدها في فترات مختلفة، والتي مارستها وتمارسها سلطات الاحتلال: أعني التوقيف بدون قرار من المحكمة، والسجن لمدة غير محدودة وغيرها مما يتعارض مع حقوق الإنسان والديمقراطية التي يتشدقون بها، وكل هذه الأشياء المشار إليها في هذا القانون الجديد كانت ولا تزال تمارس فعلاً من قبل قوات الاحتلال.

■ ***لو استعرت عبارة حكومة ظل، واعتبرتها ملخصاً لوصفك هذه الحكومة، وأردت أن أجادلك بأن أعرض عليك وجهة نظر مؤيدي الحكومة، ماذا تقول أو بماذا تجيب إذا لاحظت أن الحكومة هذه، كما يقول أنصارها، تتمثل فيها تيارات سياسية متعددة من التيارات العراقية، فيها «حزب الدعوة»، وفيها «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية»، وفيها «الحزب الإسلامي» (وهو تنظيم تابع إلى «الإخوان المسلمين») و«الحزب الشيوعي». وعليه، إذا كنت تلاحظ على وزرائها أنهم كانوا يعيشون في الخارج، فإن شخصيات من النخبة العراقية كثيرة كانت تعيش في الخارج ومنهم الدكتور خير الدين حسيب نفسه.***

حسيب: الإنسان يُحْكَمُ عليه سواء كان في الداخل أو في الخارج من خلال موقفه السياسي والوطني. وأنا لا ألوم الناس الذين اضطرتهم ظروفهم الأمنية أو المعيشية إلى أن يلجأوا إلى الخارج، ولكن ولاء هؤلاء لمن؟ «مجلس الحكم» الذي تتحدث عنه مر بامتحانات مختلفة ولم يعترض على أي من المجازر التي قامت بها قوات الاحتلال. هل اعترض على ما حدث في سجن «أبو غريب» مثلاً؟

= كما أشار الاستطلاع إلى أن ٨١ بالمئة من العراقيين قد تكوّن لديهم انطباع أفضل عن السيد مقتدى الصدر عما كان عليه انطباعهم قبل ثلاثة أشهر، وأن ٦٤ بالمئة ذكروا أن أعمال مقاومة أتباعه قد جعلت العراق متحداً أكثر.

(٢) انظر كذلك مقابلة السيد الأخضر الإبراهيمي مع الآنسة راغدة درغام والمنشورة في جريدة **الحياة** بتاريخ ٣٠/٦/٢٠٠٤، ص ١٥، فيها أشار في جواب عن سؤال من راغدة درغام أنه «على المقاومة العراقية إعادة النظر في عملها فور نقل السلطة»!!

■ ***ندد بعد أن ظهرت الأخبار على ما أظن.***

حسيب: أنا لم أطلع على هذا، قد يكون قد حدث ذلك.

■ ***لكن صحيح أنه لم يَسْتَقِلْ أحدٌ بعد ظهور فضيحة أبو غريب إلا وزير حقوق الإنسان بعد فترة، ويبدو أنه قدم مطالب ولم يُسْتَجَبْ لها فاستقال.***

حسيب: دعني أعطك نموذجاً من تصرف أحد أعضاء «مجلس الحكم».

■ ***إذا أمكن من دون تسميته.***

حسيب: أنا لن أسميه، وهو حصل على ثناء كبير من الأخ الأخضر الإبراهيمي في تقريره. الوزارة السابقة تمت تسميتها من قبل أعضاء «مجلس الحكم» وبموافقة «سلطة الاحتلال». أحد هؤلاء الأشخاص من أعضاء «مجلس الحكم» وهو رئيس حزب، وفي مقابلاته وندواته يعطي الانطباع الإيجابي والجيد، رَشَّحَ شخصاً لإحدى الوزارات، والمعلومات التي سأقولها الآن نقلاً عن وزير حالي في الحكومة المؤقتة الحالية وفي كلام مباشر إلى صديق التقى به مؤخراً. يقول صاحب الإفادة إن هذا الوزير الذي عُين، عَيَّنَ وكيلَ وزارةٍ في الوزارة التي عهدت إليه وليس لديه سوى شهادة جامعية أولية في المحاسبة ولم يمارس عملاً إدارياً، وكان معظم وقته في السجن أو في الخارج إلخ. . ويقول الوزير الحالي إن ذلك الوزير عَيَّنَ ثمانية مدراء عامين لوزارته كانت أعلى مؤهلاتٍ لأي واحد منهم هي الشهادة الثانوية، وهناك من بينهم من هو خريج ابتدائية وخريج متوسطة. هذا ناهيك عن بقية الوزارات، والتي تم مَلْءُ معظم الوظائف فيها من الموالين وغالباً بغض النظر عن الكفاءات. وعندما جاءوا إلى تعيين وكلاء وزراء، كان هناك حوالى ٨٣ وكيل وزارة مرشح. هناك من رشح ابنه أو أخاه أو قريبه أو موالياً له. ثمة وزارات تحتاج إلى أكثر من وكيل وزارة، لكن بعضها الآخر لا يحتاج إلى أكثر من وكيل. ومع ذلك تم تعيين أكثر من وكيل للوزارات والتي فيها الآن خمسة وأربعة وحتى ثمانية وكلاء وزارة وهكذا!

■ ***هذه إذاً ليست مشكلة لقوات الاحتلال، هذه مشكلة بعض العراقيين مثلاً.***

حسيب: لم يكن في وسع «مجلس الحكم» اتخاذ قرار تعيين وكيل وزارة إلا بموافقة سلطات الاحتلال، وكان هناك مستشار أمريكي أو أكثر في كل وزارة وهو الذي كان من يوافق على ترشيح الوزير. وكانت سلطة الاحتلال تتساهل معهم في أمور ثانوية، من أجل تمرير القضايا الرئيسية بدون اعتراض منهم.

■ *أنت في الواقع الآن ذكرت وزيراً في الوزارة السابقة، وهو ربما يسمعنا ويمكن أن تكون له مبررات.*

حسيب: أنا شخصياً لا أعرف اسمه ولا أعرفه شخصياً، ولكن هذه المعلومات هي من وزير حالي في الحكومة.

■ *قد يكون الوزير الحالي من حزب آخر ويريد أن يكيد لذلك الوزير الذي ربما اجتهد في اختيار أفضل المتاح، وربما كانت هناك معلومات أخرى. لكنك لم تجبني عن النقطة الرئيسة: هذه الحكومة تتمثل فيها الأحزاب العراقية المشهورة، وحتى قوات الاحتلال عندما أرادت تسليم السلطة للحكومة اختارت أن تسلّمها منطقياً لائتلاف حزبي. ما هو البديل إذا لم تسلمها لائتلاف حزبي؟*

أودّ أن أذكّركم. مشاهدينا الكرام أننا نتابع الآن ونستضيف اليوم في سهرة الليلة على قناة «المستقلة» الوجه العراقي والقومي العربي المعروف الدكتور خير الدين حسيب ونستمع إلى آرائِه. بدأنا بسؤاله عن الحكومة العراقية، وسوف نسأله عن تعليقه على محاكمة الرئيس العراقي السابق صدام حسين، وعن المقاومة في العراق والفرق بينها وبين الإرهاب، وعن الأكراد، وعن الجيش العراقي الجديد، عن التعويضات، عن العلاقة العراقية الكويتية، وعلاقة العراق الجديد بدول الجوار، ونسأله عن الانتخابات الأمريكية المقبلة وأثر المعطى العراقي في مسار الانتخابات. الذين يتابعون معنا هذا اللقاء موعودون بحوار صريح في هذه الملفات كلها مع أنني أذكر أننا سنفتح بعد الاستماع إلى آراء الدكتور خير الدين حسيب الهاتف للمشاهدين ليسألوهُ مباشرة وليحاوروه أيضاً في ما قال. إذاً بالنسبة إلى قولي إن هذه الحكومة ائتلافية ما هو ردك على هذا؟

حسيب: سبق أن أشرت لك أن استطلاع الرأي العام العراقي الذي قامت به سلطة الاحتلال أشار إلى أن أعضاء مجلس الحكم جميعاً حصلوا على ما بين أقل من واحد إلى ٨ بالمئة من تأييد العراقيين، فأي تأييد شعبي لهذه الأحزاب تتكلم عنه؟ هذه ليست حكومة أحزاب مؤتلفة. هناك أكثر من حزب يحمل اليوم اسم «حزب الدعوة». وهذا حال «الحزب الشيوعي» حيث هناك أكثر من حزب شيوعي منها «الحزب الشيوعي ـ الكادر» وكذلك «الحزب الشيوعي ـ القيادة المركزية» وهما يتخذان خطاً وطنياً ضد الاحتلال وكل ما ترتب عليه. و«الحزب الإسلامي» الذي يرأسه محسن عبد الحميد، ويشارك في الحكومة كما شارك في «مجلس الحكم»، يعيش صراعاً داخلياً حول سياساته. أما «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية»، فهو

يعاني سكرات الموت على ما أعتقد، وهو أُنشئ أساساً عام ١٩٨٠ بعد لجوء المرحوم محمد باقر الحكيم إلى إيران. أما بعد وفاته، فأعتقد إنه ضَعُفَ كثيراً، وخاصة بعد ذهاب مقتدى الصدر إلى النجف وكربلاء والكوفة، وتعبئة الجوّ الشيعي الجنوبي ضد الاحتلال وضد سياسات التعاون معه. تقول أنت إن الحكومة هذه تمثل كل الأطراف الرئيسية، فهل هذا هو ما تشير إليه نتائج استطلاع الرأي العام العراقي الذي قامت به سلطة الاحتلال؟ أين الأحزاب القومية؟ أين التيار اليساري؟ أين التيار الإسلامي العروبي؟ أين تيار مقتدى الصدر؟ مقتدى الصدر قد لا تكون قوته الأساسية في النجف وكربلاء والكوفة، وإنما في بغداد، في مدينة الصدر التي يقال إن عدد سكانها مليونان، ولسبب أو لآخر يقفون وراء خطه السياسي. في بغداد هناك منطقة اسمها «الحرية» ومنطقة اسمها «الشعلة»، أهلها أساساً جاءوا من ريف الجنوب وكوَّنوا حزام فقر حول بغداد، وفي زمن عبد الكريم قاسم تم بناء هذه المدينة، وتم شق مجرى نهري فرعي اسمه «قناة الجيش» وتم نقلهم إلى هذه المدينة. فقطاعات كبيرة من الناس ضد الحكومة وأعلنوا معارضتهم لها ولسياساتها. أما اعتزامها عقد اجتماع «عام» لاختيار «مجلس وطني» مؤقت (أي لوياجرغا عراقية) من ١٠٠٠ عضو، وتشكيل مجلس استشاري منه في حدود مائة عضو، فإن معظم القوى السياسية الوطنية رفضت المشاركة فيه، وأعلنت عن مقاطعته بما في ذلك مقتدى الصدر والمجلس التأسيسي الوطني العراقي.

خيار المقاومة

■ ***أنت ترى أن الحكومة لا تمثل. الآن ما هي الخيارات الأخرى؟ في الخيارات الأخرى هناك خيار المقاومة وقد تحدثتَ عنه في الحوار الماضي الذي أجريتُهُ معك قبل شهرين أو ثلاثة، هل ما زلت ترى أنه توجد مقاومة في العراق؟ وهذا هو المحور الثاني في حوارنا بعد الحكومة.***

حسيب: القضية ليست ما أعتقد أنا، القضية هي ما يحدث على الأرض.

■ ***كيف تقرأ ما يحدث على الأرض؟***

حسيب: في اليوم الذي أعلنت الوزارة المؤقتة قانون الأحكام العرفية (أي «قانون الدفاع عن السلامة الوطنية»)، تم هجومٌ للمقاومة في وضح النهار على مقر رئيس الوزراء وعلى مقر حزبه. عدد القتلى الذي يذاع لا يقول الأرقام الصحيحة، ومع ذلك، فما يُعْلَن يُبين مدى تزايد المقاومة. الطائرات الأمريكية المروحية (هيليوكوبتر) التي تسقطها المقاومة، والأهداف الثابتة والمتحركة للاحتلال التي

تقصفها المقاومة يومياً هي الدليل على ذلك. خذ التقارير الأمريكية على سبيل المثال عن معركة الفلّوجة. في البداية كانت تقول إن أغلبية المقاتلين عرب غير عراقيين. وعندما انتهت المعركة، اجتمعت القيادات في البنتاغون وأجرتْ تقييماً للحصيلة وقدمت تقريراً للرئيس بوش، والتقرير يقول إن عدد العرب غير العراقيين كان لا يزيد عن ٢ بالمئة [٣]، وأن المعركة في الفلوجة كانت تديرها، حسب تعبيرهم هم وليس تعبيري، هيئة أركان على مستوى عالٍ جداً من الكفاءة والقيادة، وأنه كلما غيَّر الأمريكان تكتيكاتهم، كانت هيئة القيادة تغير بشكل أفضل.

قبل يوم أو يومين في سامراء اعترفوا بمقتل خمسة من الأمريكيين وجرح عشرين. لا يمر يوم من دون عمليات مقاومة.

■ ***هناك من يرى أن أكثر الضحايا من عمليات العنف أو المقاومة ـ طبعاً حسب الجهة التي تتكلم ـ هم من العراقيين.***

حسيب: يجب أن نميز بين أمرين: المقاومة ضد الاحتلال والمتعاونين مع الاحتلال من العراقيين، وعمليات التفجير والاغتيالات التي تطال المدنيين، فهذه الأخيرة أعمال إرهابية وليست ضمن المقاومة. وأنا شخصياً أدين هذه الأعمال وأعتقد أن الذين يؤيدون المقاومة يدينون هذه العمليات، والمقاومة ليست مسؤولة عن هذا. نحن نعرف أن هناك مخابرات إسرائيلية («الموساد») موجودة في العراق، وهناك عمليات يقوم بها الاحتلال بالواسطة، وهناك قوى أخرى مجاورة تقوم بها حسب مصالحها. هذه لا يمكن تصنيفها، في رأيي، ضمن أعمال المقاومة. المقاومة هي التي

---

(٣) وقد ذكرت جريدة *USA Today* في عددها الصادر بتاريخ ٦/ ٧/ ٢٠٠٤ في مقالة كتبها الصحفيان بيتر إيسلر (Peter Eisler) وتوم سكويتيري (Tom Squitieri) وبعنوان «الأسرى الأجانب قليلون في العراق ودور «الجهاديين» في الحرب غير واضح»، أن المقاتلين المشكوك في أنهم أجانب يمثلون أقل من ٢ بالمئة من مجموع الـ ٥٧٠٠ أسير الذين تم احتجازهم على أنهم يمثلون أخطاراً أمنية في العراق، وأن هذا هو أحد المؤشرات القوية حتى الآن على أن العراقيين هم المسؤولون بدرجة كبيرة عن المقاومة العنيدة ضد الولايات المتحدة. وأضاف التقرير أنه منذ آب/ أغسطس الماضي فإن قوات التحالف قد أوقفت ١٧٧٠٠ شخص في العراق اعتبروا مقاتلين أعداء أو يمثلون خطراً أمنياً، وأن ٤٠٠ منهم كانوا مواطنين أجانب، حسب الأرقام التي زودت بها في الأسبوع الماضي القيادة العسكرية للولايات المتحدة المسؤولة عن عمليات الاعتقال في العراق. وأن أكثر هؤلاء المعتقلين تم إطلاق سراحهم بعد أن وجد مجلس المراجعة بأنهم لا يشكلون أخطاراً مهمة، وأن ٥٧٠٠ فقط بقوا قيد الاعتقال، وأن ٩٠ منهم فقط هم مواطنون أجانب. ويضيف التقرير أن هذه الأرقام تمثل أكثر التقديرات دقة حتى ذلك التاريخ حول تركيبة المقاومة، وتبين أن بعض موظفي الإدارة الأمريكية قد غالوا في تقديرهم دور المحاربين الأجانب، أو الجهاديين من البلدان العربية الأخرى. كما يبين التقرير أن هذه الأرقام تشير إلى أن العراق ليس جذاباً كثيراً للإرهابيين الأجانب، كما أكد بعض منتقدي الإدارة.

تتوجه إلى قوات الاحتلال أساساً والمتعاملين معها، والمقصود بعمليات الإرهاب هذه الإساءة إلى سمعة المقاومة وإضعاف التأييد الشعبي لها.

■ ***في كل الدنيا د. خير الدين حسيب إذا ظهرت مقاومة مسلحة يكون لها تعبير سياسي ما. حتى لو وقع تمرد عسكري غالباً ما يكون له وجه سياسي. مثلاً، مع أن المقارنة صعبة جداً، هناك تمرد في دارفور في غرب السودان وعمليات عسكرية، ولكن هناك أناس يفاوضون سياسياً. لكن أين الوجه السياسي لهذه الأعمال في العراق؟***

حسيب: أنا لا أدري إلى أي حد أنت مطلع على ما يصدر عن هذه الجهات المقاومة.

■ ***أنا أعرف أنه في بيروت وَقع اجتماع لهيئة شعبية لدعم العراق وأنه ربما شاركت فيه شخصيات عراقية ذات صفة سياسية. ولكن إلى الآن، وأنا متابع بشكل يومي للوضع في العراق، لا يوجد في حد علمي ما يمكن تفسيره بجناح سياسي لهذه المقاومة.***

حسيب: هناك قسمٌ من المقاومة أعلن في ٣ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣ المنهاج السياسي والاستراتيجي للمقاومة العراقية. وهناك «المقاومة الإسلامية الوطنية» التي أصدرت كذلك بياناً عن النشأة والدوافع والمرجعية والتنظيم والتطور والهيكل التنظيمي. . وهناك أيضاً «المقاومة الإسلامية» ولديها برنامج. وهناك مقاومة تصدر بياناتها باسم «المجلس الوطني الموحد للمقاومة العراقية»، وفي ١/ ٤/ ٢٠٠٤ صدر عنها بيان وبرنامج متكامل وتحت عنوان «الدعوة إلى الحكومة: المقاومة العراقية تعلن برنامجها السياسي: حكومة انتقالية لمدة عامين بعد طرد الاحتلال». وفيه تفاصيل كثيرة.

وكل هذه البيانات والبرامج أتلقاها بالبريد الإلكتروني ولا أعرف من هي الجهات التي ترسلها.

■ ***في الغالب هذه الجهات ترسل بالبريد الإلكتروني إلى كل وسائل الإعلام والمؤسسات.***

حسيب: لا أعرف، إلا أن هناك قسماً من المهتمين بالشأن العام وهم من الداخل في العراق غير مطلعين وغير عارفين بهذه التفاصيل. ولكن كل أطراف المقاومة متفقون على قضيتين: قضية «التحرير» وقضية «الديمقراطية». هذا هو البرنامج، وهناك تفاصيل تختلف بين طرف وآخر.

■ ***مع كل هذه الأسماء والبيانات التي أشرت إليها واستعرضتها، هل يوجد جهة تتمتع بمصداقية، يمكن للناس أن تلجأ إليها بشكل عام في العراق؟ إذا سألت أي مراقب في الشأن العراقي، هل تعرف أية جهة تنتمي إليها المقاومة، من الصعب أن تجد جواباً لسؤالك. فالأشخاص الذين أنشأوا المؤتمر التأسيسي، عقدوا مؤتمراً صحفياً ومن بعده لم يكن لهم صدى حقيقي.***

حسيب: من قال هذا؟ إذا كان هناك تعتيم إعلامي عليهم، فهل هذا يعني أنهم غير موجودين؛ على العكس هم يتوسعون وينشطون ويصدرون بيانات ويتخذون مواقف. هم يتألفون أساساً من قوميين وإسلاميين وطنيين. والأهم أنهم من مشارب ثقافية و«مذهبية» مختلفة، بحيث يتخطون أي انقسامٍ طائفي، ويَرُدُّون بائتلافهم على كل دعوات الحرب الأهلية الداخلية.

■ ***د. خير الدين حسيب نريد أن نتأكد من أن هذا الكلام ليس أمنيات، قد يكون هناك بعض القوميين يتمنى أن تكون هناك مقاومة تضم سنة وشيعة إلخ، فيخلط الأماني بالواقع.***

حسيب: البيان التأسيسي وبرنامج هذا المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي وأسماء الأمانة العامة منشورة في **المستقبل العربي**(٤). فكون بعض الناس لا يعرفون عن هذا شيئاً، فلأن هناك تعتيماً إعلامياً عليهم.

---

(٤) توضيحاً للذين لم تتح لهم فرصة الإطلاع على ذلك المصدر، فإن الاجتماع التأسيسي لِ «المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي» تم في بغداد يوم ٨/ ٥/ ٢٠٠٤ وضم الشخصيات العراقية المعارضة للاحتلال، وتشمل الإسلاميين، والقوميين العرب، والمستقلين. وقد اعتبر المجتمعون، على حد تصريح الدكتور حارث الضاري أن المهمة الأولى للمجتمعين كعراقيين هي **العمل على وحدة الشعب العراقي**، ومن ثم **العمل لإعطاء نهاية للاحتلال من خلال جميع الوسائل المشروعة**، انظر: BBC World Monitoring نقلاً عن وكالة AFP بتاريخ ٥/ ٣/ ٢٠٠٤.

كما جاء في البيان التأسيسي (للمؤتمر التأسيسي الوطني العراقي) أن الذرائع التي ساقتها قوى العدوان لاحتلال العراق، مثل نزع سلاح الدمار الشامل و«تحرير» الشعب العراقي من الديكتاتورية «ادِّعَاءات ثَبَتَ زيفُها وعدمُ مصداقيتها»، وأن الاحتلال «عمل على إسقاط الدولة العراقية» بدافع السيطرة على العراق وعلى ثرواته لفرض الهيمنة على النظام الدولي والوطن العربي والعالم الإسلامي. وقد دعا البيان كافة علماء العراق المسلمين وكافة الأحزاب والقوى والشخصيات الوطنية في العراق «إلى التوقيع على وثيقةِ عهد وتبنّي ميثاق تفاهم وعمل وطني» يجمع العراقيين «على كلمة سواء»، داعياً إلى المشاركة في «المؤتمر التأسيسي» وفق ثوابت إسلامية وطنية وقومية عرضها في أربعة عشر مبدأ هي: رفض الاحتلال الأجنبي للعراق رفضاً باتاً وكل ما يترتب عليه من نتائج... والعمل بكل السبل والوسائل المتاحة والمشروعة لمقاومة هذا الاحتلال حتى خروج آخر جندي محتل»؛ و«الالتزام المطلق بوحدة العراق أرضاً وشعباً وسيادةً، ورفض أية محاولات لتقسيمه على أساسٍ عرقي أو مذهبي»؛ و«الدعوة لانبثاق هيئة موحدة لعلماء المسلمين في العراق» لتوحيد موقف العراقيين ضد الاحتلال؛ =

■ *ثمة من عَلَّق هنا في وسائل الإعلام البريطانية قائلاً إن حكومة ذات سيادة تحتاج إلى ١٦٠ ألف جندي لحمايتها. كيف في رأيك تستطيع هذه الحكومة أو أية حكومة في العراق أن تستغني عن القوات الأجنبية؟*

حسيب: أنا أعتقد أنه في المرحلة الأولى يجب أن تقتنع قوات الاحتلال الأمريكية أنها «المشكلة» و«ليست الحل»، وأن المقاومة كانت نتيجة الاحتلال، وأن الاحتلال لن يكون قادراً على تحقيق الأمن داخل العراق. وهذا الكلام لا أقوله أنا شخصياً، وإنما يقوله الكونغرس وتقوله الخارجية الأمريكية ويقوله البنتاغون ويقوله كبار المفكرين في أمريكا. فإذا هم جَادُّونَ فعلاً في موضوع الأمن، فعليهم أن يسلموا الجانب السياسي والأمني للأمم المتحدة.

■ *وليس إلى علاوي. ولكن المشكلة هنا أن الأمم المتحدة باركت حكومة علاوي.*

حسيب: للأسف الشديد الأمم المتحدة كانت «شاهد زور». وكل الترتيبات التي

= و«اعتبار الشريعة الإسلامية المصدر الأساسي من مصادر التشريع»؛ و«العمل على التداول السلمي للسلطة وإعادتها إلى صاحبها الشرعي والوحيد شعب العراق... وانتخاب جمعية تأسيسية وطنية»؛ و«رفض الديكتاتورية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً واحترام حرية التعبير»؛ والتأكيد على أن العراق «جزء لا يتجزأ من الأمة العربية والتأكيد على هويته الإسلامية والعربية»؛ والتأكيد على «عدم جواز القوانين الصادرة والتي ستصدر عن أية جهة كانت في ظل الاحتلال»؛ و«اعتبار كل دعوى أو تصرف أو سلوك من شأنه زرع الفُرقة وبث الفتنة في صفوف الشعب على أسس عرقية أو مذهبية أو دينية جريمة ترقى إلى مستوى الخيانة العظمى للعراق»؛ والتأكيد على أن «القضية الفلسطينية قضية العرب والمسلمين المركزية الأولى»؛ و«تأكيد وتكريس روح الولاء للوطن العراق وتحريم الولاء لغيره»؛ و«العمل على إعادة دور القوات المسلحة الوطنية وحل الميليشيات»؛ و«التأكيد على المسؤولية الكاملة... لدولة الاحتلال عن كل ما لحق بالشعب العراقي»؛ و«العمل على إقامة دولة القانون».

وقد تقرر تشكيل أمانة عامة للمؤتمر من خمسة وعشرين شخصية وتم اختيار ست عشرة شخصية لهذا الغرض وترك الباب مفتوحاً لاختيار آخرين من القوى التي ستنضم إلى المؤتمر في ما بعد. آية الله حسن البغدادي، أ. صبحي عبد الحميد، د. حارث الضاري، الشيخ جواد الخالصي، د. أحمد الكبيسي، أ. عصام عايد، أ. زكي جميل حافظ، الشيخ قاسم الطائي، الشيخ محمد الألوسي، د. محمد عبيد الكبيسي، د. عبد الكريم هاني، د. وميض نظمي، د. عبد الرزاق الهيتي، أ. سلمان عبد الله، الشيخ علي عبد العزيز، أ. عبد الجليل المهداوي. وقد اختير الشيخ جواد الخالصي أميناً عاماً لمدة ستة أشهر، والدكتور وميض نظمي ناطقاً رسمياً باسم المؤتمر. انظر: «المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي: البيان التأسيسي والبيان الختامي، بغداد، ١٩ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ - ٨ أيار/مايو ٢٠٠٤ م،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٥ (تموز/يوليو ٢٠٠٤)، ص ١٩٧ - ١٩٩.

وقد نشرت جريدة *Guardian* البريطانية في ما بعد، وبتاريخ ١٦/ ٧/ ٢٠٠٤ مقابلة لمراسلها جوناثين ستيل (Jonathan Steel) في بغداد مع الشيخ جواد الخالصي (الرئيس الحالي للمؤتمر التأسيسي الوطني العراقي) بعنوان: «القائد العراقي يبحث عن طريق سلمي للتحرير، حزب جديد يوحد الشيعة والسنة والأكراد والمسيحيين». كما تضمنت مقالته مقابلة أيضاً مع د. وميض نظمي، وقد أنهى جوناثين ستيل مقالته بالعبارة التالية حول هذا الحزب: «إنه يستحق إعلاماً وتأييداً أكثر» (It Deserves More Publicity and Support).

تمت ترتيبات قام بها بريمر وشخص آخر أُرسل مع الأخ الأخضر الإبراهيمي إسمه روبرت بلاكويل. بلاكويل كان مساعد كوندوليزا رايس في ما يتعلق بشؤون العراق وسبق الأخضر الإبراهيمي في الذهاب إلى العراق، وهو لا يزال موجوداً هناك وسيكمل المهمة. والآن اختاروا شخصاً آخر ليحل محله مع كوندوليزا رايس واسمها ميغان أوسيلفان(٥)، وحسبما يقول آندرو كارد، كبير موظفي البيت الأبيض، فإنها أفضل من روبرت بلاكويل!

■ ***أنت تقول سلموها للأمم المتحدة ثم تقول إن الأمم المتحدة تواطأت وأنها شاهد زور.***

حسيب: الوضع في العراق الآن يشبه ما كان سابقاً تحت سلطة الاحتلال، ولكن بدل الحديث عن الاحتلال أصبح الحديث عن أياد علاوي، وبدل الحديث عن الجيش الأمريكي وقوات الاحتلال الأخرى فقد أصبحوا يتحدثون «عن القوات المتعددة الجنسيات». . . تغيرت الأسماء فقط! في اجتماعات مجلس الأمن في مرحلة الإعداد للقرار ١٥٤٦، حاولت فرنسا والصين وروسيا أن تُدْخل تعديلات على مشروع القرار بحيث يجري تحديد مدة نهائية لانسحاب ما يسمى بالقوات المتعددة الجنسيات، وبحيث يُنَصّ على أن هذه القوات لا تتحرك داخل العراق إلا بموافقة الحكومة العراقية، ولكن. . .

■ ***فماذا جرى؟***

حسيب: صرَّح رئيس وزراء الحكومة المؤقتة في بغداد بأن الحكومة لا تريد تحديد موعد نهائي للانسحاب، وأوعز إلى وزير خارجيته بأن يعبر عن هذا الموقف في مجلس الأمن، وهو ما فعله حين خاطب أعضاء المجلس سائلاً: لماذا يَطْلبون للعراقيين أكثر مما يطالب به العراقيون؟!

---

(٥) قال السيد آندرو كارد، كبير موظفي البيت الأبيض، نقلاً عن: جريدة **الشرق الأوسط** بتاريخ ٨/ ٧/ ٢٠٠٤، ص ٣، أن إدارة الرئيس بوش اختارت ميغان أوسيلفان التي كانت مستشارة لسلطة التحالف المؤقتة في العراق مسؤولة عن العراق في مجلس الأمن القومي. ويضيف السيد آندرو كارد، على حسب ما نقلته جريدة **الشرق الأوسط** أن هذا الاختيار يعتبرهزيمة لتجمع المحافظين الجدد. . . ويعتبر أيضاً مؤشراً لتحول داخل البيت الأبيض يقوده كارد، الذي كان أقل المتحمسين لغزو العراق. . . وكانت أوسيلفان خبيرة في شؤون الشرق الأوسط في معهد بروكينغز الذي يعتبر معتدلاً بين معاهد ومراكز البحوث في واشنطن. وكتبت تقارير عن العراق مالت فيها نحو تحاشي الحرب، حسب رأي آندرو كارد. وبعد بروكينغز، ذهبت أوسيلفان إلى وزارة الخارجية حيث عملت في قسم تخطيط السياسة الذي يقدم استشارات لوزير الخارجية. وبعد غزو العراق كانت واحدة من «الجناح المعتدل» من الخبراء والخبيرات الذي أرسل للعراق لتقديم استشارات إلى سلطة التحالف، حسب قوله.

■ ***هل كان يخفى على مجلس الأمن أن الذين تكلموا باسم العراق هم أيضاً معينون من طرف الولايات المتحدة؟ كان من الممكن لمجلس الأمن أن يقول إنه لا يوافق على هذا التعيين.***

حسيب: طبعاً لا يخفى عليه. أعضاء مجلس الأمن عدا بريطانيا وأمريكا أدخلوا تعديلات مهمة على القرار ١٥٤٦، ولو تركوا الأمر للحكومة العراقية لكانت قبلته كما قدمته أمريكا إلى مجلس الأمن.

■ ***ما هو الحل؟***

حسيب: الحل هو أن تَنْفُضَ أمريكا يدها من الموضوع، وأن تستلم الأمم المتحدة ملف العراق سياسياً وأمنياً، فتختار رئيس وزراء وحكومة غير حزبية من كفاءات مشهود لها بالكفاءة والخبرة والوطنية، وهي كثيرة في العراق، وأن تشرف على الانتخابات لتشكيل حكومة شرعية. إذا بقينا في الوضع الحالي، وبسبب المقاطعة المتزايدة للجنة التي ستشرف على اختيار الأعضاء الألف، فسيتم اختيار هؤلاء بالطريقة نفسها التي اعتمدت في اختيار «مجلس الحكم الانتقالي» وفي اختيار الحكومة الحالية. وبذلك، تضمن سلطة الاحتلال الأغلبية التي ستسمح لها بالسيطرة على المجلس. وإذا أضفنا إلى ذلك أن هذه الحكومة هي التي ستضع قانون الانتخابات، وهي التي ستشرف عليها، فستكون النتيجة أن كل شيء سيأتي مُفَصَّلاً على مقاسهم: قانون الانتخابات، والمجلس المنبثق عنها، والحكومة القادمة. وعندها، سيكون في وسع هذه الحكومة «المنتخبة» أن توقع اتفاقات أمنية طويلة الأمد مع الولايات المتحدة بما يُبْقي قوات هذه الأخيرة لفترة طويلة.

■ ***أنت لو كنت مكان الرئيس الأمريكي، أو الحكومة الأمريكية، أو أي مسؤول في الإدارة الأمريكية التي استثمرت كل هذ المال والجهد والبشر والطاقات لاحتلال العراق أو لتحرير العراق، فهل تقبل أن «تخرج من المولد بلا حمص» وفعلاً تخرج من العراق وتنسحب منه؟***

حسيب: ما يشغل بوش اليوم هو إعادة انتخابه في الانتخابات القادمة في تشرين الثاني/ نوفمبر القادم. هذا أولاً. ولكن من زاوية ثانية قد يكون من ميِّزات الأمريكيين أنهم براغماتيون. وحين تضطرهم مصالحهم إلى أن يغيروا سياستهم في العراق، فسيفعلون. سأعطيك مثالاً، في الفلُّوجة عندما حصلت المعركة هناك، هددوا بأنهم سيقتلون ويسحقون ويدمّرون . . . إلخ. وقبل يومين من الاتفاق، قالوا إنهم سيجتاحون الفلوجة. لكنهم قدَّروا أنهم إن اجتاحوا الفلّوجة، ستكون خسائرهم فادحة جداً بحيث إنهم لن يتحملوها حتى وإن سيطروا على المدينة ومحقوا ما فيها.

فقاموا بمفاوضة مع المقاومة على اتفاق يسحب كل الجيش الأمريكي ويأتي بلواءٍ عراقي أفراده من أبناء الفلّوجة وغير الفلّوجة ومن المتعاطفين مع المقاومة. الأمر نفسه ينطبق بالنسبة إلى الانتخابات الأمريكية القادمة. من حيث المبدأ سيحاول الأمريكان البقاء في العراق إلى آخر يوم ممكن. لكن إذا استمرت المقاومة، وأعتقد أنها ستستمر وتتوسع أفقياً ونوعياً (وهي تتوسع الآن، هناك عمليات في الحلة، في السماوة، في البصرة، إضافة إلى بغداد نفسها في مختلف المناطق بما فيها مدينة الصدر)، ووصلت الضحايا إلى حجم لا يتحمله المجتمع الأمريكي ويُؤثر في رأي الشعب الأمريكي في الانتخابات القادمة، ووجد صانع القرار الأمريكي أن من الضروري أن ينسحب فسوف ينسحب.

■ ***على فرض أن الأمريكان قبلوا بتسليم حقيقي للأمم المتحدة، وأن هذه ستعين حكومة غير حزبية، هل يوجد طرف سياسي يمكن أن يستثمر نشاط هذه المعارضة وهذه المقاومة في انتخابات؟***

حسيب: لا بدّ من إشراف دولي وعربي على الانتخابات. حالياً بعثة الأمم المتحدة أعدت مسودة قانون للانتخابات، وهذا القانون يجب أن ينشر على الناس، ويُنَاقَش، ومن ثم يُقَرُّ قانون الانتخابات والجهة الدولية تشرف على الانتخابات. لا توجد هناك انتخابات نزيهة في العالم ١٠٠ بالمئة إذا صارت ٩٠ بالمئة، فهذا طيب.

■ ***ألا يمكن أن يتاح هذا في الوضع الحالي.***

حسيب: لا.

■ ***أياد علاوي ملتزم بالانتخابات، في وقت شكّك في إمكانية احترام موعد الانتخابات، ثم عاد يقول بأن الحكومة ستحترم موعدها.***

حسيب: نحن لا نتحدث عن النيات. قوات الاحتلال و«مجلس الحكم» - الذي كان رئيس الوزراء الحالي عضواً فيه ـ سيطروا على البلد عاماً وثلاثة أشهر، فماذا فعلوا؟

■ ***الحكومة لن تتنازل في الغالب عن سلطاتها والقوات الأمريكية أيضاً لن تنسحب، فكيف تنسحب بعد كل هذا الجهد والاستثمار؟***

حسيب: هناك فرق بين من يريد أن يلعب القمار ويستمر في الخسارة، وبين مَن يتطلع إلى تشرين الثاني/ نوفمبر القادم، إلى الانتخابات ويريد أن ينجح في الانتخابات.

■ ***نوفمبر المقبل قريب، فرضاً إذا بقيت الأوضاع كما هي عليه في نوفمبر القادم.***

حسيب: سيسقط، وإذا سقط، ستختلف الصورة كثيراً.

■ ***إذا جاء كيري ماذا سيحدث؟***

حسيب: تريد أن نبحث موضوع كيري؟

■ ***سنناقش موضوع كيري لاحقاً، دعنا نذكر السادة المشاهدين بموضوع حوار الليلة. ضيفنا الوجه العربي والعراقي المعروف، الليلة نركز على شخصيته العراقية، الدكتور خير الدين حسيب وجه من وجوه التيار القومي في العراق وفي العالم العربي. جلستنا لكي نستطلع فيها رأيه كشخصية عراقية بارزة مهمة حول الحكومة العراقية وآفاق التطور السياسي في العراق، وسنسأله عن صدام حسين، وعن الأكراد، وعن علاقات العراق بجيرانه، والجيش الجديد. بالنسبة إلى الرئيس صدام حسين، سبق أن حدثتَ مشاهدي «المستقلة» أنك التقيتَه بمناسبة عقد دورة المؤتمر القومي العربي في بغداد.***

حسيب: هو الذي طلب أن يلتقي وفداً من المؤتمر.

محاكمة صدام حسين

■ ***كعراقي طبعاً لا أدري كيف كانت مشاعرك وأنت ترى صورته في المحاكمة؟***

حسيب: من حيث ما جرى ومن حيث الموضوع بشكل عام. من حيث ما جرى أعتقد أن المحاكمة أو جلسة التحقيق كانت لأغراض انتخابية أمريكية. وكان الأمريكيون يأملون في أن تكون هذه المحاكمة لصالح بوش في الانتخابات، وتبين لهم في النهاية عكس ما سعوا إليه. لقد أساءت لهم وعدلت الصورة التي كانت عند الكثير من الناس عن الرئيس صدام حسين عندما تم توقيفه. والعراقيون والعرب عموماً ينظرون إلى هذا الموضوع من زاويتين: **الأولى** تتعلق بموضوع صدام حسين، **والثانية** تتعلق برئيس عربي يساق في السلاسل ويُهان بالشكل الذي تم بغض النظر عمّن يكون ذلك الرئيس. هذه أدت إلى ردود فعل، وأنا أعتقد أن حصيلتها كانت سلبية بالنسبة إلى الأمريكان وبالنسبة إلى ما يسمى الحكومة المؤقتة. هو تحت حراسة أمريكية والجلسة الأولى للمحاكمة تمت في قاعدة أمريكية والحراس أمريكان، ورئيس المحكمة معين من قبل سلطة الاحتلال (بريمر)، ولا بد أنك قرأت التقارير التي

نشرت حول المحاكمة وحول رئيس المحكمة وعلاقاته.

■ ***أين النقاط الأخرى في الجلسة التي ترى أنها صبت لصالح صدام؟***

حسيب: أنا أعتقد أن القضية لا تتعلق بالرئيس صدام حسين فقط، وأن القضية تتعلق بما تم ارتكابه من جرائم منذ ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨ حتى يوم ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣ أي احتلال بغداد. أنا أعتقد أنه من حق أي كان لديه شكوى أن يقدم هذه الشكوى وأن يتم اختيار لجنة تحقيق محايدة، قد تكون فيها الأمم المتحدة أو الجامعة العربية، تحقق في جميع هذه الشكاوى من ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨ حتى الوقت الحاضر، لأنه في ١٤ تموز/ يوليو حصلت أحداث تستحق التحقيق.

■ ***ثورة تموز/ يوليو هذه من كان زعماؤها شيوعيين أو بعثيين أو. . .***

حسيب: كان عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف اللذين قاما بالثورة.

■ ***في نهاية الأسبوع سهرة الملفات المستقلة مع زميلنا الدكتور منذر يونس سوف تكون عن ثورة تموز/ يوليو، الآن أريد أن أعرف هل هي محسوبة على تيار أيديولوجي أم لا؟***

حسيب: في البداية كانت تمثل الجميع، كانوا على اتصال بالجبهة الوطنية التي تمثل كل القوى الوطنية. في عام ١٩٥٩ حدثت مذابح في كركوك والموصل قام بها الشيوعيون والأكراد. وفي ١٩٦٣ جرت إعدامات «للشيوعيين». ومن ١٩٦٨ إلى الآن وقعت حوادث أخرى. فلا تستطيع أن تركز على عام ١٩٦٨ إلى الآن فقط من دون كل هذا السياق، بل يجب أن تأخذ الفترة كلها. من يريدون أن يقدموا الشكاوى، يقدمون هذه الشكاوى ثم يأتي المجلس الوطني المنتخب ويبت في كيفية التصرف مع هذه الحالات: هل بالمحاكمات أم بغيرها. وله أن يستفيد من الخبرة التاريخية في معالجة هذه الأمور منذ الحرب العالمية الثانية: في ألمانيا، في اليابان، وكيف تمت معالجتها في بريطانيا حول أحداث شمال إيرلندا، وكيف تمت معالجتها في جنوب أفريقيا وفي لبنان وفي تجارب أخرى كثيرة في العالم.

■ ***إذا رجعنا إلى محاكمة الرئيس العراقي السابق صدام حسين، رأينا كيف نقلت وسائل الإعلام انطباعات مختلفة للناس، في منطقة الرئيس العراقي وسامراء موقف، وفي المناطق الأخرى من العراق موقف آخر.***

حسيب: أنا لا أعتقد أن هذه اللقطات التي نقلتها بعض الفضائيات العربية ووسائل إعلام أخرى تعبر بشكل موضوعي عن حقيقة مشاعر الناس، فهي في الغالب انتقائية وفي حدود المتاح لهم من مقابلات.

■ ***في بيروت حيث تقيم كيف كان الجو العام؟***

حسيب: في حدود ما أنا مطلع، وأنا اتصالاتي قليلة مع الناس، إلا أنني أقرأ الجرائد وأشاهد الفضائيات، وأعتقد أن أحسن ما كتب في هذا الموضوع ــ في رأيي ــ هو ما كتبه الأخ جوزيف سماحة في افتتاحية في جريدة **السفير** (بتاريخ ٢/ ٧/ ٢٠٠٤) وهو فعلاً من أروع ما كُتب في الموضوع.

■ ***إذاً أنت حسب رأيك أن محاكمة صدام حسين صبت في صالحه هو وليس في صالح من رتب المحاكمة.***

حسيب: هذا الانطباع هو الذي عندي من خلال ما سمعت وقرأت بما في ذلك افتتاحية **نيويورك تايمز** حول الموضوع.

■ ***صدام حسين انتهى سياسياً في العراق، أليس كذلك؟ أو ما زال بعض أنصاره يقولون إنه لا يزال لديهم أمل أن المحاكمة تطول والأوضاع تختلف؟***

حسيب: لمعلوماتك الجلسة القادمة من المحاكمة، أو هكذا ما هو مقرر حتى الآن، لأن من الممكن أن يغيروا موعدها، هي ٢٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥، بعد الانتخابات، بعد أن تكون الانتخابات في أمريكا قد انتهت.

■ ***هذا المتوقع، المتوقع أن تطول، بالنسبة إلى التيار القومي في العراق، هل ما زالت لديهم مراهنة على صدام حسين، كيف ينظر التيار القومي في العراق؟***

حسيب: هناك عدد كبير من العراقيين، والقوميون منهم، قد يكون معظمهم ضد النظام الذي كان سائداً، بسبب مسألة الدكتاتورية... إلخ، ولكنهم رافضون لتغيير النظام عن طريق الاحتلال ورافضون للاحتلال ونتائج استطلاع الرأي العام العراقي الذي قامت به سلطة الاحتلال، والذي أشرت إليه سابقاً، أحسن دليل على ذلك.

■ ***بالنسبة إلى صدام حسين، موقفها منه، أريد أن أتأكد من النقطة هذه، هناك من يقول إنه ما زال لديه أرضية سياسية وان القوميين يعتبرونه رمزاً من رموزهم.***

حسيب: هذا كله تخمينات وانطباعات، لأنه إذا أردتَ أن تتحدث عن «حزب البعث»، فكيف تعرف موقف «حزب البعث»؟. البيانات الصادرة حتى الآن سواءً عن المقاومة، والتي لها علاقة بالرئيس صدام، أو عن الحزب، لم تتخلَّ عن صدام حسين. هذا حسب المعلومات المتوافرة، وقد يجوز أن تكون هناك أشياء أخرى لا أعلم بها وغير مطلع عليها. لكن من الصعب الحديث في هذا الموضوع لأن المقاومة سرية

ويقال إن حزب البعث أعيد تنظيمه في بغداد والموصل والبصرة. والمهم أن لا ننسى أنه بدأ يتحدث لغة مختلفة. ففي البيان الذي ذكرته لك في الأخير والصادر في ١/ ٤، والبرنامج الذي عرضه يتحدث عن دستور جديد وعن تعددية سياسية وديمقراطية وانتخابات رئيس الجمهورية بترشيحات متعددة وليس بمبايعة . . . إلخ.

التيار القومي والكتلة التاريخية

■ ***د. خير الدين حسيب أنت رمز للمدرسة القومية في العالم العربي.***

حسيب: في الحقيقة أنا لم تعد لديَّ العصبية التي تتصورها، أنا اليوم أعتبر القوميين هم الذين يؤمنون بالعناصر الستة للمشروع الحضاري العربي والتي هي: الوحدة، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، والتنمية المستقلة، والاستقلال الوطني والقومي، والتجدد الحضاري. فهذا الذي يجمعني مع أي واحد منهم، يجمعني معك أو مع أي واحد آخر. وأصارحك القول إن هناك إسلاميين عروبيين وهناك يساريين هم أقرب إلي من بعض القوميين. هذا هو المعيار الذي آخذ به في الموضوع وليس التسميات أو الخلفيات السابقة.

■ ***سنعود إلى الخلفيات السابقة في فهم العراق، من هو التيار القومي في العراق؟ ظننت أن عنوان حوارنا الليلة سيقودنا، من خلال الأطروحات التي ستقدمها، إلى التعرف على أطروحات الفكر القومي في العراق.***

حسيب: نحن في المركز ـ وأنا شخصياً ـ ندعو إلى شيء أكبر من التيار القومي، نحن نعتقد أن المشاكل التي تواجهنا وخاصة قضايا الاحتلال وأطماع القوى الكبرى في المنطقة لا تستطيع أية قوة سياسية (حزب أو تيار) لوحدها أن تواجهها، وأنه لا بد من قيام ما أسميها «كتلة تاريخية». والفضل الأول في التسمية للدكتور محمد عابد الجابري. هذه القوى التي تؤمن بالعناصر الستة للمشروع الحضاري العربي هي التي تستطيع مجتمعة أن تواجه تلك المشاكل والتحديات، وإلاّ بدونها سَتُصفَّى هذه القوى والتيارات واحداً بعد الآخر. الأمريكان لا يحبون القوميين ولا يحبون اليساريين ولا يحبون الإسلاميين. فالقضية قضية توقيت.

■ ***حتى نختم مسألة القوميين في العراق، الآن «حزب البعث» هل ما زال موجوداً وناشطاً في العراق؟***

حسيب: «حزب البعث» موجود والحركة القومية العربية موجودة ولديها جريدة تصدر أسبوعياً اسمها **راية العرب**، وهي جزء من المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي. وهناك قوى أخرى قومية غير ما هو يعمل ضمن «الحركة القومية العربية».

■ ***يقولون إن التيار البعثي كان تياراً ديكتاتورياً مستبدّاً ليس فيه الانفتاح الذي تتحدث عنه الآن أبداً. وهو منغلق على نفسه لم يقبل معه إسلاميين ولا يساريين. وطبعاً باع نفسه في النهاية لشخص واحد هو الرئيس صدام حسين. وإن كان أحد مسؤولاً عن احتلال العراق، فالتهمة يجب أن لا توجه أولاً إلى الذين تعاونوا مع الأمريكيين، بل إلى «حزب البعث». التيار القومي تَسَلَّم العراق حراً وسلمه محتلاً.***

حسيب: ينبغي التمييز بين أفكار البعث وبين ممارسته. أفكار البعث في رأيي يعود الفضل الأول لها في رفع شعار الاشتراكية والتشديد على عملية التغيير الاجتماعي. القوى السياسية المختلفة الأخرى لم تكن مهتمة في معظمها بالجانب الاجتماعي أي بالتغيير الاجتماعي. ومع أن حزب البعث كان يتعامل مع الاشتراكية كمحتوى للقومية العربية إلا أنه كان يتعامل معها كشعار فقط، على الرغم من أنه كان شعاراً مهمّاً في تلك الحقبة. وجاء جمال عبد الناصر وحوَّل هذا التصوّر إلى إجراءات فعلية. لذلك لا نستطيع أن ندين جميع البعثيين، فهناك بعث في سوريا، وهناك بعث في أقطار عربية أخرى. وليس كل البعثيين العراقيين مسؤولاً عما جرى، ولكن الذين قاموا بجرائم، هؤلاء من حق الناس أن تحاسبهم، وليس في وسعك أن تدين حزباً كاملاً وفكراً كاملاً.

■ ***ولكن ما العبرة هنا بالنسبة إلى بقية الأحزاب العربية حتى لا تكرر الأخطاء نفسها؟***

حسيب: هذا ينطبق أيضاً على أخطاء أحزاب أخرى مثل «الحزب الشيوعي» والأحزاب الكردية. فلا يتحمل «الحزب الشيوعي» كله أخطاء فترة معينة أو قيادة معينة، والأمر نفسه ينطبق على الشعب الكردي الذي لا يتحمل أخطاء قيادة «الحزب الديمقراطي الكردستاني» أو أخطاء قيادة «الاتحاد الوطني الكردستاني».

■ ***دعنا نختم محاكمة صدام حسين، ذكرنا صدام في علاقته بالتيار القومي، لماذا في رأيك اختار الأمريكان أو الجهة المسؤولة عن الجلسة إسماعَ العالم صوت صدام حسين في فقرات قليلة؟ ولماذا هذه الفقرات القليلة جداً، والتي هي حوالى ثلاث دقائق، وَرَدَ فيها هجومه على الكويت؟***

حسيب: في البداية قالوا إن المحاكمة ستكون علنية، وستتاح الفرصة للجميع لكي يشاهد ما يدور فيها، لكن كما قلت لك الغرض الأساسي من هذه الجلسة الأولى من المحاكمة كان انتخابياً يتعلق بالرئيس بوش. ولكن عندما وجدوا، ولديهم تسجيل كامل بالصورة والصوت، أن بث هذه المحاكمة كلها سيكون لصالح الرئيس صدام حسين وضد أمريكا، اقتصروا على أجزاء منها. أما لماذا في موضوع

الكويت؟ فلإثارة الخلاف من جديد بينها وبين العراق.

■ ***أنا أحب أن أفهم هذا. أمريكا علاقتها جيدة بالكويت. وحتى لو شتم صدام الكويت أو أراد أن يلعب على هذا الوتر، فما مصلحة أمريكا في أن تلعب على هذا الوتر؟***

حسيب: لتخويف الكويتيين.

■ ***أمريكا تريد تخويف الكويتيين؟***

حسيب: نعم لتخويف الكويتيين حتى يزدادوا اعتماداً على الأمريكيين.

■ ***ولماذا لم تعتمد أمريكا النهج المقابل فتراعي الكويت وتحذف هذه الفقرة كما حذفت بقية الفقرات؟***

حسيب: على العكس هي تريد أن تثير الكويتيين على النظام السابق وتريد أن تدعهم يخافون أكثر ويحتاجون إلى الأمريكان أكثر لحمايتهم.

■ ***فهمنا أن تكون هذه حسابات الأمريكيين، أما الرئيس صدام حسين فلماذا تكلم بهذه العصبية عن الكويت؟***

حسيب: يجب أن تسأله هو.

العلاقات العراقية ـ الكويتية

■ ***هل تتوقع أن الكلام هذا يمكن أن يؤثر في بعض الناس؟***

حسيب: أظن أنك سوف تسألني عن العلاقة بين الكويت والعراق في هذا الحوار؟

■ ***لماذا لا نتناول هذا السؤال بما أنه مرتبط بالحديث لنعرف رأيك؟***

حسيب: بالنسبة إلى موضوع الكويت والعراق، كان اجتياح العراق للكويت في ٢ آب/ أغسطس ١٩٩٠ قد تم بقرار من الرئيس صدام حسين، ولم يأخذ فيه رأي أو موافقة الشعب العراقي، وهناك قطاعات كبيرة من الشعب العراقي حاولت أن تساعد وتخفف عن الكويتيين قدر الإمكان. أما بالنسبة إلى الغزو أو الاحتلال الأمريكي للعراق، فإن عليك أن تسأل: من أين أتت القوات الأمريكية؟ جاءت من الكويت وبتأييد من قطاعات من الشعب الكويتي على حد علمي. طبعاً هناك قاعدة وقوات بحرية في البحرين وقاعدة «السيلية» في قطر وقواعد ومطارات في بلدان عربية أخرى خليجية وغير خليجية وكلها وضعت تحت تصرّف العدوان والغزو.

■ ***نحن نتكلم الآن عن ملف العراق والكويت.***

حسيب: القوات الأمريكية موجودة في الكويت «لحماية» الكويت وليس لغزو العراق. وهناك شيء اسمه معاهدة الدفاع العربي المشترك. وهذه المعاهدة تقول إنه إذا تعرضت أي دولة عربية إلى هجوم أو إلى تهديد بالاعتداء، فعلى جميع الدول العربية أن تهرع لمساعدتها عسكرياً وغير عسكرياً، وتقول أكثر انه لا يجوز لأي دولة عربية أن تعقد اتفاقاً عسكرياً أو أمنياً أو دفاعاً مشتركاً مع أي دولة خارج المنطقة العربية إذا كان هذا يؤثر في الأمن القومي العربي.

■ ***بالنسبة إلى الكويت عدوها كان العراق، كانت خائفة من العراق، واتفاقاتها كلها كانت لتأمين نفسها من غزو عراقي، هذا ما يقوله الكويتيون.***

حسيب: أنا أعرف ما يقوله الكويتيون، أولاً سماح الكويت بغزو أمريكا للعراق من الكويت يتجاهل أن العراقيين لم يشاركوا في اتخاذ القرار، في حين أن أغلبية الكويتيين أيدوا غزو أمريكا للعراق من الكويت. وهذا وضع مختلف، وهذا يخالف ميثاق جامعة الدولة العربية.

■ ***إذا أردت أن تفهم هذه الحال كعراقي وكعربي، لماذا أيَّدَ الكويتيون كتّاباً وغيرهم الحرب على العراق؟ هل لأنهم كما يقولون أرادوا أن يحرروا الشعب العراقي؟***

حسيب: هم ساهموا في احتلال العراق. إذا كانت أمريكا نفسها في القرار رقم ١٤٨٣ الصادر عن مجلس الأمن اعترفت بأن قواتها الموجودة في العراق هي قوات احتلال، فكيف يجوز لكثير من الكويتيين ولغيرهم أن يقولوا أنها عملية «تحرير»؟

■ ***ماذا يترتب على هذا الوضع؟ وماذا يترتب منه على مستقبل أو حاضر العلاقة العراقية الكويتية؟***

حسيب: أولاً يترتب عليه أن الكويت شاركت في الحرب على العراق لأن القوات انطلقت من عندها، فيما الحرب غير مشروعة إذ لا يوجد قرار من مجلس الأمن يخوّل الولايات المتحدة خوض الحرب، كما أن الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة يخوّل الدول استعمال القوة في مجال الدفاع عن النفس في حالتين.

■ ***هل أنت تتجه إلى أن الكويت تتحمل مسؤولية مشتركة مع أمريكا؟***

حسيب: طبعاً، ولكن ليس فقط الكويت، الكويت ودول أخرى عربية قدمت المساعدة للعدوان.

إن هذه الحرب غير مشروعة ولا يوجد قرار من الأمم المتحدة بشأنها، وحتى الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة الذي يجيز للدول استعمال القوة في مجال الدفاع عن النفس إذا هوجمت لا ينطبق على حالة العراق، فالعراق لم يهاجم أمريكا، كما أنه لا يوجد هناك «خطر وشيك» بالاعتداء عليها كما تشترط حالة الدفاع عن النفس. وفي شهادته أمام الكونغرس قال جورج تينيت مدير وكالة المخابرات الأمريكية (CIA)، وقبل استقالته مؤخراً، إنه لم يشر في أي تقرير من التقارير التي قدمها إلى بوش إلى أن هناك خطراً وشيكاً. فإذاً الحرب غير مشروعة. وحتى الأسباب التي قدموها لتبرير الحرب: أسلحة الدمار الشامل والعلاقة بين العراق و«القاعدة» كلها ثبت عدم صحتها. فإذاً هناك حرب غير مشروعة قامت بها أمريكا وساعدت فيها الكويت وغيرها. وبدون الكويت من أين يأتي الجيش الأمريكي؟ تركيا لم تسمح له، وموقف تركيا كان أفضل. والآن ما هو الحل؟

بعد أن ينتهي انسحاب القوات الأمريكية من العراق وتشكل حكومة وطنية حقيقية منتخبة من مجلس منتخب من الشعب، فإن أمامنا طريقتين لمعالجة ملف الخلاف العراقي ـ الكويتي: **الطريقة الأولى** هي أنه إذا كان العراق والكويت يعتبران نفسيهما جزءاً من الأمة العربية، فيمكن أن يأتي العراق إلى قمة عربية أو إلى مجلس الجامعة العربية ويطلب أن تحال كل قضايا الخلاف مع الكويت، سواء تعلق الأمر بمسائل الحدود أو التعويضات أو غير ذلك، على لجنة تحكيم تختارها القمة العربية ويوافق عليها الطرفان. ويتعهد الطرفان بالالتزام بما تقرره اللجنة. هذه طريقة. و**الطريقة الثانية** إذا لم ترغب الكويت في هذا، وتريد أن تتعامل مع العراق كأي دولة مجاورة مثل تركيا أو مثل إيران. . . إلخ، فمن حق العراق في هذه الحالة أن يلجأ إلى المنظمات الدولية: «محكمة العدل الدولية» وغيرها، وأن يعرض ما لديه من شكاوى وطلبات. وسيأتي يوم، آجلاً أم عاجلاً، سيطالب فيه العراق بتعويضات من أمريكا ومن بلدان الخليج كلها ومن غيرها من الدول العربية التي ساهمت في الحرب عليه. وإذا قرأت كتاب وودورد الأخير عن الحرب وهو بعنوان **خطة الحرب** (*Plan of Attack*) فسوف تعرف بماذا ساهمت هذه الدول، وستكتشف ما يَشيب له شعر الإنسان العربي خجلاً.

■ ***إذاً هناك قضية تعويضات وحدود مطروحة بين العراق والكويت.***

حسيب: طبعاً، لكن هناك طريقتين كما قلت لحلها، **أولاهما** في إطار عربي، و**الثانية** في إطار القانون الدولي.

■ ***د. خير الدين حسيب اسمح لي الآن أن نأخذ مجموعة من المكالمات، في الحقيقة عندنا مكالمات من الإمارات ومن أوروبا. معي على الخط الأخ كريم بدر والأخ أبو نضال وأول متصل هو الدكتور خالد شوكات من هولندا: الكاتب المعروف، خالد شوكات مرحباً بك.***

الرد على المداخلات

خالد شوكات: أهلاً وسهلاً بالدكتور خير الدين حسيب. أنا أحببت أن أحييه، وأردت أن أؤكد أنني انضممت مؤخراً إلى المؤتمر القومي العربي إيماناً مني بالمبادئ الستة التي أعلن عنها قبل قليل الدكتور خير الدين حسيب، وأريد في الحقيقة أيضاً أن أعبر للدكتور حسيب في هذه المناسبة عن عدم رضاي التام عن المسار الذي أراده المؤتمر القومي العربي وحتى أراده مركز دراسات الوحدة العربية. بالعودة إلى القضية العراقية عندي مجموعة من الملاحظات التي أعتقد أنها هامة.

أولاً أنا في رأيي أن لحظة سقوط بغداد ولحظة انهيار نظام الرئيس صدام حسين هي مناسبة لتقييم صادق وجدي وحقيقي وواضح وشفاف لمسار ثلاثة عقود من حكم صدام باسم «حزب البعث العربي الاشتراكي» وباسم التيار القومي العربي. ثمة مجموعة من الارتباطات لم تعد لها في رأيي أية مصداقية. الارتباط بين المشروع القومي العربي وبين الاشتراكية وخاصة الاشتراكية في شكلها الماركسي لم يعد لها أي معنى. العدالة الاجتماعية لدينا أكثر من طريق لتحقيقها، يمكن أن نحققها عبر الليبرالية الاقتصادية أيضاً، في أوروبا الغربية ثمة عدالة اجتماعية أفضل في رأيي مما تحقق في الاتحاد السوفياتي أو في غيرها من الدول التي سارت على نفس النهج. وبالتالي هذه الصلة في رأيي أتت اللحظة المناسبة لمراجعتها.

الصلة الثانية وهي الأهم والأخطر في رأيي هي الصلة بين المشروع القومي العربي وبين حكم ديكتاتوري فردي ينتهك حقوق الإنسان ويعيش على قمع الحريات العامة وعلى قمع التعددية السياسية وعلى قمع الآراء إلى غير ذلك. هذه الصلة يجب أن نقطعها أيضاً إذا ما أردنا فتح آفاق أمام المشروع القومي العربي. المشروع القومي العربي في رأيي الثابت الأساسي والوحيد فيه هو إيماننا بفكرة الوحدة العربية، وأنا في رأيي فكرة الوحدة العربية الآن لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال إقامة أنظمة ديمقراطية حقيقية في جل البلدان العربية وفي مقدمتها العراق، أنظمة ديمقراطية تعددية تحترم حقوق الإنسان العربي وتقدسها. نظام صدام حسين في رأيي أساء إلى القومية العربية وإلى المشروع القومي العربي أكثر من أي نظام عربي آخر، وإذا ما حاكمنا صدام حسين بمبادئ «حزب البعث»، سنجد أنه أكثر من خانها، وإذا ما رجعنا إلى تاريخ «حزب

البعث» سنجد أن صدام حسين صفّى من قادة حزب البعث ومن البعثيين الكبار أكثر مما صفّى الأمريكان أنفسهم.

فكما راجع الحزب الشيوعي السوفياتي نفسه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، ومثلما راجع اليسار الماركسي واليسار عامة في أوروبا الغربية نفسه بعد الحرب الأهلية الإسبانية وبعد الحرب العالمية الثانية وتحول إلى الاشتراكية الديمقراطية، ومثلما راجعت من الأحزاب الشمولية العقائدية الكثيرة نفسها، على التيار القومي العربي أن يجري مراجعات جذرية وحقيقية. وعلينا كقوميين عرب أن نتحول بالدرجة الأولى إلى مناضلين ديمقراطيين بالأساس.

في ما يتعلق بالمقاومة العراقية أو ما يسمى بالمقاومة العراقية، في رأيي أن هذه المقاومة غير واضحة، وأنت نفسك يا دكتور خير الدين لا تعرف رمزاً أو قائداً من قادة هذه المقاومة. كيف يمكن أن نسلم العراق لأناس مجهولي المصير والهوية، ونحن لاحظنا أنه في التاريخ كله وخاصة في تاريخ دول العالم الثالث لاحظنا أن المقاومات هذه إذا ما كتب لها النجاح عادةً ما تقيم أنظمة ديكتاتورية عسكرية. يقولون نحن وصلنا إلى السلطة بالسلاح والقوة ومن يستطيع أن يتحدانا فليتحدنا، أما نحن فلن نفرط في السلطة. أنا في رأيي أن النضال السياسي من خلال الأسلوب الألماني أو الأسلوب الياباني في العراق قد يحقق للعراقيين وللمشروع القومي العربي في العراق أفضل بكثير من السير وراء جماعات مجهولة النسب مجهولة الهوية مجهولة المشاريع السياسية وربما وراءها جماعات وربما متحالفة مع جماعات ظلامية إرهابية من نوع جماعات أبو مصعب الزرقاوي وغيره. هذا فيه خطر على مصالح المشروع القومي العربي في العراق. النضال السلمي السياسي الديمقراطي واستغلال الواقع الجديد بطريقة براغماتية مفيدة أنا في رأيي كقومي عربي أفضل بكثير من الأشياء المظلمة غير الواضحة. وهناك ملاحظات كثيرة لا مجال لذكرها.

وأحيي مجدداً المناضل القومي العربي الكبير خير الدين حسيب الذي فتح في الحقيقة للمشروع القومي العربي آفاقاً غير مسبوقة عام ١٩٨٣ حين نظّم ندوة «أزمة الديمقراطية في الوطن العربي» وأسس المؤتمر القومي العربي وحقق الصلة النظرية الفكرية الضرورية بين فكرة القومية العربية والفكرة الديمقراطية. نحن كجيل جديد من القوميين العرب ندين لهذا الرجل بالكثير، فلا نريده أن يختم حياته بتأييد جماعات لا نعرفها مجهولة النسب والهوية، وشكراً.

■ ***شكراً أخ خالد شوكات، وتفضل د. خير الدين حسيب.***

حسيب: أولاً أنا أشكر الدكتور خالد شوكات على ملاحظاته، والتي أتفق مع

بعضها، وبعضها يحتاج إلى توضيح. الأخ خالد، في ما يتعلق بمسار المؤتمر القومي العربي ومسار مركز دراسات الوحدة العربية، لعلك تعلم وتذكر أن أول من بدأ في شق الطريق للديمقراطية وضد الديكتاتورية كان مركز دراسات الوحدة العربية. من عام ١٩٧٩ إلى الوقت الحاضر كانت قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان مركزية في إنتاجنا الفكري. عندما بدأنا فيها، كان معظم التيار القومي العربي ومعظم التيار الإسلامي لا يؤمن بالديمقراطية والتعددية السياسية. ولكن أستطيع أن أقول إنه بفضل المساهمات الفكرية لمركز دراسات الوحدة العربية باتت أغلبية التيار القومي العربي وأغلبية التيار الإسلامي تؤمن بالديمقراطية والتعددية السياسية. كما كان مركز دراسات الوحدة العربية وراء إقامة «المنظمة العربية لحقوق الإنسان» التي أقيمت في قبرص على هامش ندوة «أزمة الديمقراطية في الوطن العربي» وأصبحت مستقلة بعد إنشائها.

أحب أن أقول كذلك انه لم يصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية أو عن المؤتمر القومي العربي أي كلام: في سطر أو كتاب أو فصل يؤيد الدكتاتورية أو يبرر دكتاتورية النظام العراقي السابق. وأنا أرجو إذا وجدتَ كلمة أو شيئاً بهذا المعنى أن تخبرني به.

في ما يتعلق بموضوع الارتباط بين المشروع القومي العربي والاشتراكية. أولاً الاشتراكية، وأنا أقصد هنا «الاشتراكية الديمقراطية» للأسف الشديد لحقتها في التطبيق شوائب كثيرة وأصبحت ترتبط في ذهن المواطن العربي بسلبيات كثيرة بعضها قد يكون صحيحاً ومُحِقاً وبعضها غير صحيح، لذلك نحن استعملنا تعبير العدالة الاجتماعية وبمعنى الاشتراكية الديمقراطية. ونأمل في آخر السنة عندما تنشر المسودة الأولى للمشروع النهضوي العربي أن نوّضح هذا المبدأ جيداً ونحن في سبيل إعداد مسودة هذا المشروع. نحن ندرس التجارب في العالم وانتهينا من دراسة تجربة الاتحاد الأوروبي والدروس المستفادة عربياً. ومنذ سنتين ونحن ندرس تجربة دولة الرفاهية في الدول الاسكندنافية، وسبق أن درسنا تجارب التنمية في دول شرق آسيا ونُشرت الدراسات الخاصة بها. فهذه كلها ستتم الاستفادة منها في ما يتعلق بالعدالة الاجتماعية في تحديد المشروع النهضوي العربي. وأحب أن أقول لك إننا في «مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي» وفي المشروع الذي يعد الآن شدَّدنا على أننا لا نقبل بالمقايضة بين أي عنصر من العناصر الستة، أي لا نقبل بتأجيل موضوع الديمقراطية لحساب التنمية أو تأجيل العدالة الاجتماعية لحساب التنمية. هذه العناصر الستة في رأينا غير متعارضة ويجب أن تتآلف.

الوحدة بحد ذاتها مهمة جداً، ولكن من المهم كذلك مضمون الوحدة.

■ ***بالنسبة إلى النقطة الرئيسية التي ركز عليها وهي أن المقاومة غير واضحة ولا يعرف رموزها، كيف تقبل تسليم العراق لأناس مجهولي الهوية؟***

حسيب: لا يوجد احتلال في العالم قام إلا ونشأت مقاومة ضده. هذه من طبيعة الأمور. المقاومة في وضع مثل وضع العراق أحد مصادر قوتها هو سريتها. أنا مطمئن ومقتنع، وربما أكون على خطأ في هذا، أنه لا توجد وسيلة لإخراج القوات الأمريكية في العراق إلا بالمقاومة بأنواعها المختلفة: مقاومة مسلحة، مقاومة سلمية، إضراب، اعتصام، مظاهرات، كل شيء... إلخ. وأن يساهم كل واحد حسب قدرته وإمكانياته. وأنا أعتقد أنه لولا المقاومة المسلحة لما تنازلت إدارة الاحتلال في العراق ووصلت إلى الوضع الموجود حالياً.

■ ***الأخ كريم بدر معي من الإمارات مرحباً بك.***

كريم بدر: د. الحامدي مرحباً بك، أنا أخاطب الدكتور خير الدين حسيب لأقول له إن الخطأ التاريخي الكبير الذي وقع فيه التيار القومي هو ضرب التيار الوطني، من أيام عبد الناصر حتى هذه اللحظة وهذا الخطأ يتكرر ودفعت الأمة بسببه ثمناً باهظاً جداً. هذه نقطة. (انقطع الاتصال)

■ ***الأخ كريم بدر، تفضل.***

كريم بدر: السلام عليكم وتحية إليك وإلى الدكتور الفاضل خير الدين حسيب وإلى قناة «المستقلة» وهذه فرصة طيبة، ودعني أشد على صوت الصديق العزيز الدكتور خالد شوكات الذي يعيد توازن العراقيين بعروبتهم، أنا أقول إن الدكتور والفكر القومي العروبي تحرك داخل العراق في صورة تيار وهو ليس كل القوميين. وأنا أطالب الأستاذ الدكتور خير الدين حسيب بالمراجعة في هذا الموقف بالذات، وسأعود إلى هذه النقطة. «حزب البعث» الذي، بكل تشكيلاته وقيادته القومية والقطرية، لا يوجد فيه واحد يريد أن يقاتل ويستشهد في العراق. الفكر الذي لا يستطيع أن ينجب شخصاً يستشهد في سبيل هذا الفكر والوطن فكر لا يستحق حتى الحياة أو أن نعول عليه. وبعد مرور سنة الآن، وقد ذكرت حضرتك يا د. حسيب أنه في تاريخ ٢/ ٤ أصدر البعثيون بياناً، لكنهم لم يعتذروا للشعب العراقي، بل قالوا إن صدام حسين هو قائدنا واننا نحن رفاق حزب البعث العربي الاشتراكي وقوات الأمن العراقية. وهم كانوا جماعة الإعدامات. يا سيد حسيب: يجب أن يكون لنا موقف وأنت رجل مفكر يجب أن يكون عندك موقف في المسائل التي تخص الدماء، وأنت تعول الآن على الحزب وتقول إنه بدأ يعيد تنظيمه في مدينة الموصل ويعيد تنظيمه في بغداد. وهذه حقيقة دعني أعترض عليها وأشجبها.

يا سيدي أنت تدافع عن المقاومة العراقية؛ ولكن، يا أستاذي الفاضل قتل الشرطة العراقية إرهاب كما قتل المدنيين، وتفخيخ السيارات في الشوارع. الآن مجزرة في العراق حقيقية. أين الفكر القومي؟ نحن نطالبكم بموقف، أنتم وقفتم قبل سقوط صدام وعقدتم المؤتمر القومي العربي في بغداد. ونحن نعتقد، وقد نكون على خطأ، أن هذا طوق نجاة رميتموه إلى صدام حسين، وأنت تقول نحن لا نبرر لصدام حسين، فلماذا أنتم لم تشجبوا المجازر التي قام بها صدام حسين إبان حكمه؟

في حديثك عن «الاتحاد الوطني الكردستاني» و«الحزب الديمقراطي الكردستاني» ـ وهما ضمير الأمة الكردية ـ تقول حضرتك ما معناه ان الأكراد كلهم خونة! «الحزب الإسلامي» العراقي «حزب الدعوة» الإسلامية «حزب الوفاق الإسلامي» «المجلس الأعلى» «الحزب الشيوعي العراقي»، هل أنت رجل مفكر يا أستاذي الفاضل الدكتور خير الدين حسيب، حتى تلغي هؤلاء الذين يمثلون ٨٣ بالمئة من العراق؟ وهل يعقل أن يكونوا خونة؟ دعونا نكن موضوعيين يا أستاذي الفاضل.

■ ***أستاذ كريم بدر شكراً لاتصالك والأسئلة التي طرحتها.***

حسيب: أنا أشكر الأخ كريم بدر على الأسئلة الذي أثارها، وله وجهة نظر احترمها وقد لا أتفق مع بعضها. قوله إنني أعوِّلُ على «حزب البعث»، في الحقيقة أنا لم أستعمل هذه الكلمة. أنا حاولت في حدود معلوماتي وفي حدود ما أستطيع أن أكون موضوعياً، وأن أنقل الصورة الموجودة في العراق كما أعرفها. لا تَنْسَ أنه كان هناك معارضون في «حزب البعث»، وأن بعضهم تعرَّض للتصفية. أنا لا أؤمن بقضية العزل السياسي، بما في ذلك العزل السياسي الذي قام به جمال عبد الناصر الذي له مكانة كبيرة عندي.

قبل أن يسلم بريمر السلطة شكلياً إلى الحكومة المؤقتة خلال شهر حزيران/ يونيو، الشهر الماضي، أصدر ٩٣ قراراً وقانوناً مع تعليمات، منها تشكيل لجنة للانتخابات. هذه اللجنة هي التي تقرر من يحق له الترشيح ومن لا يحق له، وفيها شروط غير ديمقراطية وتتناقض معها وتؤدي إلى عزل سياسي، ويُخشى أن تَحجُب حق الترشح عمّن تريد أن تحجبه عنه. وبالتالي فأنا أجدد التأكيد على أن من لم يرتكب جرائم و يؤمن بالديمقراطية من حقه أن يرشح نفسه وأن يتمتع بالحق في العمل السياسي. وأنا لا أؤمن بعملية العزل السياسي من أية جهة صدرتْ وضدّ أية جهة.

في ما يتعلق باجتماع المؤتمر القومي العربي في بغداد، يا أخ كريم، المؤتمر القومي العربي ينطلق من قاعدة تقول إن من حقه أن يجتمع في أي قطر عربي بغض النظر عن النظام القائم فيه حتى يكون على احتكاك بالناس. المؤتمر القومي العربي

اجتمع في تونس، اجتمع في الأردن، في عمان، اجتمع في المغرب، اجتمع في الجزائر، اجتمع في مصر الموقعة معاهدة كامب ديفيد، وفي اليمن، وفي البحرين، وكذلك في بغداد. وبالتالي، لماذا يجتمع في القاهرة وفي عمان ونظاماهما موقعان على اتفاقيتي كامب ديفيد ووادي عربة ولا يجتمع في بغداد التي كانت محاصرة؟ نحن نعتقد أن تواصلنا مع الشعب العراقي مهم. أنا أُخترت كرئيس لأول جلسة للمؤتمر وعندما افتتحت الجلسة في كلمة الافتتاح لم أذكر كلمة واحدة أو أية إشارة إلى الرئيس العراقي أو أي مسؤول آخر.

■ ***في أية سنة بالمناسبة انعقد المؤتمر في بغداد؟ أظن قبل سنتين.***

حسيب: كان في العام ٢٠٠١. وقد أبدى طارق عزيز، نائب رئيس الوزراء حينئذ، رغبته في إجراء لقاءٍ مفتوح مع أعضاء المؤتمر القومي العربي. ووافقنا على ذلك بشرط أن يتم اللقاء بعد اختتام أشغال المؤتمر حتى لا يعتبر جزءاً من أعمال المؤتمر، وأن يكون لأعضاء المؤتمر حرية المشاركة في اللقاء أو عدم حضوره. وفعلاً تم هذا اللقاء بعد انتهاء المؤتمر وسُئل أسئلة في منتهى الحرج، فالدكتور عبد الإله بلقزيز ـ مثلاً – سأله متى ستنتقلون من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية وبعد ٣٣ سنة من الحكم؟ وطُرِحَ أسئلة كثيرة من هذا النوع. ونُقِلَ الحوارُ على التلفزيون مباشرة. وبالتالي الاجتماع في بغداد لم يكن على حساب أية مبادئ ولا على حساب الخط الديمقراطي للمؤتمر القومي العربي.

بالنسبة إلى موضوع الأكراد يا أخ كريم، إذا أنت متابع **المستقبل العربي** أو إذا كنت قد شاهدت لي لقاءً سابقاً في بيروت مع محطة «NBN»، شددت على أنني أفرق ما بين الشعب الكردي وما بين قياداته وسوف نتكلم عن هذا الموضوع بتفصيل أكثر. وعندما أتحدث عن بعض القيادات الكردية، فإنني لا أتحدث عن الشعب الكردي الذي أعتز به وأُكِنُّ له كل تقدير ومحبة، وهو جزء من الشعب العراقي ومن حق أبنائه أن يكونوا مواطنين من الدرجة الأولى مثل بقية المواطنين في العراق. وعندما نتحدث عن موضوع الأكراد ستسمع رأيي في هذا الموضوع.

■ ***الآن الأخ هارون محمد، الأستاذ هارون محمد مرحباً بك.***

هارون محمد: يا أهلاً وسهلاً دكتور، أنا حقيقةً لفت نظري في حديث الدكتور خير الدين قوله بأنه يجب محاكمة الفترة من ١٤ تموز/يوليو لغاية ٩/ ٤/ ٢٠٠٣. أولاً هنا أعتقد زج ثورة ١٤ تموز/يوليو والمرحلة التي أعقبتها في هذه المحاكمة مسألة غير شرعية. ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ حدث تاريخي وتعبير نضالي عن كفاح الشعب العراقي. وبالتالي، فإن هذه الثورة حققت إنجازات وتحولات لا يمكن الطعن فيها أو

تجاوزها. هذه ثورة مديدة اشترك فيها الشعب العراقي كله وفي مقدمته الجيش العراقي الباسل ويجب عزل مرحلة ١٤ تموز/ يوليو عن المرحلة التي جاء فيها صدام حسين وسلطته في تموز/ يوليو ١٩٦٨ ، هذه واحدة.

النقطة الثانية لاحظت أن الدكتور خير الدين في جواب عن سؤالك عن موقف التيار القومي في العراق، استخدم لغة دبلوماسية. لا أنا أقول إن التيار القومي في العراق يريد محاكمة عادلة ونزيهة لصدام حسين، محاكمة سياسية، محاكمة المرحلة بأكملها من ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨ إلى ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣. التيار القومي، وأعتقد الدكتور خير الدين يعرف ذلك وكان أول من استهدفه انقلاب ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨ ، ويتذكر الدكتور خير الدين أن أوائل المعتقلين كانوا من القوميين العرب والناصريين، ويتذكر أنه في الوقت الذي كان يُزج بالقوميين والناصريين في سجن «قصر النهاية» ـ والدكتور خير الدين واحد من الذين زُجّ بهم ـ كانت الأحزاب الأخرى توقع بيانات مع صدام حسين وتشترك في حكوماته وتؤلف معه جبهات سياسية. وعلى هذا الأساس، فالتيار القومي يطالب بمحاكمة المرحلة بأكملها على امتداد أكثر من ثلاثة عقود ويجب أن يُستدعى لهذه المحاكمة قادة أحزاب سياسية هم اليوم في الواجهة تعاونوا مع صدام حسين. ونحن في التيار القومي نعتبر أنفسنا المتضررين من حكم صدام حسين. أما بالنسبة إلى علاقة حزب البعث بالتيار القومي، فأعتقد أن الدكتور خير الدين يتذكر أن هناك طلاقاً حدث بين حزب البعث والتيار القومي في العراق منذ أيلول/ سبتمبر ١٩٦١ عندما أيد حزب البعث جريمة الانفصال التي حدثت من قبل مجموعة من العسكريين السوريين التي ساعدها حزب البعث، ويتذكر الدكتور خير الدين أن ستة من أعضاء القيادة القومية وقعوا على وثيقة الانفصال المشؤوم. وعلى هذا الأساس، فإن التيار القومي يطالب أولاً بمحاكمة سياسية وليس شخصية لصدام حسين. صدام حسين ليس شخصاً عادياً، ولم يرتكب جريمة محددة في إطارها الجنائي، إنما مارس ديكتاتورية، وحتى انه عزل حزب البعث. صدام حسين اسميّاً زعيم حزب البعث، ولكنه وضع حزب البعث على الرف.

النقطة الثالثة، أريد أن أشير إلى مسألة في غاية الأهمية: الدكتور خير الدين يقول إن انعقاد المؤتمر القومي في بغداد يشبه عقد اجتماعات سابقة في الجزائر والمغرب. الأمر المثير في هذا الاجتماع يا دكتور أنه في الوقت الذي اجتمع هذا المؤتمر القومي فيه، كان لدينا من القوميين والناصريين المعتقلين في سجون ومعتقلات صدام حسين أكثر من ٥٢ فرداً. وأعتقد أن الدكتور خير الدين يعرف بعض أسماء هؤلاء: عبد الرزاق الأسدي، زيدان النعيمي، طه جزار، ياسين الدليمي وآخرون. طلبنا من

عدد من أعضاء المؤتمر أن يفاتحوا السلطة القائمة يومذاك ببحث وإحالة هؤلاء على محاكم. لم يجرؤ مع الأسف لا الدكتور خير الدين ولا الأعضاء الآخرون في الوفد الذي ذهب إلى بغداد لمفاتحة صدام حسين أو طارق عزيز أو غيرهما من المسؤولين. هؤلاء حكم عليهم من عام ١٩٩٩ إلى نهاية العام ٢٠٠٢. كيف ينعقد المؤتمر القومي في بغداد وهناك قوميون وناصريون معتقلون؟ ماذا يعني هذا؟ سؤال أطرحه لوجه الله وليس لشيء آخر.

حسيب: شكراً للأخ هارون. أنا أتابع مقالاتك في **القدس العربي**. وقبلها كنت تكتب في غير **القدس العربي**. ولديَّ انطباع ايجابي وجيّد عما تكتبه. ولذلك أنا أناقشك كواحد من التيار القومي.

بالنسبة إلى المحاكمات، أنا لم أقل ينبغي محاكمة ثورة ١٤ تموز/يوليو، أنا قلت إن الجرائم ضد الإنسانية وضد حقوق الإنسان تبدأ من ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨. فقد حصل فيها قتل وسَحْل واعتداءات، وأعتقد أنه من حق الناس أن يعترضوا على هذا. ومثلما أنك مقتنع ومؤمن ومعتز بثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، فإنني لست أقل اعتزازاً منك بها.

في ما يتعلق بموضوع التيار القومي ومحاكمة صدام حسين، أنا أجبت عن الموضوع بشكل عام، وقلت إن جميع الناس الذين لديهم شكاوى يقدمونها ويقع تحقيق فيها، والمجلس الوطني المنتخب من الشعب يقرر نوع المحاكمة ونوع العقوبات وكل التفاصيل الأخرى. أنا لم أتكلم عن عدم محاكمة صدام حسين أو غيره، فهذه قضية ليس من حقي وليس من حق غيري أن ينفرد بالقرار فيها. الشعب العراقي له الحق أن يقرر هذا من خلال المجلس الوطني المنتخب.

أما في ما يتعلق بالمؤتمر القومي العربي، الإنسان يحاسب على ما يكتب وعلى ما يقول. أما النيات، فهذه علمها عند الله. أنا أتمنى عليك أن تطلع على البيان الختامي الصادر عن المؤتمر القومي العربي الذي انعقد في بغداد. إذا وجدت فيه كلمة واحدة في تأييد للنظام، أو إذا لم تجد فيه تأكيداً على الديمقراطية وحقوق الإنسان ومناهضة الديكتاتورية. . . إلخ. هذا الكلام كله قيل. أما في موضوع المعتقلين القوميين الذين كانوا موجودين، فلمعلوماتك قام الأخ ضياء الدين داوود، الأمين العام للمؤتمر القومي العربي آنذاك، وبناءً على المعلومات التي قدمها الأخ الدكتور وميض نظمي حول هذه المجموعة، بمفاتحة المسؤولين في العراق في هذا الموضوع، وليس كما نقل إليك أو تعتقده في هذا، وكذلك في الأحاديث التي جرت مع المسؤولين. أولاً المؤتمر القومي العربي لم يطلب مقابلة، بل طُلب منه اختيار أعضاء منه للمقابلة. وفي المقابلة،

أثيرت كل هذه المواضيع مع الرئيس صدام حسين بصراحة. وأستطيع أن أقول لك إن وجودنا في بغداد لم يغير من مبادئنا أو ممارساتنا، والتقينا بعدد كبير من الإخوان القوميين هناك ولم تكن تتاح فرصة اللقاء معهم سابقاً. ونحن طلبنا أمرين قبل الموافقة على عقد المؤتمر: **الأول** أن كل من يُدعى إلى المؤتمر يسمح له بالدخول وبالخروج، و**الثاني** حرية التعبير. وقد احتُرِمت شروطُنا احتراماً تامّاً ولم يقع أي انتهاكٍ لها. وأنا أود أن أُطَمْئِنَكَ إلى أن المؤتمر لم يتنازل في بغداد ولا في غير بغداد، وأرجو أن ترجع إلى البيانات المختلفة الصادرة عن المؤتمر القومي العربي وترى إذا ما كان فيها موقف المؤتمر ثابتاً من كل القضايا وأولها إدانة الاستبداد والقمع والدفاع الدؤوب عن الديمقراطية والحريات العامة وحقوق الإنسان. لقد نهض المؤتمر القومي العربي بدور أساسي في إقناع تيارات كثيرة ومنها الإسلامية بموضوع الديمقراطية والتعددية السياسية التي انتهت بإقامة المؤتمر القومي ـ الإسلامي واتفقنا على برنامج يشدّد على الوحدة العربية والديمقراطية والتعددية السياسية والموقف ضد أمريكا ودعم القضية الفلسطينية. . . إلخ.

■ ***عندي في الحقيقة اتصالات كثيرة والوقت ضيق، آخر اتصالين للأخ الدكتور سعد حسين في لندن والأخ الدكتور هاشم العبيدي في السويد. د. سعد حسين تفضل.***

سعد حسين: مساء الخير، لدي سؤالان للدكتور خير الدين. قال الدكتور خير الدين إن اللقاء مع طارق عزيز كان معلناً على التلفزيون. جزء كان معلناً وجزء لم يكن معلناً؛ وبعض الصحف قالت إن الجزء غير المعلن كان عن توزيع الصكوك على بعض الناس. وهذا كلام قيل لا نعرف صدقه من كذبه.

حسيب: جميع الحوار بُثَّ على الهواء مباشرة.

سعد: ما يقال إنه لم يبث هو توزيع الحصص على بعض النفوس التي اشتراها حزب البعث من القوميين.

■ ***يا أخ سعد هذا مؤتمر، إذا أراد طارق عزيز أن يشتري على فرض، هل ينتظر مؤتمراً على التلفزيون مباشرةً لكي يفعل؟!***

سعد: عندي سؤال ثان، ماذا فعلتم أيها القوميون حتى الآن؟ جررتم الشعوب إلى تهلكة جماعية، لنعطي مثلاً: التيار القومي الحقيقي في الخليج العربي: أنجز وحدةً اقتصادية ووحدة داخلية وكلهم أمراء وكلهم ملوك، ومع الأسف تدعون بأن هؤلاء الملوك والأمراء خونة وعملاء. نسأل أنفسنا من أحسن؟

■ ***د. سعد شكراً لك، الدكتور هاشم العبيدي من السويد تفضل.***

هاشم العبيدي: السلام عليكم، أحييك وأحيي الدكتور خير الدين حسيب.

تعقيباً على كلام الأخ هارون محمد والدكتور خير الدين حسيب، ما يقصده الدكتور خير الدين حسيب على ما أعتقد ليس محاكمة ثورة ١٤ تموز/ يوليو التي قادتها حركة الضباط الأحرار، فهي ثورة وطنية قومية وأغلب الضباط الذين شاركوا الهيئة العليا ١٥ ضابطاً، ١٢ ضابطاً منهم قومي، وأغلبية حركة الضباط الأحرار أكثر من ٣٠٠ ضابط أغلبهم ٩٠ إلى ٩٥ بالمئة منهم قوميون. ولكن هو يحاكم فترة حكم عبد الكريم قاسم الذي قاد انقلابه الصامت ضد ثورة ١٤ تموز/ يوليو في ٣٠ أيلول/ سبتمبر عام ١٩٥٨ بإزاحة نصف الثورة واعتقال القوميين والقيام بعمليات القتل والسحل التي جرت خلال الفترة. عبد الكريم قاسم خلال سنة أعدم ٨٧ ضابطاً قومياً، من العميد الركن ناظم الطبقجلي والعميد الركن الشواف والعقيد رفعت الحاج سرّي إلى الملازم مظفر صالح. ٨٧ ضابطاً، فكيف لا يحاكم عهد عبد الكريم قاسم وهو عسكري وكان قائداً عاماً للقوات المسلحة وشكل مجلس تحقيق عسكرياً، وعرضوا عليه قائمة بأسماء الضباط الأحرار الذين أعدمهم؟ هذا بالنسبة إلى فترة عبد الكريم قاسم. وما تلاها في ثورة شباط/ فبراير ١٩٦٣: تم رد فعل البعثيين ضد الشيوعيين الذين سحلوا القوميين واعتقلوهم سواء في بغداد أو في الموصل أو في كركوك.

النقطة الثانية بالنسبة إلى محاكمة فترة ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨ حتى سقوط بغداد في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣، أول من اعتقل من القوميين هم البعثيون واليسار، في معتقلات «قصر النهاية».

■ ***شكراً أخ هاشم لاتصالك، الدكتور خير الدين حسيب الآن لو سمحت لي نمر على بعض النقاط الرئيسية في الحوار.***

حسيب: أجيب في البداية عن الأسئلة والملاحظات السابقة.

السؤال الأول المتعلق بطارق عزيز، قلت إن الحوار بث كله على الهواء مباشرة. في ما يتعلق بالتيار القومي، ليس كل من حكم باسم التيار القومي يتحمل التيار القومي أو الفكر القومي مسؤوليته، وهذا ينطبق على عدد من الأقطار العربية مثل العراق وسوريا وليبيا وغيرها. أما الخليج العربي، فلم تحدث فيه وحدة اقتصادية. عمر مجلس التعاون الخليجي اليوم صار خمساً وعشرين سنة. وإلى الآن، لم يتفقوا على وحدة جمركية ولا على عملة موحدة. . . إلخ. لقد أنشئ لأغراض أمنية ولا يزال لأغراض أمنية. لا يمكن مقارنة التيار القومي بنجاحات أنظمة الحكم في الخليج العربي لأن أنظمة الحكم في الخليج العربي بدون استثناء ساهمت في احتلال العراق.

انعكاس الوضع العراقي على الانتخابات الأمريكية

■ ***عندي مجموعة مسائل رئيسية ربما أشار إليها بعض الإخوان. أريد أن أعرف انعكاس الوضع في العراق على الانتخابات الأمريكية، سألتك قبل لحظات في الحديث ماذا يمكن أن يحصل في الانتخابات في رأيك، كيف سيؤثر العراق في الانتخابات في حال خسر بوش الانتخابات: هل سيتغير الوضع في العراق؟***

حسيب: بالنسبة إلى الولايات المتحدة فإن الذي يمكن أن يصحح السياسة الخارجية في الإدارة الأمريكية الحالية هو الشعب الأمريكي وذلك من خلال الانتخابات. والانتخابات القادمة هي في الأسبوع الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر القادم. ولأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة، تلعب السياسة الخارجية للولايات المتحدة دوراً مهماً في الانتخابات الرئاسية، وأهم موضوع في السياسة الخارجية الأمريكية الآن هو العراق. فالذي سيقرر نتائج الانتخابات القادمة هو العراق وما سيحصل فيه من مقاومة وضحايا بشرية أمريكية. أما الوضع الداخلي الأمريكي، فله وجهان: اقتصادي وسياسي. في الجانب الاقتصادي ستكون المساءلة حول: ماذا حصل في معالجة البطالة، وماذا حصل للعملة الأمريكية، وماذا حصل لميزان المدفوعات وزيادة العجز، ومجموعة أخرى من العوامل، آخذين بنظر الاعتبار أن الانخفاض الذي تم في أسعار الأسهم في الولايات المتحدة يؤثر تأثيراً مباشراً في حياة الأمريكيين. فالشعب الأمريكي وخلاف معظم شعوب الدول الأوروبية الأخرى أو كلها، يمتلك حوالى ٧٠ بالمئة منه أسهماً. وحتى صناديق التقاعد تستثمر في أسهم، وبالتالي الانخفاض الذي تم في أسعار الأسهم في السنوات الأخيرة من حكم بوش أدت إلى انخفاض حقيقي في دخل الأفراد وحتى التقاعد في المستقبل إضافة إلى زيادة عجز ميزان المدفوعات[٦].

---

(٦) لمزيد من الإيضاح حول تأثير الأوضاع الاقتصادية للولايات المتحدة على سياستها الخارجية، انظر: زياد حافظ، «المشهد الاقتصادي في الولايات المتحدة وتداعياته على سياساتها الخارجية،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٦ (آب/ أغسطس ٢٠٠٤)، وجوليان بورغر، «حرب العراق ستكلف كل عائلة أمريكية ٣٤١٥ دولاراً،» **الغارديان**، ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٤، ذكر فيه، نقلاً عن التقرير الذي نشر يوم ٢٤ حزيران/ يونيو ٢٠٠٤ من قبل معهدي «معهد دراسات السياسة» (Institute for Policy Studies)، و«السياسة الخارجية في بؤرة الاهتمام» (Foreign Policies in Focus P. T. O) بأن الولايات المتحدة قد أنفقت أكثر من ١٢٦ مليار دولار على الحرب في العراق، والتي ستكلف في النهاية كل عائلة أمريكية ما يقدر بمبلغ ٣٤١٥ دولاراً حسب التقرير الذي أعده المعهدان.

كما أشار التقرير إلى أنه إضافة إلى هذا المبلغ الذي أقره الكونغرس حتى الآن، فإن مبلغ ٢٦ مليار دولار آخر من المحتمل إنفاقه حتى نهاية العام الحالي.

بالنسبة إلى الانتخابات الجارية، هناك أصوات تسأل، ومن حقها أن تسأل والسؤال مشروع، ما هو الفرق بين بوش وبين كيري؟ أنا أعتقد أن هناك فروقاً أساسية بينهما. قد لا يختلفان في سياستهما بالنسبة إلى إسرائيل، لكن هناك فروقاً أساسية تؤثر فينا وفي العالم كله. بوش عنده مخطط شامل لمنطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية؛ العراق هو البداية. وهناك تصريحات علنية لكولن باول وغيره حول أن العراق هو البداية لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، وبعد العراق تأتي سورية وإيران وإعادة ترتيب البيت السعودي والمصري. . . إلخ. كيري والديمقراطيون لا يوجد لديهم مثل هذا المخطط. فهناك فرق إذا نجح بوش، لا سمح الله، في السيطرة على العراق ونجح في الانتخابات، فالخطوة التالية ستكون سورية ولبنان وإيران، وليس بالضرورة عن طريق الغزو. وقد تلجأ أمريكا إلى سياسة الضغوط والإملاءات، كأن تقدم مطالب معينة إذا نفذت نفذت وإذا لم تنفذ يُلْجَأُ إلى أساليب أخرى (إسرائيل وغيرها). وقد يكون منها أيضاً ضرب المفاعلات النووية في إيران من قبل إسرائيل أو من قبل أمريكا أو الاثنتين معاً.

بوش يؤمن بالحرب الاستباقية، ولكن كيري لا يؤمن بالحرب الاستباقية إلا إذا كانت تهدد الأمن القومي الأمريكي مباشرةً. بوش يؤمن بالعمل الانفرادي، يريد أن ينفرد بالنظام الدولي ويريد الهيمنة الأمريكية على العالم، أي ما يسمى «Hegemony» أو العمل الانفرادي، أو ما يسمى (Unilateralism). كيري في المقابل يؤمن بالعمل الدولي المشترك والجماعي ودور الولايات المتحدة يكون دور قيادة (Leadership) وليس دور هيمنة. وهذه الأمور لها نتائج مختلفة. بوش متزمت أيديولوجياً وعنيد وأقل خبرة شخصية، بالمقارنة مع كيري، فهذا منفتح على آراء الآخرين وذو خبرة شخصية أكبر. هذه هي الفروق الرئيسية بين الاثنين(٧). حالياً، وحسب استطلاعات الرأي العام التي تمت أمس (٨/ ٧/ ٢٠٠٤)، بعد أن أعلن كيري انضمام إدواردز نائباً للرئيس، كان هناك استطلاعان: استطلاع لمحطة سي بي إس التلفزيونية، حصل فيه كيري ونائبه على ٤٩ بالمئة ، أما بوش وتشيني، فحصلا على ٤٤ بالمئة أي هناك خمس نقط فرق. الاستطلاع الثاني الذي قامت به محطة إي بي سي الأمريكية، فريق كيري حصل على ٤٩ بالمئة ، وحصل فريق بوش على ٤١ بالمئة أي بفارق ثمانية نقاط.

■ ***قد يُقْدم عراقيون أمريكيون معارضون لانتخاب بوش على انتخابه حين يسمعونك لمجرَّد معارضتهم موقفك.***

حسيب: دور إخواننا العرب الأمريكيين يجب أن يكون حاسماً في هذه

(٧) حول هذا الموضوع، انظر: راغدة درغام، «حملة كيري تتنشط مع إدواردز. . . . والآن بدأ الحكم على الفوارق مع بوش ـ تشيني،» **الحياة**، ٩/ ٧/ ٢٠٠٤.

الانتخابات، والتمني عليهم أن لا يقعوا في الخطأ الذي وقعوا فيه في الانتخابات السابقة في عام ٢٠٠٠، حيث يُعتقد أن ثلثيهم صوتوا لبوش. وأرجو أن لا ينظروا إلى القضية كقضية جمهوري وديمقراطي، ولكن أن ينظروا إلى أن عدم التجديد لبوش ينقذ المنطقة العربية والأمة العربية من دمار محتم، وعلى الأقل في الزمن القصير.

■ ***هذا رأيك في الموضوع الأمريكي، قبل أن نأخذ رأيك في الموضوع الكردي، إذا فاز كيري حسب رأيك ما هو الانعكاس المحتمل؟***

حسيب: كيري يريد أن تعمل أمريكا من خلال الأمم المتحدة ومع المجموعة الدولية، وهو غير مسؤول عما حصل. وإذا أردنا أن نلخص في كلمات محدودة الموقف، فإن كيري يقول: بوش وضع الأمريكيين في مستنقع العراق وهو يريد أن يخلص أمريكا من المستنقع العراقي.

الأكراد في الوضع السياسي الحالي للعراق

■ ***بالنسبة إلى الأكراد ما هي معلوماتك وتقييمك لوضعهم الآن في الوضع السياسي الحالي للعراق.***

حسيب: أنا ممن يفرقون بين القيادات الكردية والشعب الكردي. الشعب الكردي هو جزء من الشعب العراقي وهناك علاقات وثيقة جداً بينهما. لو تعرف درجة الاختلاط الموجود ما بين الأكراد والعرب في مناطق مختلفة، لكني أعتقد أن القيادات الكردية لا تمثل حقيقة الشعب الكردي. وخلافاً لما يقولونه من أن كردستان واحة ديمقراطية، فالحقيقة أنها ليست واحة ولا ديمقراطية. في عام ١٩٩٤ فقط جرت انتخابات، وحتى نتائج الانتخابات لم تعترف بها القيادات الكردية وتم تقاسم المقاعد بينهما بالتراضي. واستمر الوضع سنة واحدة فقط كانت فيها حكومة مركزية ثم انفصلا. والآن، هناك حكومة في السليمانية وحكومة في أربيل وهناك مجلس في السليمانية ومجلس في أربيل. ليس هذا فقط، بل كان هناك أيضاً قتال مسلح في ما بينهما، وكان هناك الكثير من الضحايا إلى حد أن جلال الطالباني احتل أربيل التابعة لمسعود البارزاني، ومسعود استعان بصدام لاستعادة أربيل. وعمليات التهجير التي تمت من منطقة جلال إلى منطقة مسعود ومن منطقة مسعود إلى منطقة جلال كانت عمليات تهجير كبيرة. فأين الديمقراطية في كل هذا؟

أما عن كركوك، فيقولون بالعودة إلى إحصاء السكان الخاص بعام ١٩٥٧. لماذا ١٩٥٧؟ لأن هذا الإحصاء تم قبل ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨، وهم يعتقدون أن ما بعدهُ حصلت فيه تدخلات. الأرقام موجودة عندي: في مدينة كركوك، لا يشكل

الأكراد الأكثرية[٨]. الأكثرية هم التركمان والعرب. وفي لواء كركوك ككل، ليسوا أكثرية. وفي العراق ككل ليست نسبتهم كما يقولون ما بين ٢٠ و٢٥ بالمئة ، هم ١٦,٤ بالمئة[٩]. أما بالنسبة إلى لواء الموصل «والذي يسمى محافظة الآن»، فقد كانت نسبة الأكراد في مدينة الموصل بموجب إحصاء عام ١٩٥٧ ٣,٤ بالمئة ونسبة العرب ٩٤,٧ بالمئة ، أما في بقية لواء الموصل حينذاك فكانت نسبة العرب ٤٤,١ بالمئة ونسبة الأكراد ٣٩,٢ بالمئة علماً بأن نسبة الأكراد في بقية لواء الموصل انخفضت كثيراً بعد إحصاء عام ١٩٥٧ حيث تم في عام ١٩٧٠، عند صدور قانون الحكم الذاتي للأكراد، فصل الأقضية الكردية التابعة للواء الموصل وإقامة محافظة جديدة باسم محافظة «دهوك» والتي تضمنت قضاء دهوك وبقية الأقضية الكردية التي كانت تابعة للواء الموصل (عمادية، عقرة، الشيخان إلخ) وبذلك تكون نسبة الأكراد في بقية لواء الموصل قد انخفضت كثيراً بعد عام ١٩٥٧[١٠]. والذي يريد من المستمعين أن يحصل

---

(٨) بلغت نسبة الأكراد في مدينة كركوك حسب إحصاء عام ١٩٥٧، ٣٣,٣ بالمئة، في حين كانت نسبة التركمان ٣٧,٦ بالمئة، ونسبة العرب ٢٢,٥ بالمئة، أي أن نسبة الأكراد في مدينة كركوك هي حوالى ثلث عدد السكان فقط. كما بلغت نسبة الأكراد في لواء كركوك ككل ٤٨,٢ بالمئة، في حين كانت نسبة العرب والأكراد مجتمعين في لواء كركوك ككل ٤٩,٦ بالمئة، أي أن الأكراد لم يشكلوا الأكثرية في عام ١٩٥٧. انظر: العراق، وزارة الداخلية، مديرية النفوس العامة، **المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٧٥ : لواءا السليمانية وكركوك**، ص ٢٤٣.

(٩) انظر: العراق، وزارة التخطيط، دائرة الإحصاء المركزية، قسم الأبحاث والنشر، **المجموعة الإحصائية السنوية العامة، ١٩٦٤** (بغداد: مطبعة الحكومة، ١٩٦٥)، الجدول رقم ١٢٦ حول «تصنيف سكان العراق حسب الجنس واللغة الأصلية لسنة ١٩٥٧»، ص ١٣٠، والذي يذكر أيضاً أن نسبة التركمان في العراق عام ١٩٥٧ كانت حوالى ٢,٢ بالمئة، وأنه إذا افترضنا أن عدد سكان العراق حالياً هو ٢٧ مليون نسمة تقريباً وأن نسبة التركمان في مجموع السكان لم تتغير، يكون عدد التركمان في الوقت الحاضر حوالى ٦٠٠ ألف نسمة وليس ٢ إلى ٣ مليون نسمة كما تردده بعض الأوساط وعلى أساس غير علمي.

(١٠) انظر الجدول السادس عشر حول «تصنيف السكان من حيث الجنس، ولغة الأم للواء الموصل» في: العراق، وزارة الداخلية، مديرية النفوس العامة، **المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٧٥ : لواءا الموصل وأربيل**، ص ١٧١. وقد تم اشتقاق النسب المئوية من الأرقام المذكورة في الجدول المشار إليه.

وأما بالنسبة إلى ادعاءات الأكراد حول ديالى والكوت، فبالنسبة إلى لواء ديالى كانت نسبة العرب حسب إحصاء عام ١٩٥٧ في مدينة بعقوبة «مركز اللواء» ٩٨,٦ بالمئة ونسبة الأكراد ٠,٧ بالمئة، وأما في باقي لواء ديالى فكانت نسبة العرب ٧٨,١ بالمئة ونسبة الأكراد ١٩,٢ بالمئة، وبالنسبة إلى لواء ديالى ككل كانت نسبة العرب ٧٩,٣ بالمئة ونسبة الأكراد ١٨,٢ بالمئة. أما بالنسبة إلى لواء الكوت فكانت نسبة العرب في مدينة الكوت «مركز اللواء» ٩٨,٩ بالمئة ونسبة الأكراد ٠,٨ بالمئة، وفي بقية لواء الكوت كانت نسبة العرب ٩٨,٩ بالمئة ونسبة الأكراد ٠,٩ بالمئة، وفي لواء الكوت ككل كانت نسبة العرب ٩٨,٩ بالمئة ونسبة الأكراد ٠,٩ بالمئة. انظر الجدول رقم ١٦ في: العراق، وزارة الداخلية، مديرية النفوس العامة، **المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٧٥ : لواءا ديالى والكوت**، ص ١٠٧.

وقد أظهرت نتائج الاستطلاع على مستوى العراق الذي قام به «Oxford Research International» خلال =

على التفاصيل، يرسل إلي بريداً الكترونياً إلى مركز دراسات الوحدة العربية، وأنا مستعد لتزويده بالمعلومات.

إضافة إلى هذا لا يمكننا أن ننكر أن هذه القيادات الكردية ساهمت في احتلال العراق من قبل القوات الأمريكية، ثم حاولت بعد ذلك من خلال ما يسمى «قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية» - الذي لم يعترف به قرار مجلس الأمن رقم ١٥٤٦ ـ فرض مادة هي المادة التاسعة حول ان اللغة العربية واللغة الكردية هما اللغتان الرسميتان للعراق، العراق كله... إلخ. وقد نصت تلك المادة أيضاً على ضرورة أن تصدر الجريدة الرسمية **الوقائع العراقية** باللغتين. يضاف إلى ذلك أن التحدث والمخاطبة والتعبير في المجالات الرسمية في الجمعية الوطنية ومجلس الوزراء والمحاكم والمؤتمرات الرسمية تكون بأي من اللغتين، بينما في كردستان تسود اللغة الكردية وحدها!

كما أعطى هذا القانون المحافظات الكردية الثلاث ما يشبه حق الفيتو على نتائج الاستفتاء على مسودة الدستور الدائم، حيث تشير الفقرة (ج) من المادة الواحدة والستين على:

«(ج) يكون الاستفتاء العام ناجحاً ومسودة الدستور مصادقاً عليها، عند موافقة أكثرية الناخبين في العراق، وإذا لم يرفضها ثلثا الناخبين في ثلاث محافظات أو أكثر». وهذا يعني أن ثلثي الناخبين في محافظات السليمانية وأربيل دهوك يمكن أن يلغوا استفتاءً على دستور دائم وافقت عليه أكثرية الشعب العراقي. إن إعطاء حق الفيتو للأقلية للسيطرة على قرار الأغلبية لا ينسجم مع أسس الديمقراطية الحقيقية، والمفترض أن هذه الأمور تُبحث في الجمعية الوطنية المنتخبة والتي تتولى إعداد الدستور الدائم، قبل عرضه على الاستفتاء، **بالتوافق** كلما كان ذلك ممكناً.

= شهر شباط/ فبراير ٢٠٠٤ وشمل جميع العراق على أساس من مقابلات تمت مع ٢٧٣٧ مستجوباً في جميع أنحاء العراق بأن نسبة الذين لغتهم الأم العربية هي ٧٩,١ بالمئة وأن الذين لغتهم الأم هي الكردية يمثلون ١٧,٤ بالمئة، وأن التركمان يمثلون ٢ بالمئة. أما حول اللغة التي يتكلمونها في بيوتهم، فقد أظهر الاستطلاع أن الذين يتكلمون العربية في بيوتهم ٧٩,١ بالمئة، وأن الذين يتكلمون الكردية ١٧,٢ بالمئة وأن الذين يتكلمون اللغة التركمانية هم ٢,٣ بالمئة. كما أظهر هذا الاستطلاع أن نسبة المسلمين الشيعة هي ٣٣,٣ بالمئة وأن نسبة المسلمين السنة هي ٤٠,٢ بالمئة، وأن المسلمين بدون تمييز لطائفتهم كانوا ٢٢,٥ بالمئة. كما بين الاستطلاع أن نسبة المسيحيين الكاثوليك هي ١,٩ بالمئة وأن نسبة المسيحيين الأرثوذكس هي ١ بالمئة وأن نسبة المسيحيين بدون تمييز هي ٠,٥ بالمئة وأن نسبة الزيدية هي ٠,٥ بالمئة. انظر: Oxford Research International-National Survey of Iraq-February 2004.

■ ***عندما يكونون في بغداد يتحدثون باللغة الكردية، أو إذا شاركوا في اجتماع عربي يستعملونها.***

حسيب: يمكن في المجلس الوطني أن يتحدث المرء بالكردية حتى دون أن يفهمها الآخرون.

■ ***وإذا ذهبوا إلى اجتماع وزراء الخارجية العرب، هل يتحدثون بالكردية ويطلبون من عمرو موسى أن يسمح بالترجمة؟***

حسيب: الاعتراف في الوثائق الرسمية والمراسلات باللغتين، وإصدار الوثائق الرسمية بهما. ومبدأ المساواة يسري على فتح المدارس باللغتينْ وطبع الأوراق النقدية وإصدار الجوازات باللغتين. في أي بلد في العالم توجد على عملتها لغتان محليتان أو على جواز السفر فيها لغتان محليتان؟ حين نضع الانكليزية على العملة أو على الجواز، فلأنها لغة أجنبية. وهناك أشياء أخرى في هذا القانون لم يعترف بها قرار مجلس الأمن.

■ ***ألا يوجد احتمال بأن يكون الأكراد خائفين من ظلم العرب بعد ظلم صدام؟***

حسيب: بالنسبة إلى موضوع الخوف، سأقسم المرحلة إلى قسمين: منذ تقسيم الدولة العراقية إلى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ومن ١٩٥٨ إلى ما بعد. في ما يتعلق بتأسيس الدولة العراقية منذ عام ١٩٢٠ وما تلاها، فالعرب في العراق ليسوا مسؤولين عن تقسيم كردستان. كردستان قسمت بموجب معاهدة «سيفر» ما بين تركيا وإيران والعراق، مثل ما حصل في «سايكس بيكو» حين قسموا المشرق العربي كله (فلسطين والأردن وسوريا ولبنان). فنحن العرب في العراق لسنا مسؤولين عن تقسيم كردستان.

في ما يتعلق بالتعامل مع إخوتنا الكُرد، أعتقد أنه خلال الفترة من تأسيس الدولة إلى عام ١٩٥٨ كان الكُرد يُعَاملون معاملة متميزة. مثلاً الشخص الثاني كان في العهد الملكي هو رئيس الديوان الملكي بعد رئيس الوزراء. ورئيس الديوان الملكي معظم ـ الفترة كان أحمد مختار بابان. وخلال هذه الفترة، كان هناك اثنان من رؤساء الوزراء من الأكراد. وعدد كبير من وزراء الداخلية كانوا أكراداً، وكذلك عدد كبير من المتصرفين (الآن نسميهم محافظين) كانوا أكراداً، كما أن نسبة الضباط الأكراد في الجيش العراقي كانت أكثر من نسبتهم من السكان. وبالتالي لا يستطيعون أن يتحدثوا عن غبن في تلك الفترة. ما تلا ١٩٥٨ فترة تشابكت فيها الأمور ومن الصعب إطلاق حكم عام لأن كل واحد يتصور أنه هو المظلوم. وأنا كما قلت في مناسبة سابقة، إذا كان النظام السابق يملك ميزة، إذا كان لك أن تعتبرها ميزة، فهي «العدالة في الظلم». المقياس عنده لم يكن القومية أوالطائفية، بل المعيار كان في تقدير النظام من

هو الذي يشكل خطراً عليه. هذا هو المعيار، وهو الذي يفسر لماذا قاسى البعثيون منه أكثر من غيرهم.

■ ***الآن بالنسبة إلى الوضع الجديد، وضع الأكراد حالياً.***

حسيب: أنا أعتقد أن الحل يجب أن ينطلق من مبدأ «المواطنة». المواطنون متساوون في الحقوق والواجبات.

■ ***من دون فدرالية للأكراد.***

حسيب: أنا لا أحب التسمية، تسمية الفدرالية اختلطت فيها الأمور وباتت لها مضاعفات كثيرة. ما يهمني هو المحتوى.

■ ***ولكن تقبل بحقوق وبحكم ذاتي.***

حسيب: هناك حكم ذاتي وحقوق مدنية. هذا من حقهم، وأنا أؤيد هذا وأطالب به.

■ ***لكن لا تقبل أن يفرضوا مثلاً اللغة الكردية على كل العراق؟***

حسيب: لماذا؟ أنا أفهم أن الذي يعمل في المنطقة الكردية يجب أن يعرف الكردية، لكن ما ذنب الناس في مناطق أخرى لكي يتعلموا لغة كردية لن يستعملوها في حياتهم. هذه مطالب أخافت العراقيين بكل توجهاتهم.

في ما يتعلق بموضوع تقرير المصير والانفصال.. إلخ، هناك قضيتان منفصلتان. إذا ما توصل الكُرد في المستقبل، في مجموع مناطق كردستان (في تركيا وإيران والعراق)، إلى الحصول على حق تقرير المصير وقرروا الانفصال، فمن حقهم أن ينفصلوا بمن فيهم الأكراد في العراق. أما في الوقت الحالي، فلا يستطيع العراق أن يعطيهم حق الانفصال. يستطيع أن يوفر لهم حقوق المواطنة الكاملة، وأن يمنحهم الحكم الذاتي ضمن الدولة العراقية، لأنه لو أعطي حق تقرير المصير لهم وانفصلوا ستنفجر المنطقة بصراعات لن تنطفى حرائقها وسيؤثر ذلك في الأمن القومي العراقي والعربي.

الجيش العراقي

■ ***أخيراً في دقيقتين فقط، هل عندك أي تعليق على تكوين الجيش العراقي الجديد؟***

حسيب: نحن درسنا هذا الموضوع في ندوة أخيرة عقدها المركز، ووصلنا إلى قناعة أنه يجب الفصل بين الجيش والسياسة. الجيش يجب أن يكون خاضعاً للقيادة

السياسية، والأحزاب يجب أن تُمنع من العمل داخل الجيش. وبالتالي، أي جيش عراقي تتم إعادة تكوينه يجب أن يكون هذا المبدأ حاكماً له. وأي ضباط سابقين يريدون العودة يجب تخييرهم بين الانتماء السياسي وترك الجيش أو بين الالتحاق بالجيش وترك السياسة. والجيش العراقي هذا ليس ملكاً لحزب البعث أو لأي نظام آخر. الجيش العراقي له تاريخ وطني وقومي، عندما أُنشئ أول فوج من الجيش العراقي، في عام ١٩٢١ (فوج موسى الكاظم)، كان نشوؤه نتيجة نضال وطني حقيقي. الأمريكان أخذوا الآن كل أسلحة الجيش العراقي (دبابات، عربات، طائرات، أدوات) وقطّعوها إلى ثلاث قطع ورموها خردة وصدروها إلى خارج العراق. فحتى الجيش العراقي الآن لا يوجد لديه سلاح.

■ ***يمكن أن يقدموا له سلاحاً في ما بعد عقب تشكيله.***

حسيب: هذا موضوع آخر، هل يتسلح أمريكياً أو لا يتسلح أمريكياً، هل يبقى تحت رحمة الأمريكي أم لا. في هاتين الدقيقتين أردت فقط أن اقول إن التقرير الذي قدم من البنتاغون إلى الكونغرس عن الشرطة والجيش الذي شكلته قوات الاحتلال يقول إن ٢٠ بالمئة منهم سوف يتم الاستغناء عنهم لأنهم لا يصلحون، وأن نسبة عالية منهم إما لم يقاتل مع الأمريكان أو انضم إلى الطرف المقابل أو كان يسرب أخباراً للعراقيين المعادين لأمريكا. وبالتالي، يعتبرون أن التجربة فاشلة. وأنا عندي تقرير في هذا الموضوع، ولكن ليس هناك وقت لذكر التفاصيل. فالعملية ليست سهلة، يجب أن يُفتح المجال لجميع العسكريين الذين يتخلون عن الانتماء السياسي الحزبي للانضمام إلى الجيش.

■ ***المشكلة أنك لا تقبل أن يتم هذا تحت حكومة أياد علاوي، أنت لا تثق في حكومة علاوي.***

حسيب: هذه النسبة التي أتكلم عنها: العشرين ألفاً، الذين سيخرجونهم كلهم، كان تجنيدهم من قبل أياد علاوي وبريمر، لأنه كان مسؤولاً في «مجلس الحكم» عن اللجنة الأمنية.

■ ***ومع ذلك طلعت النتيجة غير مشجعة للبنتاغون. د. خير الدين حسيب في ضوء ما رسمته في هذه الصورة، إذا جاز السؤال، هل أنت متفائل بأن الأمور في العراق ستمضي في الاتجاه التي تطمح إليه، اتجاه تعزيز المقاومة، تغيير الوضع في أمريكا، قبول الأمم المتحدة بلعب دور حقيقي يسمح باختيار حر للشعب العراقي أم أنه من الصعب على العراقيين الآن أو على من يرى رأيه أن يغير هذا الاتجاه الذي تدعمه أمريكا الآن؟***

حسيب: أظن أنك كنت قد سألتني سؤالاً مماثلاً في مقابلة سابقة، وقلت لك

في ذلك الوقت أن الدراسات المستقبلية تشير إلى أن المستقبل ليس قدراً محتوماً، وهناك خيارات مختلفة بعضها أفضل من بعض ويعتمد اختيارنا للخيار الأفضل على مدى استعدادنا ورغبتنا وقدرتنا على دفع الثمن المطلوب. ضمن هذه الحدود، وفي حدود معلوماتي، أنا متفائل أكثر من أي وقت مضى بمستقبل العراق والانسحاب الأمريكي منه. وإذا كانت أمريكا قد كسبت «المعركة» فإن العراق هو الذي سيكسب «الحرب» في الأخير.

■ ***د. خير الدين حسيب المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية والأمين العام الأول للمؤتمر القومي العربي والوجه القومي العربي البارز في العراق وفي العالم العربي، أشكرك على إجاباتك هذه عن أسئلتي وأسئلة السادة المشاركين، وأعتقد إنْ شاءَ الله أنها ستكون مفيدة لكل السادة المشاركين.***

القسم الثالث

مستقبـــل العــراق

(٩)
المشاهد المستقبلية المحتملة في العراق(*)

مقدمة

سأحاول في هذه الورقة، وبعد ملاحظتين عامتين أوليتين، أن أشير إلى الأسباب الحقيقية لاحتلال الولايات المتحدة ـ ومن معها ـ للعراق، وما نتج من ذلك من مقاومة للاحتلال في هذا البلد، ليساعدنا ذلك في فهم المشاهد المستقبلية (السيناريوهات) المحتملة لهذا الاحتلال.

أما بخصوص **الملاحظتين العامتين**، فأود أن أبدأ أولاً بمجازفة، بمصارحة إخواني المشاركين من العرب ومن العراقيين العرب في موضوعين: **الأول موضوع الديمقراطية.** لحسن الحظ أن الديمقراطية أصبحت مطلباً متفقاً عليه بين التيارات الرئيسة في الأمة أو في أغلبها. لكن هذا شيء والتطبيق شيء آخر. الديمقراطية لا يمكن تعلمها بقراءة كتاب عن **كيف تطبق الديمقراطية**؟ لا بد من الممارسة، والممارسات حتى في ما يسمى المجتمع المدني أو الأهلي كما في الأحزاب لا تبشر بكثير من الخير. هذا لا يعني أن علينا أن نؤجل الديمقراطية أو أن نستغني عن الديمقراطية. على العكس، نحن في مركز دراسات الوحدة العربية، منذ سنة ١٩٧٩

(*) في الأصل ورقة تقدم بها د. خير الدين حسيب إلى: ندوة «احتلال العراق وتداعياته عربياً وإقليمياً ودولياً» التي عقدها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت بتاريخ ٨ ـ ١١ آذار/مارس ٢٠٠٤. . . وتحييناً لهذه الورقة، أُدخلت إضافات على مادتها بحيث تستوعب التطورات والمتغيرات التي طرأت على المشهد العراقي منذ تاريخ انعقاد الندوة ـ في آذار/مارس ٢٠٠٤ ـ حتى نهاية آب/أغسطس ٢٠٠٤: تاريخ إدخال التعديلات هذه. وقد نشرت هذه الورقة في **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٧ (أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤)، ص ٦ ـ ٣٠. وكذلك في الكتاب الذي ضمّ الوقائع الكاملة للندوة، أوراقاً وتعقيبات ومداخلات، انظر: **احتلال العراق وتداعياته عربياً واقليمياً ودولياً: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية** (بيروت: المركز، ٢٠٠٤). وقد تم إدخال بعض التعديلات على تلك الورقة من المصادر التي توفرت في ما بعد. وتمثل هذه الدراسة وجهة نظر الكاتب الشخصية، ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر مركز دراسات الوحدة العربية.

وحتى الآن مهتمون بموضوع الديمقراطية وحقوق الإنسان. لا بد من تجربة الديمقراطية والتعلم من الأخطاء، ولكن في الأوضاع العربية الحالية، ثمة أنظمة تعرفون طبيعتها ومعارضة أو قوى وطنية معظمها لا يريد التفاهم أو التعاون مع هذه الأنظمة، ومعظم هذه الأنظمة لا يريد التعامل مع القوى الوطنية أو المعارضة.

كيف يمكن حل هذا المأزق؟ لقد جرت تجارب محدودة في المغرب وفي الأردن ثم انتكست. وفي البحرين ثم انتكست قليلاً. وأعتقد أن أحد الأسباب هو أن الديمقراطية لم تصبح، حتى الآن عندنا كشعوب، «قيمة» بحد ذاتها لها أهمية المأكل والملبس والمسكن نفسها، بحيث إذا افتقدناها كنّا مستعدين للتضحية من أجلها بما تتطلبه هذه التضحية. وسيمضي وقت غير قليل حتى تترسخ فينا هذه القيمة، ونستعد للدفاع عنها. وللأسف فقد لجأ عديد من الحركات الوطنية في الوطن العربي، بسبب قلة الصبر، وبدلاً من تبني بعض المعارضات أسلوب الضغط على الحكومات وانتزاع بعض الحقوق، إلى أسلوب الاستعانة بالمؤسسة العسكرية والانقلابات العسكرية، وما ترتب على ذلك من تولي هذه القيادات العسكرية، وبشكل متزايد، السلطة، وما نجم عن ذلك من «ترييف» للسلطة وإدخال نسق قيم عشائري وقبلي، وسيادة مفاهيم التعصب العنفي الاستبدادي وإشاعة حملات العقاب الجماعي للمدن[١]. كما لجأت بعض المعارضات الخارجية، ولكن بشكل أخطر، إلى الاستعانة بقوى خارجية يمكن أن تكون أمريكا، أو قوى أخرى. ومثال العراق أمامنا جميعاً لنأخذ منه العبرة[٢].

الملاحظة الثانية وهي خاصة موجهة لإخواني المشاركين من العراق. من المحزن أنه منذ عام ١٩٢٠ إلى الآن لا يوجد إجماع أو شبه إجماع وطني عراقي إيجابي على ملك أو قائد أو رئيس وزراء ممن حكموا العراق.. ألا ينبغي مثلاً أن تكون للملك فيصل الأول مكانة في تاريخ العراق أكثر مما أعطته معظم كتب التاريخ؟ وهل كان من الإنصاف أن يحطّم تمثاله في بغداد بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨؟ هذا مثال فقط، وهو ما ينطبق بدرجات مختلفة على آخرين في تاريخ العراق المعاصر. لقد كان هناك دائماً تركيز على السلبيات. كما أنه كثيراً ما تختلط الشائعات بالسياسة في العراق أكثر مما

(١) حول ترييف السلطة في العراق، انظر: زهير المخ، «انتصار المدينة في المشهد السياسي العراقي الجديد،» **الشرق الأوسط**، ٢/ ١/ ٢٠٠٤، ص ٨، وغسان سلامة، ««تمدن» السكان و«تريّف» السلطة،» في: غسان سلامة، **المجتمع والدولة في المشرق العربي**، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، محور المجتمع والدولة، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، الفصل ٦، ص ٢١٣-٢٤٦.

(٢) للاطلاع على شهادات الواقع التي تحسم الجدل القائم حول فرضية الاستعانة بالأجنبي من أجل التغيير في الداخل، انظر على سبيل المثال لا الحصر: فهمي هويدي، «خدمة جليلة قدمها الاحتلال الأميركي للعراق،» **الشرق الأوسط**، ١٠/ ١٢/ ٢٠٠٣.

تختلط في غيره، ولذلك سأقول بعض الأشياء الموجهة لإخواننا بالعراق، وسأضطر لقول أشياء لم أكن أبداً لأقولها لولا هذه المناسبة.

بالنسبة إلى نظام حزب البعث بعد ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨، أنا كنت بين أوائل ضحايا النظام، فقد أودعت السجن يوم ٢ آب/ أغسطس وبقيت سنتين وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً، انتقلت فيها بين ستة سجون، منها تسعة أشهر في سجن يسمى «قصر النهاية» (يعني نهاية الإنسان)؛ ولا تزال على ساقي آثار التعذيب. وفي عام ١٩٧٤ طُلب مني مغادرة العراق، وجئت إلى بيروت وبقيت فيها حتى الآن. أقول هذا لأنني أعتقد أن علينا نحن الذين ندعي أننا وطنيون عراقيون أن لا ننطلق من أوجاعنا الشخصية وأن نتخلص من الحقد، وبدون التخلص من الحقد لن تكون لنا نظرة موضوعية ولن نعطي الإيجابيات والسلبيات حقها **ونقدر الأخطار النسبية** التي تواجه العراق.

أقول هذا وأنا، كما ذكرت قبل قليل، مدرك لمدى ما بلغته لاديمقراطية النظام السابق وقسوته. ولكن من غير الصحيح أن تتصور أية جهة أو طائفة أو قومية أن هذا كان موجهاً ضدها وحدها، فإحدى «مزايا» صدام حسين، إذا كانت هذه «ميزة»، هي «العدالة في الظلم». كان يتعامل على أساس اعتبارات أخرى هي أمن النظام ومن يشكل خطراً عليه وليس على أساس اعتبارات طائفية. يجب أن نذكر هذا أيضاً مقابل كل هذه القسوة والتعسف اللذين لم ينفرد بهما العراق وحده، وربما كان الفارق بينه وبين غيره في هذا اختلافاً في الدرجة!

إن علينا أن ننصف الناس بأن نذكر إيجابياتهم[٣] بقدر ما نذكر سلبياتهم. يجب أن نتذكر أن النظام الذي أسقطه الاحتلال الأمريكي كان قد أخذ أول جائزة من اليونيسكو في عام ١٩٨١ عن نجاحه في القضاء على الأمية في بلدان العالم الثالث؛ كما أَمَّمَ صناعة النفط الأجنبية في العراق عام ١٩٧٢ بكل ما ترتب على ذلك من مواقف غربية نحوه، كما أفاد دول المنطقة بعد أن نجحت عملية تأميم النفط. ثم إن هذا النظام بنى قاعدة صناعية[٤]. وأنا إلى غاية مغادرتي العراق في العام ١٩٧٤ كنت أعرف كل المصانع بحكم المواقع التي كنت فيها في العراق. وعندما دخل مفتشو أسلحة الدمار الشامل في أواخر عام ٢٠٠٢، وكانت جولاتهم تُبَثُّ فضائياً وتبيّن

---

(٣) انظر: كمال ديب، **زلزال في أرض الشقاق: العراق، ١٩١٥ ـ ٢٠١٥** (بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٣)، ص ٤٧٦.

(٤) انظر: «Social and Economic Development,» in: Majid Khadduri, *Socialist Iraq. A Study in Iraqi Politics Since 1968* (Washington DC.: Middle East Institute, 1978), pp. 111-140.

المنشآت التي يفتشونها، فوجئت بقاعدة صناعية جديدة تماماً، هي مبعث فخر واعتزاز لأي بلد يقيمها ولأي مواطن فيه ولو كان معارضاً[٥]. كما يجب أن لا ننسى المساعدات التي قدمها النظام إلى العديد من الأقطار العربية وبعض الدول غير العربية، ابتداء من الدعم العسكري، كما حصل في حرب ١٩٧٣ والمساعدة العسكرية للسودان واليمن وتونس (من أجل الحفاظ على وحدتها) وموريتانيا (لصد هجوم السنغال)، وانتهاء بالمساعدات المالية السخية التي قدمها العراق لبلدان عربية وغير عربية. وهناك أمور أخرى. ويجب أن لا ننسى التحيز الفاضح في ما يركز عليه الإعلام. على سبيل المثال في ما يتعلق بكل ما ذكره الإعلام عن المقابر الجماعية في العراق. كانت هناك فعلاً مقابر جماعية مع كل فظاعتها[٦]، إلا أنها لم تكن للمعارضة فقط، فثمة مقابر جماعية للجيش العراقي الذي كان منسحباً من الكويت، لهذا كان بعض الموتى فيها بملابس الجيش العسكرية، كما كانت هناك مقابر جماعية للبعثيين الذين قُتل منهم في هذه الأحداث ألفان. . . . أرجو أن نتعامل مع هذه الأحداث برفق، وخاصة بالنسبة إلى المستقبل بعد أن حصل ما حصل. وعسى أن يأخذ الإخوة العرب درساً من هذا.

هذا لا يعني تبرئة للنظام من سلبياته، وهي كثيرة، ولكن من حق الجيل الحالي والأجيال القادمة أن تعلم حقيقة ما جرى وأن تطلع على الصورة كاملة.

أهداف الاحتلال الأمريكي للعراق

أود أن أقول أولاً إن ما حصل في العراق لم يكن غريباً أو مفاجئاً للمتابعين للاستراتيجيات الأمريكية منذ انتهاء الحرب الباردة[٧]، لأن عدداً من المفكرين

---

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠.

(٦) في ما يتعلق بحقيقة المقابر الجماعية والأرقام المتداولة حولها، فقد أشارت تقارير بعض المسؤولين الأمريكيين في العراق وبعض الأطباء التابعين لقوات الاحتلال إلى أنه لم يتم أي تحليل طبي للجثث التي عثر عليها لمعرفة متى تمّ دفن الجثث، كما أن العدد الذي ذكر على أساس أن الذين عُثر عليهم في تلك المقابر حوالى ٣٠٠ ألف هو رقم تقديري لا يستند إلى أساس موضوعي وتم تخمينه بشكل اعتباطي بدون فحص أو غيره، وتم تداول هذا الرقم دون الرجوع إلى مصدره ودقته، انظر: Brendan O' Neill, «Unrecorded Victims,» *Guardian*, 21/7/2004.

Tony Blair and Others Claim 300,000 Bodies Have been Found in Iraqi Mass Graves. In Fact, There Have been not Official Exhumations or Count.

(٧) انظر: Nicholas Lemann, «The Next World Order,» *New Yorker* (25 March 2002).

وهو يشير في هذه المقالة إلى تقرير من ٢٧ صفحة، مختوم بختم وزارة الدفاع، ومكتوب عليه Defense Stragety for the 1990s: The Regional Defense Strategy Secretary of Defense, Dick Cheney, January 1993. =

والسياسيين الأمريكيين كتبوا عن هذا، وموضوع وفكرة احتلال العراق كانا سابقين على موضوع أسلحة الدمار الشامل، وسابقين على حرب ١٩٩١، بل سابقين حتى على غزو الكويت في آب/ أغسطس ١٩٩٠.

الجنرال شوارزكوف ـ وهو الرجل الذي قاد القوات الأمريكية والمتحالفة في ما سمي «عاصفة الصحراء» في أوائل عام ١٩٩١ ـ كتب في مذكراته (التي نشرت بعد الحرب عام ١٩٩٢ في كتاب بعنوان: **لا يحتاج الأمر إلى بطل** *(It Doesn't Take a Hero)*[٨] أنه بعد أن عين قائداً للقيادة المركزية الأمريكية، طلب منه أن يزور الشرق الأوسط ليقيّم الأخطار التي تواجه أمريكا فيه. ونتيجة لهذه الجولة وفي أواخر عام ١٩٨٩ رفع تقريراً بنتائجها قال فيه إن الخطر الأول والرئيس على المصالح الأمريكية يتمثل في العراق[٩]. ونتيجة لهذا التقييم وتهيئة للرأي العام الغربي لهذا التحول ضد العراق، فقد بدأت منذ أول عام ١٩٩٠ حملة إعلامية مكثفة ضد العراق، وخاصة في الولايات المتحدة وبريطانيا، كان منها موضوعا «المدفع العملاق» وإعدام بازوفت وغيرهما، وتم تجميد بعض التسهيلات الائتمانية (القروض) التي كان بنك التصدير والاستيراد الأمريكي قد منحها للعراق ولم تستعمل بعد كلها. كما أن القيادة المركزية حولت أساس خطط تدريباتها السنوية، أي من هو العدو، ابتداء من عام ١٩٩٠ من الاتحاد السوفياتي إلى العراق. لقد أصبح العراق وليس الاتحاد السوفياتي هو الهدف في هذه التدريبات. ولعل من المهم أن نلاحظ ـ ولا نزال مع مذكرات الجنرال شوارزكوف – أن تنفيذ هذا التدريب السنوي بدأ منذ تموز/ يوليو ١٩٩٠، أي حتى قبل الغزو العراقي للكويت، وليس فقط قبل حرب الخليج (عاصفة الصحراء عام ١٩٩١) وتداخل معه.

أنتقل إلى الموضوع الأول لهذه الورقة، إلى السؤال: ما هي أهداف أمريكا من احتلال العراق؟ هل كل الأهداف معلن؟ هل الأهداف المعلنة صحيحة؟ أم أن هناك

= والذي بيّن تفاصيل الخطة الاستراتيجية التي بدأ العمل عليها في أيار/ مايو ١٩٩٠، واستمر العمل عليها بعد حرب الخليج الثانية، في عام ١٩٩٢ وأسماء الذين شاركوا في وضعها.

(٨) H. Norman Schwarzkopf, *It Doesn't Take a Hero: General H. Norman Schwarzkopf: The Autobiography*, written with Peter Petre (New York: Bantam Books, 1992), pp. 267-308.

(٩) كما أبدى عدد من الحكام العرب للأمريكيين تخوفهم من النصر الذي حققه العراق في حربه مع إيران، وأنه خرج من الحرب ولديه جيش من مليون شخص، كما أعرب الأمين العام للأمم المتحدة حينئذ لصحفي عربي كبير عن استغرابه أثناء زيارته للمنطقة بأن رئيس دولة عربية كبيرة إضافة إلى وزير خارجية دولة خليجية مجاورة للعراق أبديا تخوفاً من الجيش العراقي الخارج من حربه مع إيران. وقد حاول العراق، دون جدوى حقيقية، تبديد هذه المخاوف.

أهدافاً أخرى غير معلنة؟ لقد بدأت أمريكا بالحديث عن أسلحة الدمار الشامل، وعلاقة العراق «بالقاعدة»، وذهبت لاحتلال العراق «مع من يرغب» بدون قرار من مجلس الأمن ومخالفَة صريحة لميثاق الأمم المتحدة الذي يجيز الدفاع عن النفس في حالتين: في حال التعرض لاعتداء خارجي، والولايات المتحدة لم تتعرض لاعتداء من العراق؛ أو في حال وجود «خطر وشيك» على الولايات المتحدة من دولة معينة وقد ثبت أن العراق لم تكن عنده أسلحة دمار شامل ولا يمثل خطراً وشيكاً[١٠].

وبعدما ثبت عدم صحة هذا الأمر تحولت أمريكا إلى موضوع **الديمقراطية**، وزعمت أنها تريد أن تدخل الديمقراطية للعراق. ويدفعنا هذا إلى التساؤل عمن ساهم في انقلاب عام ١٩٦٨ والمجيء بعبد الرزاق النايف؟ هناك وثائق أصبحت معروفة، وكان الأمريكيون يعرفون أن عبد الرزاق النايف[١١] وإبراهيم علي الداوود كانت لديهما قوات عسكرية في بغداد ويسيطران على الحرس الجمهوري ولم يكن لديهما أي تنظيم سياسي، وأنهما كانا متحالفين مع «حزب البعث» الذي لم يكن يملك قوات عسكرية في بغداد وإلا لكان قام بالانقلاب من دون الحاجة إليهما. ولذلك لم يكن مستغرباً أو غير متوقع أن يقوم «البعث» بانقلاب على عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداوود في ٣٠ تموز/ يوليو ١٩٦٨.

إضافة إلى هذا فإن سمات النظام العراقي لم تتغير منذ البداية، والأساليب التي اتبعها النظام خلال خمس وثلاثين سنة لم تتغير كثيراً. ومع ذلك فإنه في ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٢ زار رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي الحالي العراق، وكانت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين مقطوعة، واجتمع مع الرئيس صدام حسين. ولدي اقتباس من التقرير الذي قدمه إلى الرئيس ريغان آنذاك، يقول فيه: «صدام حسين شخص يمكن التعامل معه». وبعدها بثلاثة أشهر زار العراق ثانية، وقابل الرئيس صدام حسين واستؤنفت العلاقات الدبلوماسية.

---

(١٠) أكد مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية السيد جورج تينيت في ما بعد وقبل استقالته، وأثناء شهادته أمام الكونغرس الأمريكي، أنه لم يسبق له أن قدّم أي تقرير إلى الرئيس الأمريكي يقول فيه إن العراق يمثل خطراً وشيكاً على الولايات المتحدة.

(١١) كان يعمل قبل الانقلاب معاون رئيس الاستخبارات العسكرية، وعلى صلة وثيقة مع إبراهيم الداوود المسؤول عن الحرس الجمهوري. وكان الأول محور العلاقة العسكرية مع الولايات المتحدة. وكان من المشاركين معهم من المدنيين الدكتور ناصر الحاني (سفير العراق في بيروت والذي عين وزيراً للخارجية في وزارة عبد الرزاق النايف بعد الانقلاب، ثم اغتيل في ما بعد، بعد انقلاب البعث في ٣٠ تموز/ يوليو على النايف، وكذلك المحامي لطفي العبيدي والذي كان لولب الانقلاب وصلة الوصل مع الأمريكان ومع السيد أحمد حسن البكر، وقد حكم عليه بعد ٣٠ تموز/ يوليو بالإعدام، وكان خارج العراق وتوفي في ما بعد بداء السرطان.

هذا إضافة إلى أن أمريكا شجعت الرئيس صدام حسين على حرب إيران. وكان لكل واحد أهدافه، فالرئيس صدام حسين كان يعتقد أنه كما تحول الرئيس عبد الناصر في حرب السويس من زعيم مصري إلى زعيم عربي، فإنه (أي الرئيس صدام حسين) سيحقق هذا إذا هاجم إيران وأسقط النظام. كان تقديره أنه خلال ستة أسابيع سيُسقط النظام الإيراني، فيتحول هو كذلك إلى زعيم عربي، ولم يحصل هذا.

أكثر من ذلك، فإنه خلال فترة الحرب، وكانت الولايات المتحدة تخشى أن تنتصر إيران، فأنشأت فرعاً لوكالة المخابرات المركزية (C.I.A) في السفارة الأمريكية في بغداد لتزويد العراق بصور مُلْتَقَطَة من الأقمار الاصطناعية.

وبعد أن انتهت الحرب، وبينما كانت أمريكا تتوقع أن تستنزف طرفيْ الحرب، وجدت أن العراق - على الأقل كان هذا انطباع الناس- خرج منتصراً ولديه جيش من حوالى المليون جندي، واستطاع أن يطور قدراً من أسلحة الدمار الشامل مثَّلَتْ لديه قدراً من الردع، وبَدّا أنها تؤثر في استراتيجية أمريكا في المنطقة، وتمثل نوعاً من الخطر على إسرائيل. كان نوعاً من الردع، وليس ردعاً كاملاً.

وهكذا، بعد تحويل استراتيجية القيادة المركزية وخطط تدريبها من عدو أول هو الاتحاد السوفياتي إلى عدو أول آخر هو العراق، ومع بداية عام ١٩٩٠ بدأ الإعلام الأمريكي والإعلام البريطاني يتحدثان عن «المدفع العملاق» العراقي وغيره، مع أن مدير مشروع المدفع العملاق في بغداد كان قد نشر كتاباً في بريطانيا بعد عودته، بَيَّن فيه أن كل التفاصيل هذه كانت معروفة، وأنه اشتغل أساساً في أمريكا لتطوير المدفع العملاق، ومدير المعمل الذي اشتراه العراق من بريطانيا كان عميلاً للمخابرات البريطانية (MI5)، وبالتالي فإنهم في بريطانيا وأمريكا كانوا يعرفون كل شيء عن الموضوع، لكن الموضوع استُغِلَّ إعلامياً للتمهيد لضرب العراق. ووضِعت تفاصيل كل الخطة المعتمدة ومواقع القصف، وبدأ التدريب النظري في تموز/ يوليو ١٩٩٠، وتداخل هذا كله مع الحرب[١٢].

لقد حاولت أن أبيِّن أن استهداف العراق أسبق كثيراً مما نتصور. وحتى أبين لكم تآمر بعض الأطراف العربية كذلك، فقد بدأت الولايات المتحدة بالضغط الاقتصادي على العراق منذ عام ١٩٩٠، كما ألغت بقية الائتمانات غير المستعملة بعد، والتي كانت أعطتها للعراق من البنوك الأمريكية، كما أوقفت تصدير بعض المعدات ذات التقانة المتقدمة إليه، كما كانت على العراق ديون قام بترتيب جدولتها، إلا أنه

---

(١٢) انظر: Schwarzkopf, Ibid.

مورست ضغوط على المصارف لعدم تسهيل تلك الجدولة، وبدأت تطالب بتسديد الديون.

أكثر من هذا، قامت أمريكا بممارسة ضغوط على الكويت وعلى الإمارات لزيادة إنتاجهما من النفط أكثر من حصتهما المقررة من قبل الأوبك مما أدى إلى انخفاض أسعار النفط. وكان العراق قد حسب حسابه على أساس سعر معين للنفط، وأدّتْ زيادة الكويت والإمارات لإنتاجهما أكثر من الحصة المقررة من «منظمة الدول المصدرة للبترول» (أوبك) إلى انخفاض سعر النفط، وبالتالي إلى انخفاض عائدات العراق من نفطه المصدَّر. هذا في حين أن هذا كله لم يزد من دخل الكويت أو الإمارات، ولذلك يصبح التساؤل: ماذا كان وراء الخطوة التي أقدمت عليها الكويت والإمارات؟

ومع أن ذلك يمثل استفزازاً غير مبرر للعراق من قبل الكويت (ومعها الإمارات) إلا أن ذلك لا يبرر غزو العراق للكويت. وهذا كان موقفي منذ البداية، وقد عبّرت عنه في مناسبات مختلفة[١٣].

كما أحب أن أشير إلى نقطة بشأن التعامل العربي مع الأزمة. ففي يوم ٤ آب/ أغسطس ١٩٩٠ وبعد يومين من غزو الكويت، ذهب ديك تشيني (وكان وزيراً للدفاع آنذاك) وشوارزكوف (وكان قائداً للقوات المركزية) إلى الرياض وقَابَلاَ الملك فهد والأمير عبد الله وبعض الأمراء.. إلخ، ونقلا له رسالة من بوش فحواها «أن هناك حاجة لتدخل أمريكي ولمجيء القوات إلى السعودية وحماية النفط». ويحكي شوارزكوف تفاصيل اللقاء وكيف كانا يتوقعان أن يؤجل الملك فهد الاجتماع إلى يوم آخر ليتداول في أمره مع الحاشية، ولكنه وفي آخر الاجتماع هَزَّ رأسه بالموافقة، قال «OK» بالإنكليزية. وفي اليوم التالي (٥/ ٨) بدأت الترتيبات لمجيء القوات. وبعدها سافرا إلى الإسكندرية وقابلا الرئيس المصري الذي وافق على التدخل ووافق على استعمال المطارات والفضاء الجوي واستعمال قناة السويس. تم هذا يوم السادس من آب/ أغسطس أي قُبَيْل اجتماع القمة العربية يوم العاشر منه. وبذلك كان قرار التدخل الأمريكي العسكري قد اتخذ من بعض الأطراف العربية قبل اجتماع القمة العربية، وكان اجتماع القمة تغطية لما تقرر قبلها. وهكذا تمت الحيلولة دون محاولة أي حل عربي للأزمة، وتتالت الأحداث.

---

(١٣) انظر مداخلة خير الدين حسيب ضمن المناقشات التي دارت حول «صنع جذور الأزمة،» ورقة قدمت إلى: **أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي: أوراق عمل ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ط ٢ (بيروت: المركز، ١٩٩٧)، ص ١٦٦ ـ ١٦٩.

أما بالنسبة إلى هدف الديمقراطية، فإن أمريكا كانت تتعاون مع نظم لها السمات نفسها الموجودة لدى النظام العراقي. والسؤال بعد هذا: هل الديمقراطية في البلدان العربية في مصلحة أمريكا حقّاً؟. الواقع أن الديمقراطية تعني مشاركة الشعوب في اتخاذ القرارات الرئيسة. فإذا أصبحت هذه البلدان ديمقراطية وأصبحت الشعوب هي التي تشارك في اتخاذ القرارات الرئيسة، فهل يمكن أن يَتَجَرَّأ بعض الحكومات العربية على شراء أسلحة كالتي تشتريها الآن من أمريكا؟ هل يمكن أن تقبل بإقامة القواعد العسكرية الموجودة فيها وأن تدفع تكاليفها؟ هل يمكن أن تقبل بيع النفط بالسعر الحالي وهو بالأسعار الحقيقية أقل من سعر عام ١٩٧٣؟ موضوع نشر الديمقراطية في العراق كذبة كبرى وممارسات قوات الاحتلال الأمريكية في العراق تُكَذِّبُها، وهي خير شاهد على ذلك.

وإذا ما استبعدنا الأهداف المعلنة للولايات المتحدة لاحتلال العراق، فما هي أهدافها الحقيقية غير المعلنة؟

الأهداف غير المعلنة لاحتلال العراق

إن **أحد** الأهداف الأساسية هو **النفط**(١٤). فقبل انتهاء الحرب الباردة كانت القوة العسكرية هي المعيار الأساسي لمن هي القوى الكبرى في العالم، فكانت أمريكا والاتحاد السوفياتي القوتين الأعظم. وبعد أن انتهت الحرب الباردة لم تعد القدرة

(١٤) انظر: «العراق: عملاق الطاقة الذي نام طويلاً،» وهو نشر أصلاً بالإنكليزية بعنوان «Rip Van Winkle»، وقد قامت **المستقبل العربي** بترجمته ونشره بالعربية ضمن ملف «العراق تحت الاحتلال»، انظر: مؤسسة ستراتفور، «تحليل اقتصادي: العراق عملاق الطاقة الذي نام طويلاً،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٦، العدد ٢٩٨ (كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣)، ص ١٢٥ ـ ١٣٣. انظر أيضاً مقالة لشابمان (Chapman) «الأسباب الحقيقية لذهاب بوش إلى الحرب،» في: John Chapman, «The Real Reasons Bush Went to War,» *Guardian*, 28/7/2004.

ويشير الكاتب وهو مساعد سكرتير (Assistant Secretary) سابق في الإدارة المدنية خلال الفترة ١٩٦٣ ـ ١٩٩٦) إلى عاملين وراء غزو العراق: السيطرة على النفط، والمحافظة على الدولار كعملة الاحتياطات الدولية. ويمضي جون شابمان إلى القول: إن الهيمنة على توريدات النفط العراقي، وربما قريباً التوريدات من بلدان خليجية أخرى، سيمكّن الولايات المتحدة من **استعمال النفط كقوة** (Power). ويمضي إلى القول إنه في عام ١٩٩٠، كتب ديك شيني (Dick Cheney) الذي كان حينئذ رجل نفط (Oil Man) أنه: «كل من يسيطر على تدفق نفط الخليج الفارسي فبإمكانه أن يخنق (Stranglehold) ليس اقتصادنا فقط بل دول أخرى في العالم كذلك». ويشير أيضاً إلى دور النفط في اشتراك بريطانيا في الحرب على العراق، حيث يذكر «أن إنتاج نفط بحر الشمال قد وصل قمته في عام ١٩٩٩، وأنه انخفض منذ ذاك بحوالى السدس. وإن الصادرات منه بالكاد تغطي الواردات، وإننا سنصبح [بريطانيا] قريباً مستورداً صافياً للنفط. ولذلك فإن تأييد بوش ربما كان يمكن تبريره لاعتبارات جيوسياسية».

انظر أيضاً محاضرة هانز سي فون سبونيك، منسق الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية للعراق =

العسكرية هي العامل الوحيد، وبدأت تبرز أهمية العامل الاقتصادي. في هذا الوقت وبعد انتهاء الحرب الباردة، قررت أمريكا أن لا تسمح لأية قوة في العالم أو مجموعة قوى أن تنافسها في كونها الدولة العظمى الوحيدة في العالم. ولما كانت القوة العسكرية وحدها لا تكفي للإبقاء على أمريكا كقوة عظمى وحيدة، فماذا تفعل بالاتحاد الأوروبي؟ هل تقصفه؟! أو الصين أو . . إلخ؟! الاتحاد الأوروبي ـ حتى قبل انضمام الدول الخمس عشرة الأخيرة إليه ـ يتساوى في إجمالي الناتج القومي مع إجمالي الناتج القومي الأمريكي أو يزيد عنه بقليل. وبالنسبة إلى الصين فإن المتوقع بحلول عام ٢٠٢٠، مع معدل نموها الحالي، أن تصل إلى مستوى الناتج القومي الأمريكي وتتجاوزه في ما بعد. وهناك أيضاً اليابان والهند . . إلخ. ولكي تمنع الولايات المتحدة أية قوة أخرى من أن تنافسها في السيطرة على العالم فإن الورقة الأساس التي تحتاج إليها في ذلك هي ورقة النفط، لا بمعنى أن تحصل هي على حاجاتها من النفط، فإن حاجتها من النفط مؤمَّنة بحيث تستطيع أن تحصل عليها دون كبير مشاكل، ولكن للإمساك بورقة النفط في العالم كورقة ضغط استراتيجية، حيث التحكمُ في تصدير النفط (العرض) وفي أسعاره، يضع كل القوى الاقتصادية العالمية تحت رحمة الشروط الأمريكية، ويحُدُّ كثيراً من قدرتها على منافسة الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة.

تشير التوقعات الخاصة بإنتاج النفط إلى أن أمريكا قد تضطر إلى أن تستورد أكثر من حجم استيرادها الحالي، وهو حوالى ٥٥ بالمئة، بمعنى أنها قد تضطر إلى استيراد حوالى ٧٠ بالمئة من استهلاكها من خارج الولايات المتحدة حوالى عام ٢٠٢٥[١٥].

= (١٩٩٨-٢٠٠٠): Hans C. von Sponeck, «Iraq: Four Questions, Four Answers,» paper presented at: The European Colloqium, Brussels, 25 September 2002,

حيث أشار إلى مصادر الطاقة لدى العراق، وإلى ما قاله السناتور ريتشارد لوغار، ممثل الحزب الجمهوري، في جلسة الاستماع حول العراق التي عقدتها لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي يوم ٣١ تموز/يوليو - ١ آب/أغسطس ٢٠٠٢ حول موضوع النفط حيث قال «لسوف ندير شؤون النفط، ولسوف نديرها جيداً. وسوف نصنع مالاً، ولسوف يساعدنا هذا في دفع نفقات إعادة تأهيل العراق لأن المال هناك».

انظر أيضاً: Richard Becker, «The US and Iraq in Historical Perspective,» <http://www.internationalanswer.org>.

وهو موقع من ضمن موقع آخر على الشبكة (الانترنت) يسمى International Action Centre (IAC) والذي أسسه رامزي كلارك والذي يتناول محاولات أمريكا للسيطرة على نفط العراق منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حتى الوقت الحاضر. والمؤلف هو المنسق في مركز IAC في منطقة الساحل الغربي، وهو عضو في (The International Steering Committee of the International Answer Coalition).

وانظر أخيراً: Robert Freeman, «Will The End of Oil Mean The End of America?,» Published by Common Dreams News Center, <http://www.CommonDreams.org>, 1/3/2004.

(١٥) انظر: Chapman, Ibid.

وبالتالي فإنها تريد أن تسيطر على مواقع النفط في العالم، الخليج ـ العراق ـ أفريقيا، وسط آسيا والقوقاز، وهذا سبب اهتمامها بالسودان، آسيا الوسطى والقوقاز .. إلخ. وهي إذا ما سيطرت على النفط، تكون قادرة على التحكم في توريده (العرض) وفي أسعاره، أي تكون في وضع يمكن لها فيه أن تتحكم في اقتصاديات الدول الغربية (أوروبا) والصين واليابان والهند، وبالتالي تضمن بقاءها متفوقة على كل الدول الكبرى في العالم. وهي تستطيع حتى أن تؤثر في روسيا، إذا خفضت أسعار النفط إلى حد معين أقل من كلفة استخراج النفط في روسيا، وهي عالية، عندها يمكن أن تؤدي إلى وقف قسم غير قليل من صادرات روسيا.

الهدف الثاني هو **ضمان أمن إسرائيل**. كان العراق إحدى العقبات في طريق تسوية أمريكية بين الدول العربية وإسرائيل(١٦). ولقد أفرجت أمريكا عن عدد من الوثائق السرية ـ ونشرت صحيفة **الشرق الأوسط** ترجمة لقسم منها. وفي وثيقة عن اجتماع هنري كيسنجر (وزير خارجية الولايات المتحدة حينذاك) مع الدكتور سعدون حمادي (وزير خارجية العراق آنذاك) في السفارة العراقية في باريس عام ١٩٧٥، يتكشّف أن العقبة الوحيدة في الاتفاق بين هنري كيسنجر والدكتور سعدون حمادي كانت تتعلق بإسرائيل، وبالذات حول إسرائيل ما قبل ١٩٦٧ (فلسطين ١٩٤٨)(١٧)، حيث رفض العراق الاعتراف بدولة إسرائيل. وطبعاً كان الدكتور سعدون حمادي لا يتحدث في هذا الاجتماع عن موقفه الشخصي بل كان يتحدث باسم العراق. وقد أكد الرئيس العراقي هذا الموقف عام ١٩٩٤ في رده على عرض برفع الحصار عن العراق مقابل تسهيل التسوية والاعتراف بإسرائيل(١٨).

---

(١٦) انظر مقالة روبرت بلليترو، المساعد السابق لوزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى تحت عنوان: «الولايات المتحدة والعراق: متى ينتهي الكابوس؟،» **الحياة**، ١٣/ ١٠/ ١٩٩٧، ص ١٧، حيث يذكر الشروط التي تتطلبها الولايات المتحدة من العراق قبل رفع الحصار الاقتصادي عنه. ويذكر ضمن تلك الشروط: «**وسيكون من المهم أيضاً أن ينضم العراق إلى مجموعة الدول العربية المستعدة للعيش بسلام مع دولة إسرائيل وأن يكون مستعداً للتفاوض على معاهدة سلام في النهاية**». (التشديد من كاتب الدراسة).

(١٧) انظر الوثيقة الرسمية الأمريكية حول أول لقاء بين هنري كيسنجر وسعدون حمادي في عام ١٩٧٥، والتي نشرتها جريدة **الشرق الأوسط**، ٢/ ١/ ٢٠٠٤. وللحصول على الوثيقة الأصلية انظر أرشيف الأمن القومي في موقع جامعة جورج واشنطن على الانترنت تحت عنوان: «Saddam Hussein: More Secret History,» document <http:// www.gwu.edu/~nsarchiv/NSAEBB/NSAEBB107/iraq04.pdf>.

والوثيقة رقم (١) موجودة في ص ٢٣٩ من هذا الكتاب.

(١٨) في وثيقة كشف النقاب عنها مؤخراً تحمل الرقم ٢١٢٣/ك تاريخ ١٥/ ٥/ ١٩٩٤ حول رد الرئيس صدام حسين حول عرض بهذا المعنى من خلال السيد رؤوف بطرس غالي، أشار إلى أن «وهم التصور أن هناك إمكانية لتغيير موقفنا من الصهيونية تحت التلويح بامكانية أن يأتي الفرج [رفع الحصار] عن طريقهم...»، ثم يمضي في القول «إنه يعتبر هذا الباب مغلقاً، وأنه لا مانع من اللقاء به، ولكن بشرط عدم طرح موضوع اللوبي الصهيوني معنا أبداً (الوثيقة رقم (٢) ص ٢٥٤ من هذا الكتاب).

كما أعلنت أمريكا كذلك أن العراق هو بداية مشروعها وأنها تريد إعادة ترتيب خريطة الشرق الأوسط والمشروع الجديد «الشرق الأوسط الكبير» الذي كشف أن أحد مساعيه تغيير هوية المنطقة العربية إلى شرق أوسطية.

المقاومة الوطنية للاحتلال

ولعل أهم الأحداث التي مرت بالعراق (والوطن العربي والعالم بالتالي) خلال الأشهر ما ين انعقاد هذه الندوة، وصدور الكتاب الذي يحتوي على أعمالها ومناقشاتها كاملة، هي تلك المتعلقة أساساً بالمقاومة العراقية[١٩].

في بداية هذا العام (٢٠٠٤) ـ وبالأحرى خلال ربعه الأول ـ كنا لا نزال نسمع تساؤلات عن المقاومة العراقية، عن هويتها أو هوياتها، عن قدراتها وعن أهدافها وما ترمي إليه. ويمكنني ـ من خلال متابعة دؤوبة يومية لما يجري داخل العراق أن أقول دون خشية الوقوع في أية مبالغة، إن ظاهرة المقاومة التي بدأت خلال النصف الثاني من نيسان/ أبريل ٢٠٠٣، وبعد احتلال بغداد يوم ٩ نيسان/ أبريل بأيام قليلة، وما شهدته من استمرارية وتوسع أفقي ونوعي، قد أذهلت الجميع داخل العراق وخارجه.

لقد حاولت دعايات الاحتلال وأتباعه في الداخل والخارج، أن تركز وتكثف الظن بأن المقاومة لا تعدو أن تكون من عمل قوىً داخل ما سمَّتْه «المثلث السني»، ومن عمل «الفئات اليائسة حتى الموت (الانتحارية أو الاستشهادية)، ومن بقايا النظام البعثي»، وأخيراً من عمل «أجانب»[٢٠] يعملون ضد مصلحة العراق والعراقيين.

---

(١٩) ضمن ملف «حول المقاومة العراقية للاحتلال»، انظر ورقتيْ: مثنى حارث الضاري «المقاومة العراقية،» و سلمان الجميلي، «المقاومة العراقية وملامح تشكيل الهوية،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٣ (أيار/ مايو ٢٠٠٤)، ص ٨٠ ـ ٨٨ و ٨٩ ـ ١١٠ على التوالي.

(٢٠) وقد ذكر بيتر آيسلر (Peter Eisler) وتوم سكويتيري (Tom Squitieri) في جريدة **يو أس إي توداي** (*USA Today*) : «أن عدد المقاتلين الأجانب المشتبه بهم يمثلون ما يقل عن ٢ بالمئة من الـ ٥٧٠٠ موقوف الذين تم احتجازهم باعتبارهم يشكلون خطراً على الأمن في العراق، وهو أهم المؤشرات حتى الآن بأن العراقيين هم المسؤولون بصورة أساسية عن المقاومة العنيدة ضد الولايات المتحدة. ويضيفون قائلين «بأن قوات الائتلاف كانت قد احتجزت ١٧٧٠٠ شخص في العراق اعتبروا مقاتلين أعداء أو يمثلون أخطاراً أمنية، وأن حوالى ٤٠٠ منهم كانوا من جنسيات أجنبية، حسب الأرقام التي تم توفيرها خلال الأسبوع الماضي من قبل القيادة العسكرية في الولايات المتحدة التي تتولى إدارة عمليات الاعتقال في العراق. ويضيفان قائلين «إن معظم أولئك الموقوفين قد تم إطلاق سراحهم بعدما وجد مجلس لإعادة النظر بأنهم لا يشكلون أخطاراً مهمة. وأن حوالى ٥٧٠٠ منهم قد بقوا تحت التوقيف، وأن ٩٠ منهم فقط هم مواطنون أجانب». انظر : *USA Today*, 6/7/2004, p. 1.

كما يشير تقرير آخر قدمه البنتاغون إلى الرئيس بوش حول تقييم معركة الفلوجة أن نسبة غير العراقيين =

وقد واجه الاحتلال في مدن الفلوجة وكربلاء والكوفة والصدر والنجف من المقاومة المسلحة ما نسف ادعاءاته من ناحية، وقوض خططه للاعتماد على «تحالف شيعي» معه من ناحية أخرى. وبدأت الجبهة الداخلية للمحتل الأمريكي (والمتحالفين معه) تستجيب لحقيقة اهتزاز تصور القدرة العسكرية الأمريكية الذي كان يعتقد أنه الفاعل الأوحد المؤثر في الأوضاع في العراق.

وقد أصبحت البيانات اليومية والأسبوعية لأجهزة الإعلام التابعة للمقاومة تشكل الجانب الأكبر من المصادر التي تستقي وسائل الإعلام العالمية منها المعلومات، بما فيها عدد هائل من الوسائل الأمريكية. ومن خلالها يتبين للعراقيين والعرب وللعالم وللمحتلين ـ أن المقاومة عراقية، وأن انتماءاتها وطنية بالدرجة الأولى وليست طائفية. حتى إن بعض المسؤولين الأمريكيين اعترفوا بأن حل الجيش العراقي كان واحداً من أكثر القرارات خطأً من جانب الإدارة الأمريكية، وكان هذا اعترافاً غير مباشر بأن قاعدة واسعة من المقاومة العراقية هي من الجيش العراقي وقوات الحرس الجمهوري والحرس الخاص وقوات الأمن القومي.

لم يبق فريق من فرق المقاومة العراقية مجهولاً من حيث الهوية أو من حيث المنهج أو البرنامج أو الاستراتيجية. واتضح، بما لا يدع مجالاً لتصديق ادعاءات الإدارة الأمريكية في واشنطن أو قيادتها العسكرية في بغداد، أن المقاومة أشمل من أن تحصر في فئة أو طائفة أو حزب أو حتى في تيار. فالإسلاميون في المقاومة ـ سنة وشيعة ـ والقوميون في المقاومة ـ بعثيون وغير بعثيين ـ والشيوعيون في المقاومة التقليديون منهم والمجددون[٢١].

ولعل من الظواهر الجديرة بالتسجيل أن قوات الاحتلال تحجم عن اعتبار تزايد

= الذين اشتركوا في معركة الفلوجة لا تزيد عن ٢ بالمئة، وأنه كان هناك في الفلوجة «هيئة أركان» على مستوى عالٍ من الخبرة والكفاءة تخطط للمعركة. انظر: Scott Ritter, «Defining the Resistance in Iraq-It's Not Foreign and It's Well Prepared,» Published by Common Dreams News Center, *Christian Science Monitor*, 10/11/ 2003.

نقلاً عن: Early Bird, <http://ebird.afis.osd.mil/ebfiles/e20031110231959.html>.

(٢١) انظر حسن خليل غريب، **المقاومة الوطنية العراقية: معركة الحسم ضد الأمركة** (بيروت: العلا للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٣)؛ «بيانات قيادة المقاومة والتحرر في العراق،» ص ٢٥٩ ـ ٢٨٠، و«بيانات بعض الفصائل المشاركة في المقاومة العراقية،» ص ٢٨١ ـ ٣٠٧.

وانظر أيضاً موقف الحزب الشيوعي العراقي (الكادر) من المقاومة في بيانه الصادر باللغة الإنكليزية بتاريخ ١٧/ ١/ ٢٠٠٤، والذي يتضمن تحليلاً للمقاومة وأطرافها وتأييدها. في: <http://docs.yahoo.com/info/terms/>.

أعداد شهداء المقاومة (وهي تسميهم قتلى) لأنها تعرف أن هذه الأعداد دالة على اتساع نطاق المقاومة في صفوف الشعب العراقي أكثر مما هي دالة على استتباب الأمور لقوات الاحتلال وحلفائها.

وخلال الفترة التي نتناولها، فإن المقاومة العراقية استطاعت أن تحرز انتصاراً سياسياً على صعيد السياسة الاستراتيجية ضد المحتل. وتمثل هذا الانتصار من خلال حمل بعض وسائل الإعلام الأمريكية على التفكير وعقد مقارنات فيما بين فييتنام الماضي وعراق الحاضر من أوجه تماثل، هي بحد ذاتها سمات «الورطة» الأمريكية الجديدة في مواجهة المقاومة العراقية، كما أنها تشير إلى تجاوز ذلك إلى تأثيراته المحتملة في الجبهة الداخلية الأمريكية.. وبالأخص في السنة الحالية، وهي سنة انتخابات للرئاسة يتقرر فيها مصير المجموعة الحاكمة حول الرئيس جورج بوش الابن.

وخلال ذلك استطاعت المقاومة، وهي لم تبلغ من عمرها سوى خمسة عشر شهراً، أن ترغم الاحتلال على قبول تقليص تحالفاته... ابتداء من سقوط حكومة أثنار المحافظة في انتخابات ١١ آذار/ مارس ٢٠٠٤، وصعود المعارضة اليسارية على أساس برنامج يقضي أول ما يقضي بسحب القوات الاسبانية من العراق، الأمر الذي تم بالفعل في أعقاب تولي حكومة ثاباتيرو الجديدة مسؤولياتها. وهو انسحاب تلته انسحابات لاتينية وأفريقية متعددة لقوات دول صغيرة في أمريكا الوسطى والجنوبية التي اعتبرت أن منطق انسحاب القوات الإسبانية يفرض عليها أيضاً الاستجابة بالطريقة نفسها. وقد انسحبت من التحالف الذي تقوده أمريكا في العراق، وحددت تاريخ انسحابها قبل نهاية العام الحالي (٢٠٠٤)، كل من: إسبانيا والدومينكان وهندوراس ونيكاراغوا والفيليبين[٢٢].

كما يقع في خانة الانتصارات السياسية للمقاومة العراقية خلال هذه الفترة نفسها الضعف الشديد الذي أصاب الحليف الأكبر للولايات المتحدة، وهو حكومة بريطانيا برئاسة توني بلير، والذي أصبح واضحاً أنه ضعف يعاني منه منذ الآن حزب

---

(٢٢) من المتوقع أن تنسحب كل من تايلندا والنرويج ونيوزيلندا وأستونيا قريباً، إذ بدأت تايلندا بسحب قواتها فعلاً، كما تخطط بولندا للانسحاب في أواخر السنة الحالية، وتتفاوض أوكرانيا مع الولايات المتحدة وبولندا (التي تعمل القوات الأوكرانية تحت قيادتها) على سحب قواتها من العراق. وبذلك ينخفض عدد الدول المشاركة في قوات الاحتلال في العراق من ٣٦ دولة إلى ٢٥ دولة. هذا إضافة إلى أنه لم تستجب أية دولة لطلب إرسال قواتها للمشاركة مع قوات الاحتلال الأمريكية. انظر: Stratfor, «Iraq: If the «Willing» Become the «Unwilling»,» 23 March, 2004.

وللحصول على نص التقرير يمكن الاطلاع على الموقع التالي على الشبكة (الانترنت): <http://www.stratfor.biz>.

العمال البريطاني ـ الذي قاده بلير إلى هذه الحرب والذي أدى إلى خسارة حزب العمال لمقاعده في بعض الانتخابات الفرعية، والتي كان يمثلها سابقاً. كما أن هناك بعض المؤشرات إلى أن بلير قد يضطر إلى الاستقالة من رئاسة الحزب، وهو أمر إن تم فإنه سيعني انتهاءه سياسياً[(٢٣)].

لقد أكدت المقاومة العراقية قدرتها على التحرك السياسي العميق والواسع في الفضاء العراقي، ولم تشغلها عنه مسؤوليات وأخطار العمل العسكري للمقاومة المسلحة، ليس فقط بإعلان مناهجها واستراتيجياتها، ولكن أيضاً بتطوير فعاليتها وابتداع وسائل فنية جديدة في مواجهة التقنيات التي طورها جيش الاحتلال[(٢٤)] لتقليل فاعليتها.

وفي أواخر آذار/ مارس ٢٠٠٤ أعلنت المقاومة عن برنامجها السياسي الموحد الذي برزت فيه النقاط الرئيسية الأهم التالية[(٢٥)]:

---

(٢٣) Robert Fisk, «Can't Blair See that this Country is about to Explode? Can't Bush?,» *Independent*,1/8/2004.

(٢٤) انظر: James Glanz, «In Iraq, New Ways to Kill, and to Counter,» *International Herald Tribune*, 17-18/7/2004 p. 1; Scott Ritter, «Saddam's People are Winning the War,» *International Herald Tribune*, 23/7/2004, and

توماس شانكر، «تقرير سري أعده البنتاغون: الهجمات والتفجيرات في العراق تنفذها عناصر استخبارات صدام وفق خطة وضعت قبل الحرب،» **الشرق الأوسط**، ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٤، ص ٣.

(٢٥) انظر بيان المجلس الوطني الموحد للمقاومة العراقية ـ الجناح السياسي بعنوان: «المقاومة العراقية تعلن برنامجها السياسي: حكومة انتقالية لمدة عامين بعد طرد الاحتلال،» **القدس العربي**، ١/ ٤/ ٢٠٠٤، ص ٤. كما صدرت بيانات أخرى حول برامج بعض فصائل المقاومة السياسية، انظر: «المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي: البيان التأسيسي والبيان الختامي، بغداد، ١٩ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ - ٨ أيار/مايو ٢٠٠٤،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٥ (تموز/ يوليو ٢٠٠٤)، ص ١٩٧ ـ ٢٠١، وهو تنظيم علني، ويتضمن البيان التأسيسي برنامجاً من أربع عشرة نقطة، يتداخل معظمها مع بيان المجلس الوطني الموحد للمقاومة العراقية المشار إليه أعلاه، إضافة إلى تضمنه أسماء أعضاء الأمانة العامة والأمين العام المؤقت والناطق الرسمي باسم المؤتمر. وانظر تعليق جريدة **الغارديان** حول هذا المؤتمر في المقالة التالية: Jonathan Steele, «The Iraqi Leader Seeking a Peaceful Path to Liberation: A New Party Unites Shias, Sunnis, Kurds and Christian,» *Guardian*, 16/7/2004.

وتشير المقالة إلى مقابلة الكاتب مع الشيخ جواد الخالصي والدكتور وميض نظمي. وينهي المقالة بقوله حول «المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي» أنه يستحق دعاية ودعماً أكبر «It Deserves More Publicity and Support».

انظر أيضاً: بيان المقاومة الإسلامية الوطنية بعنوان: «من هي المقاومة الإسلامية الوطنية كتائب ثورة العشرين؟: النشأة ـ الدوافع ـ المرجعية ـ التنظيم والتطور ـ الهيكل التنظيمي،» شبكة البصرة <http://www.albasrah.net>. وفيه تفاصيل موقف هذه المقاومة وبرنامجها. وانظر كذلك: «الخطة السياسية للمقاومة الإسلامية في العراق: بيان القيادة العامة لقوات المجاهدين والمقاومة الإسلامية في العراق،» [د. ت.]، ويتضمن عشر صفحات.

«**أولاً**: رفض مطلق وشامل لمنطق الاحتلال وأدواته وعناصره وكل ما ينتج عنه من هياكل وعناوين وهيئات عميلة وخائنة للشعب، وندعوهم بمن فيهم أعضاء مجلس الحكم [صدر البيان قبل تشكيل ما يسمى الحكومة الانتقالية] إلى التوبة فوراً والابتعاد عن هذه النار التي سوف تحرقهم لاحقاً واعتبار كل قراراته وتوصياته باطلة لأن ما بني على الباطل يعد باطلاً.

ثانياً: استمرار المقاومة بكل أشكالها المسلحة والتعبئة الجماهيرية والمظاهرات والاحتجاجات ومقاطعة الاحتلال وهياكله بكل الوسائل الممكنة... حتى رحيل آخر جندي عن أرض العراق الطاهرة. ولن نقبل بأقل من ذلك أبداً، وليعلم الجميع أن من يتصدى لمهمة مقاومة المحتل وطرده وتحرير العراق هو الأجدر على قيادة العراق وإعادة بنائه، وليس في العراق مكانة للخونة واللصوص والمرتزقة.

ثالثاً: بمجرد خروج المحتلين الغزاة وتحرير العراق، ندعو إلى عودة الدولة بكل مؤسساتها الوطنية والسيادية والخدمية، وعودة الجيش كمؤسسة وطنية موحدة إلى سابق عهده، أي على ما كانت عليه الأمور قبل يوم ٩/ ٤/ ٢٠٠٣.

رابعاً: سيعلن المجلس الوطني ـ في الوقت المناسب ـ عن تشكيل حكومة وحدة وطنية انتقالية لمدة سنتين تقوم بممارسة السيادة وتمثيل العراق وتعمل على إنجاز المهمات الوطنية العاجلة وتضميد الجراح ومساعدة فئات الشعب المتضررة وتولي مهمة إعادة البناء لإدارات الدولة ومرافقها الحيوية، وكذلك المهمات الوطنية التالية:

(أ) الدعوة خلال سنتين إلى انتخابات جديدة لمجلس وطني جديد بإشراف جامعة الدول العربية والمراقبين الدوليين والهيئات الدولية المحترمة والمهتمة بالديمقراطية.

(ب) تشكيل مجلس شورى من ١٥٠ عضواً من أهل الرأي والحكمة من العراقيين المخلصين الذين لم تتلوث أياديهم مع الاحتلال ليكون بمثابة مجلس للحكماء، ويقدم المشورة والرأي للحكومة الانتقالية، ويشترك مع مجلس الوزراء في إعداد دستور دائم للبلاد يتضمن كل الحقوق الأساسية للمواطنين ويحافظ على وحدة العراق وانتمائه العربي، ويعرض على الاستفتاء الشعبي بعد ١٨ شهراً من تاريخ جلاء الغزاة، ويعمل مجلس الشورى والحكومة الانتقالية فوراً على إلغاء كل القوانين والقرارات ذات الصفة الاستثنائية التي صدرت سابقاً.

(ج) بعد إقرار الدستور الدائم يجتمع المجلس الوطني المنتخب ومجلس الشورى لانتخاب رئيس للجمهورية ونائب له لمدة ٥ سنوات، ويعرض اسم الرئيس على

الشعب في استفتاء عام يجب أن يحصل فيه المرشح على ٦٠ بالمئة من أصوات المشاركين في الاستفتاء.

(د) إطلاق الحريات السياسية بموجب قانون منظم لها، ومنها حرية تأليف الأحزاب السياسية والجمعيات ومنظمات المجتمع المدني، وتنظيم عملية إصدار الصحف وإطلاق الحريات الصحافية واعتماد معايير الوطنية والكفاءة والإخلاص لتولي الوظائف العامة في الدولة وترسيخ مفهوم دولة القانون والنظام والمؤسسات.

(هـ) تشكيل مجلس أعلى لحقوق الإنسان من الشخصيات المعروفة باستقامتها ونزاهتها الوطنية يتمتع بصلاحيات واسعة منها التحقيق والتفتيش والمحاسبة للمقصرين في انتهاك حقوق الإنسان العراقي وكرامته، ويرفع تقاريره وتوصياته إلى رئيس الجمهورية مباشرة ورئيس الوزراء والمجلس الوطني، والعمل بروح الوحدة على نبذ الطائفية البغيضة وتثبيت مبدأ المساواة أمام القوانين.

(و) تطوير قانون الحكم الذاتي لكردستان العراق بما يضمن الحقوق القومية والثقافية لإقليم كردستان ضمن إطار وحدة العراق وسيادته، ومناقشة هذه الأمور بروح الحوار والتفاعل مع القوى الكردية ضمن ثوابت الحرص على العلم والسيادة والسياسة الخارجية والأمن القومي للعراق».

ولعلنا نتساءل بعد كل هذه التطورات: **المقاومة العراقية إلى أين؟** ولست أجد إجابة أوضح ولا أكثر استجابة لمنطق التاريخ من التصريحات التي نشرت في ٢٤ حزيران/ يونيو الماضي (٢٠٠٤) في تحقيق تحت عنوان «**تحرير بغداد ليس بعيداً كثيراً**»:

«بغداد عشية ما يسمى نقل السيادة إلى الحكومة الانتقالية العراقية الجديدة يوم ٣٠ حزيران/ يونيو، خرج عدد من جنرالات صدام حسين السابقين الذين تحولوا إلى أعضاء في حركة نخبة المقاومة العراقية من مواقعهم السرية لبعض الوقت ليشرحوا وجهة نظرهم في الأحداث وليتحدثوا عن خططهم. وحسب هؤلاء المسؤولين البعثيين فإن «المعركة الكبرى» في العراق لم تقع بعد».

«لقد استعد الأمريكيون للحرب، أما نحن فقد أعددنا لما بعد الحرب. ونقل السلطة في يوم ٣٠ حزيران/ يونيو لن يغير أي شيء فيما يتعلق بأهدافنا. هذه الحكومة المؤقتة الجديدة التي عينها الأمريكيون ليست لها شرعية في نظرنا. ليسوا سوى دمى».

أولئك الذين تحدثوا إلى **آسيا تايمز** ـ التي انفردت بنشر هذا التحقيق ـ حددوا أهدافهم بأنها «تحرير العراق وطرد التحالف. استعادة سيادتنا وإقامة ديمقراطية

علمانية، إنما ليست تلك التي يفرضها الأمريكيون. . . بعد انقضاء أكثر من عام على بداية الحرب لا يزال انعدام الأمن والفوضى يسودان البلد. وبسبب عجز الأمريكيين عن السيطرة على الوضع والحفاظ على وعودهم فإنهم دخلوا في صراع مع السكان ككل. والمقاومة ليست محدودة بعدة آلاف من النشطين. إن نسبة خمسة وسبعين بالمئة من السكان تدعمنا وتساعدنا. بصورة مباشرة وغير مباشرة، يتبرعون بتقديم المعلومات، يخفون المقاتلين والأسلحة. وهذا كله على الرغم من حقيقة أن مدنيين كثيرين يقعون ضحايا في الخسائر المدنية في العمليات ضد الائتلاف والمتواطئين معه. . . إن كل عراقي أو أجنبي يعمل مع التحالف هو متواطئ وبالتالي فهو هدف. الوزراء، المرتزقة، المترجمون، رجال الأعمال، الطباخون أو الخادمات. . . إن توقيع عقد مع المحتل هو شهادة وفاة».

«. . . المقاومة حالياً تجمع كل حركات النضال القومي ضد الاحتلال دون تمييز طائفي أو عرقي أو سياسي. . . من الفلوجة إلى الرمادي بما في ذلك النجف وكربلاء والضواحي الشيعية لبغداد، المقاتلون يتحدثون بصوت واحد. . .

«إن المعركة الكبرى لم تبدأ بعد. وتحرير بغداد ليس بعيداً كثيراً»[٢٦].

وفيما كانت المقاومة ووراءها كل القوى الوطنية والقومية والإسلامية واليسارية تعلن استراتيجياتها وبرامجها المحددة، كان الاحتلال يحاول تدارك الأخطاء والمخاطر التي وجد نفسه محاصراً بها، وبينما هي تواصل نشاطاتها المسلحة - وغير المسلحة ـ كان الاحتلال الأمريكي يحاول جاهداً البرهنة على أنه يعني ما يقول بشأن «نقل السلطة للعراقيين» وبشأن إجراء انتخابات في العراق. . . وظل الاحتلال الأمريكي والإدارة الأمريكية يكشفان عن تردد واضح سواء بالنسبة إلى طبيعة الإجراءات الرامية إلى هذا النقل للسلطة، أو بالنسبة إلى التواريخ المحددة لتنفيذه. بل إن الأمم المتحدة أبدت أولاً تردداً إزاء تردي الوضع الأمني في تسلم أية مسؤوليات تُرْفَع عن كاهل الاحتلال في العراق.

وعلى الرغم من أن الوضع الأمني ظل يتردى تحت أعلام الاحتلال وفي وجود قواته فإن الهم الرئيس لقيادة التحالف بقي أسير محاولة التظاهر بأن ثمة تطورات نحو تسليم السلطة والسيادة للعراقيين في ٣٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠٤. وحرص الاحتلال على التظاهر بأن الهجمات القوية والجريئة على قواته، فضلاً عن عمليات الاغتيال ضد عملائه (في «مجلس الحكم» وخارجه ولبعض أعضاء «الحكومة المؤقتة» في ما

---

(٢٦) *Asia Times*, 24/6/2004.

بعد) لا تؤثر في خططه. وهكذا صدر ما أسمي بـ «قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية»[٢٧]، وجرى في ٣٠ حزيران/ يونيو إعلان تشكيل ما سُمِيّ «الحكومة المؤقتة» برئاسة الدكتور أياد علاوي كما جرت مسرحية «اختيار» السيد غازي الياور «رئيساً للجمهورية» في الأيام التي سبقت موعد ٣٠ حزيران/ يونيو[٢٨].

جرى هذا كله بينما كانت سحابة سوداء كثيفة تحط على أهداف أمريكا وخططها، وبالتالي على كل من ارتبط بوجودها العسكري أو السياسي في العراق من بعيد أو من قريب، وأعني بها فضيحة مآسي التعذيب البشعة في سجن «أبو غريب» التي طالت الاتهامات فيها عدداً من المسؤولين الأمريكيين على مستويات قيادية[٢٩]. وما كان يمكن لهذه الفضيحة إلا أن تكشف عن الوجه الحقيقي للاحتلال وزيف مزاعمه عن الديمقراطية وعن مساعدة شعب العراق.. وما إلى ذلك. لقد هزت الفضيحة صورة أمريكا أكثر مما كانت في أي وقت لدى الرأي العام العالمي كله، وأظهرت حقيقة القوات الأمريكية التي يعتمد عليها تنفيذ استراتيجية الإدارة الأمريكية برئاسة بوش، ويعتمد عليها أيضاً لتنفيذ المهمة التي عهد بها الاحتلال إلى حكومة السيد أياد علاوي.

وقد أجبرت هذه الملابسات سلطات الاحتلال على عدد من التراجعات التي كان يبدو في بدايات الاحتلال وطوال عام كامل منه أنها تمثل خطوطاً أمريكية حمراء لا يمكن التراجع عنها، وأبرزها عملية إلغاء كل وجود للجيش الوطني العراقي بإصدار قرار حله وتسريح ضباطه وجنوده بمئات الآلاف، وكذلك إلغاء كل وجود بعثي في مؤسسات السلطة. فقد وجدت سلطات الاحتلال نفسها مضطرة للإعلان عن ضرورة الاستعانة بالجيش، وأعطت ضوءاً أخضر لرئيس الوزراء المؤقت الدكتور علاوي لينتقد تسريح الجيش، كما اضطرت إلى اتخاذ موقف تمييز غير محدد المعايير بين بعثيين مقبولين وبعثيين لا يمكن قبولهم. وكشفت سلطات الاحتلال ـ التي تسمي نفسها عادة «سلطات التحالف» ـ عن مدى تخبطها في ظروف هي من صنع المقاومة العراقية

---

(٢٧) انظر: <http://64.4.30.250/cgi-bin/getmsg?curmbox = F000000001&a = e2ba1121f3c8341 f0a>.

(٢٨) حول السيرة الذاتية لأعضاء ما يسمى «مجلس الرئاسة المؤقت» و«الحكومة المؤقتة»، انظر: «Who's Who in Postwar Iraq,» Compiled by Flora Symon, *Financial Times*, 13/7/2004.

(٢٩) حول تفاصيل ما حدث، انظر: Seymaur M. Hersh, «Torture at Abu Ghraib,» *New Yorker* (10 May 2004).

وحول نتائج التحقيق الذي قام به الكونغرس حول هذا الموضوع، انظر: Thomas Crompton, «U. S. Affairs Tied to Iraqi Abuse,» *International Herald Tribune*, 26/8/2004.

بأشكالها المختلفة: المسلحة وغير المسلحة.

كذلك فقد وجدت سلطات الاحتلال ـ والإدارة الأمريكية طبعاً ـ نفسها مضطرة لتمزيق رجلها الأول في عراق ما بعد الاحتلال السيد أحمد الجلبي إرباً، وهو الذي حاول منذ أن كان بين أول من وصلوا بصحبة القوات الأمريكية من الخارج إلى العراق أن يبدو المرشح الأول والأقوى وربما الأوحد، لرئاسة الحكم في عراق الاحتلال. وفضيحة تمزيق الجلبي بحد ذاتها ترسم صورة واضحة لا عن طبيعة علاقات أمريكا بعملائها فحسب، بل عن استعدادها الفوري لإلقائهم في القمامة إذا بدا أن ذلك يرسم صورة أفضل عن عملاء آخرين.

وفي اللحظة التي اختارت فيها إدارة بوش عزل الجلبي سياسياً، وربما وضعه في السجن في مرحلة تالية ـ كانت تختار تقريب السيد أياد علاوي، الذي كان أحد أهم مميزاته ـ على حد تعبير مصادر واشنطن ـ أنه آثر أن يكون وجوده تحت الأرض منذ سقوط صدام حسين، ليكون هذا المعيار الوحيد لتوفير فرصة أفضل له عندما يحين الوقت. ويقول المصدر نفسه أن أصعب مهام علاوي ستكون حمل العراقيين على تصديقه في الزعم بأنه سيعمل على التخلص من الاحتلال الأمريكي (الذي جاء به إلى رئاسة «الحكومة المؤقتة») وما يريده منه المحتل. خاصة وأنه يوصف بأنه «لا يملك قاعدة حقيقية وينفذ في النهاية ما تريده منه الولايات المتحدة»[٣٠].

وبطبيعة الحال، فإن التخبط لم يظهر في قرارات سلطات الاحتلال فحسب، إنما بدا حتى في تردد واشنطن إزاء ما بدا حتمية تغيير القيادة العسكرية الأمريكية العليا في العراق بعد فشلها الأكيد في تحقيق حد أدنى من الأمن، وبعد تورطها المؤكد في فضيحة التعذيب في سجن أبو غريب... فقد بدا واضحاً أن كراسي القيادة تهتز بقوة تحت أقدام القيادات العسكرية. في أول تموز/ يوليو حل الجنرال جورج كيسي محل الجنرال ريكاردو سانشيز في منصب قائد القوات الأمريكية في العراق. ولا تزال علامات الاستفهام معلقة على مصير الجنرال جون أبي زيد قائد القيادة المركزية، وإن لم يتضح بصورة قاطعة ما إذا كان السبب الرئيس للحديث عن قرب تغييره يرجع إلى تسرب فضيحة سجن «أبو غريب»، أم أمل جورج بوش الابن في تأمين قيادة عسكرية توفر جواً أكثر قدرة وسيطرة على الوضع في الأشهر القليلة الباقية على موعد انتخابات الرئاسة الأمريكية (في ٢/ ١١/ ٢٠٠٤).

وعشية «تسليم السلطة» في العراق وقبل موعدها بأيام قليلة، أصدر مركز

(٣٠) Patrick Cockburn, «Iyad Allawi, the CIA's Stooge in Iraq,» *CounterPunch*, 26-27/6/2004.

الدراسات الاستراتيجية والدولية في العاصمة الأمريكية واشنطن «بياناً بحثياً» قال فيه إن الجداول والرسوم البيانية الصادرة عن «مجلس الحكم الانتقالي» في العراق حول نقل السلطة يظهر المعلومات على نحو ملائم له ويعكس تقدماً حقيقياً، «مع ذلك فإن قراءة عن قرب لشهادات أمام الكونغرس مؤخراً وملخصات للبيانات الصحفية تخفي وضعاً مختلفاً كلياً».

وهذه أهم النقاط التي ذكرها هذا البيان:

ـ تظهر معلومات مكتب إدارة البرنامج أنه من مبلغ المساعدات المخصَّص البالغ ١٨,٤ مليار دولار، فإن المبلغ الفعلي الذي تم إنفاقه بلغ ٣٣٣ مليون دولار[٣١].

ـ إن الوزارات «ستنقل» إلى سيطرة عراقية كاملة دون طواقم كافية ودون تسهيلات في التجهيز، ودون روابط مع المحافظات والحكومات المحلية.

ـ إن الرزنامة الوطنية لعملية النقل مليئة بخطط أمريكية تتطلب أمناً أكثر بكثير مما هو قائم الآن، وقد يضع العراقيون سريعاً رزنامة مختلفة خاصة بهم.

ـ إن الجهد الرامي إلى تحسين أوضاع المياه متخلف كثيراً عن الجدول الزمني، والأهداف الرئيسة فيه لن تتحقق إلا بعد وقت طويل من عمليات نقل السلطة.

ـ إن الأمن الغذائي أدنى بكثير من فترة الأشهر الثلاثة المحددة للتلبية في كل مجال.

ـ إن الأرقام المعلنة عن التسهيلات الصحية وعمليات التطعيم تخفي مشكلات كبيرة.

ـ إن التعليم في الحالة ذاتها من حيث التجهيزات والكتب والاثاث...

ـ إن الجهود في مجال الكهرباء لم تعد تذكر الأرقام الحقيقية في مجال توليد الطاقة. لقد تم التخلي إلى أجل غير مسمى عن هدف رفع القدرة من ٤٤٠٠ ميغاوات إلى ٦٠٠٠ ميغاوات.

ـ إن الإنتاج الفعلي للنفط هو الآن ثلثا الهدف المرسوم لشهر كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٤، ولا أحد يعرف متى ستتم زيادته من ٢,١ مليون برميل يومياً إلى

---

(٣١) تراوحت تقديرات مصادر أخرى للمبلغ المصروف فعلاً من مبلغ المساعدات الذي أقره الكونغرس والبالغ ١٨,٤ مليار، إلى ما بين ٤٠٠ ـ ٨٠٠ مليون دولار، أي أقل من مليار دولار، ولذلك كان الهدر في الصرف والتعاقدات التي أقدمت عليها «سلطة الاحتلال» هي من أموال العراق المختلفة.

٢,٨ ــ ٣,٠ مليون برميل يومياً.

ـ إن البنية الأمنية العراقية في كليتها في حالة تعني أن ما تذكره سلطة التحالف المؤقتة فارغ من المعنى إلى حد كبير من حيث تحقيق أهداف عراقية جديدة. مع ذلك لا توجد معلومات متاحة عن عدد الوحدات التي تملك السلاح الضروري والتسهيلات ووسائل الاتصال والنقل، إلخ.

ـ إن الرسوم البيانية عن مستوى نشاط المقاومة تظهر أنه لم يحدث تقدم حقيقي في جهود مكافحة المقاومة(٣٢).

المشاهد (السيناريوهات) المستقبلية المحتملة للاحتلال الأمريكي للعراق

بعد أن عالجنا أهداف الاحتلال الأمريكي للعراق، المُعْلَن منها وغير المُعْلَن، ومقاومة الاحتلال التي انبثقت في العراق ولا تزال وطبيعتها وأهدافها، ننتقل الآن إلى الحديث عن المشاهد المستقبلية المحتملة لهذا الاحتلال وللعراق.

إن الدراسات المستقبلية تؤكد لنا أن المستقبل ليس قدراً مفروضاً علينا. والحال هو كذلك في ما يتعلق بالعراق. فهناك مشاهد مختلفة، بعضها أحسن من بعضها الآخر ولكل منها ثمنه ومتطلباته؛ وتحقيق كل مشهد منها، وبخاصة الأفضل بينها، يتوقف على مدى قدرتنا على دفع الثمن المطلوب ومدى رغبتنا في ذلك.

ما هي محددات هذه المشاهد المستقبلية؟

العامل **الأول**: إن مصير الاحتلال الأمريكي للعراق سيحدد مصير الوطن العربي والأمة العربية، بما في ذلك القضية الفلسطينية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً ومعتمداً على ما سيحصل للاحتلال في العراق، وبعض دول الجوار الجغرافي والنظام الدولي ككل، وما إذا كان سيبقى كقطب منفرد (Unilateral) أو متعدد الأقطاب (Multilateral).

العامل **الثاني**: إن سنة ٢٠٠٤ هي سنة انتخابية أمريكية، **والرأي العام** الأمريكي هو وحده القادر على عدم التجديد للإدارة الأمريكية الحالية، وما سيترتب على ذلك بالنسبة إلى الاحتلال الأمريكي للعراق.

---

(٣٢) Anthony Cordesman, «Scholar Statement: Figures Indicate Challenging Transition Ahead in Iraq,» by Center for Strategic and International Studies [CSIS], 25 June 2004.

العامل **الثالث**: إن الرئيس بوش الابن يعطي الأولوية لنجاحه في إعادة انتخابه على أية سياسات داخلية أو خارجية، بما في ذلك احتلال العراق. فإذا توفرت ظروف ملائمة يبقى حرص الإدارة الأمريكية على البقاء في العراق لأطول مدة ممكنة ولآخر يوم ممكن لتحقيق أهدافها الاستراتيجية المعلنة وغير المعلنة. وسيتوقف تحقيق أي من المشاهد المختلفة على الوضع الانتخابي للرئيس بوش الابن.

العامل **الرابع**: هناك أمور أساسية ستحدد نجاح أو فشل الرئيس بوش الابن في إعادة انتخابه، وهي:

١ - **ما سيجري في العراق خلال هذا العام بالنسبة إلى الاحتلال الأمريكي.**

٢ - **الوضع الاقتصادي داخل أمريكا**[٣٣]، فالإدارة الأمريكية الحالية استلمت الحكم وكان لديها فائض بالميزانية يبلغ حوالى ٢٦٨ مليار دولار، وتعاني ميزانية السنة الحالية من عجز يُتوقع أن يصل إلى ٥٠٠ مليار دولار، كما يُتوقع أن يتم تجاوز هذا العجز في السنة القادمة.

كذلك فإن الدولار الأمريكي انخفض بحوالي ٣٥ بالمئة خلال سنة. وكان الدولار يستعمل باعتباره الاحتياطي الوحيد تقريباً للعملات في العالم، أما الآن، فقد دخل اليورو ويستعمل بشكل متزايد. وهذا يعني أن كل العرب المستثمرين في أمريكا، ضاعت عليهم الفوائد، لأن الفائدة الآن لا تكاد تتجاوز ١,٥ بالمئة على إيداعات الدولار. صحيح أن انخفاض الدولار يشجع صادرات أمريكا، لكنه يزيد كلفة واردات أمريكا، فهو سلاح ذو حدين. وإلى ذلك، فإن معدلات النمو خلال الفصول الثلاثة الماضية ارتفعت؛ لكنها في الربع الثاني من العام الحالي الذي نشرت المعلومات عنه، بدأت تنخفض. وحتى هذا النمو في الناتج القومي لم يستطع أن يُحسِّن وضع العمالة، وهناك أكثر من ٣ ملايين زيادة في أعداد العاطلين عن العمل منذ أن استلم بوش الإبن الإدارة الأمريكية.

والعامل الاقتصادي الآخر المهم هو أن الشعب الأمريكي، وخلاف معظم

---

(٣٣) انظر الدراستين المتميزتين حول هذا الموضوع: زياد حافظ، «المشهد الاقتصادي في الولايات المتحدة وتداعياته على سياساتها الخارجية،» وفيليس بينيس، مجموعة العمل الخاصة بالعراق في معهد دراسات السياسة ومركز السياسة الخارجية في بؤرة الاهتمام، «دفع الثمن: النفقات المتصاعدة لحرب العراق: الاستنتاجات الأساسية،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٧، العدد ٣٠٦ (آب/أغسطس ٢٠٠٤)، ص ٥٨ ـ ٩٧ و١٠٨ ـ ١١٥ على التوالي. كما يشير أحد التقارير إلى أن حرب العراق ستكلف كل عائلة أمريكية ٣٤١٥ دولاراً. انظر: Julian Borger, «Iraq War Will Cash Each Family $3,415,» *Guardian*, 25/6/2004.

الدول الأوروبية، يستثمر كثيراً في الأسهم والسندات. ويُقال إن ٧٠ بالمئة من الشعب الأمريكي يستثمر فيها، وإن دخله ليس فقط من الرواتب أو الأجور التي يتقاضاها، وإن جزءاً من الدخل لغالبية الأمريكيين هو من عوائد وارتفاع قيمة هذه الأسهم والسندات، والتي انخفضت بشدة الآن. ورغم أنها استرجعت قسماً من انخفاضها، فإن قيمتها ما تزال أقل من السنوات التي سبقت مجيء بوش. وهذا لا يؤثر في الدخل الحالي للأمريكيين فحسب، بل في مستقبلهم أيضاً، لأن رواتب التقاعد ـ الصناديق التقاعدية التي تشمل الاستقطاعات التقاعدية ـ مستثمرة في أسهم وسندات، وبالتالي فإن انخفاضها سيؤدي إلى انخفاض الراتب التقاعدي للشخص مستقبلاً. وهكذا فإن الوضع الاقتصادي الحالي في الولايات المتحدة وضع حرج بالنسبة إلى الرئيس الذي يريد أن ينتخبه هؤلاء الأمريكيون لفترة رئاسة ثانية.

٣ ـ والعامل الثالث هو **الكلفة البشرية للاحتلال**: فالأرقام التي تُنشر عن عدد القتلى، وكلّ ما يُنشر عن عدد الجرحى أقل كثيراً من الواقع لأسباب لا يعرفها إلا المطَّلع على تفاصيل نظام الجيش الأمريكي وهو يقوم على أساس التطوع. فهناك أربع مجموعات داخل جيش الاحتلال الأمريكي في العراق هي: أولاً **العسكريون الذين يحملون الجنسية الأمريكية**، وهذا هو القسم الذي يعلن عن عدد القتلى فيه .**والقسم الثاني** هو لأشخاص مقيمين في أمريكا ويحملون البطاقة الخضراء (Green Card) التي تكفل لهم الإقامة، وهؤلاء لا تعلن أعداد القتلى فيهم، وهناك اتفاق معهم ومع عوائلهم أنه لو حدث أن قتلوا في الميدان، فإن الجيش الأمريكي ليس مجبراً على أن يعيد جثثهم إلى أمريكا. **والقسم الثالث هو لأشخاص يقطنون في أمريكا بصورة مؤقتة وبلا إقامة دائمية (البطاقة الخضراء) ولا جنسية أمريكية، وتطوعوا في الجيش الأمريكي** بأمل أن يحصلوا على الجنسية أو البطاقة الخضراء في ما بعد. **والقسم الرابع هم المقاولون الأمريكان** (American Contractors). فالجيش الأمريكي بدأ في السنوات الأخيرة يقلص دوره في ما يتعلق بالخدمات العسكرية، ولَجَأَ إلى خصخصة الخدمات في الجيش، وتقوم شركات مقاولات بتقديم هذه الخدمات، ويجري هذا في العراق على نطاق[٣٤] واسع بما في ذلك في مجال الاستعانة بالمترجمين والحراسة والخدمات الأخرى. هذه المجموعة كذلك لا تدخل في حساب الخسائر البشرية. وبالتالي فإن عدد القتلى أكبرُ بكثير من الأرقام المعلنة.

---

(٣٤) يشير أحد التقارير إلى أن عددهم في العراق يبلغ حوالى عشرة آلاف، بمعدل مقاول واحد لكل عشرة جنود تقريباً. انظر: Barry Yeoman, «Outstanding War: The Growing Role of Me,» *International Herald Tribune*, 3-4/4/2004.

أما بالنسبة إلى الجرحى[٣٥]، فيكفي ذكر رقم واحد كمؤشر. فالجرحى الأمريكان الذين تتعذر معالجتهم في العراق أو الكويت ينقلون إلى المستشفى الاقليمي في قاعدة أمريكية هي قاعدة رامستين الجوية قرب لاند ستوهل في ألمانيا، والتي يتوقف فيها جميع الجرحى تقريباً الذين يتم إجلاؤُهم من العراق. وقد ذكرت مديرة ذلك المستشفى الكولونيل روندا كورنم (Rhonda Cornum)، في مقابلة صحافية مع جريدة **النيويورك تايمس** أن عدد الجرحى الأمريكان الذين وصلوا إلى ذلك المستشفى كان قد بلغ ٧٧١٤ بالإضافة إلى ٦٠٠ جريح أعيدوا إلى الولايات المتحدة بسبب أمراض نفسية. وعن عدد المنتحرين يقول الجيش الأمريكي إن نسبتهم أعلى من نسبة حالات الانتحار في أية عمليات عسكرية أخرى. لذلك نحن قد لا نعلم حقيقة الأرقام، لكن الأمر المؤكد هو أن الإدارة الأمريكية تعرف، وأن هناك تعتيماً إعلامياً على الموضوع كله، وتتم عمليات التشييع في الكنائس وغيرها ـ وهناك يعرف الناس بالأمر، وبالتالي، فإن العملية ستؤثر في أصوات الناخبين إذا استمرت هذه الضحايا البشرية في الازدياد، وهو ما تشير إليه آخر المعلومات[٣٦].

٤ ـ والعامل الرابع هو ما يحدث في أفغانستان الآن ومظاهر تزايد نشاط «طالبان» و«القاعدة» بصورة نلحظها إخبارياً كل يوم، بعد أن كان الإعلام يتعامل مع أفغانستان وكأنها مشكلة انتهت. وهذا العامل، وإن لم يكن في مستوى العاملين السابقين، إلا أنه عامل يدخل في الحساب أيضاً.

٥ ـ وثمة عامل آخر هو **أية مفاجآت جديدة محتملة بين الآن وموعد الانتخابات القادمة**، تميل إلى هذه الجهة أو تلك. ما هو وضع بوش الحالي في الانتخابات؟ خلال الأسابيع الأخيرة تظهر استطلاعات الرأي سواء التي أجرتها فضائية استطلاع قامت به

---

(٣٥) انظر: Andrew Buncombe, «The Hidden Cost of Bush's War,» *Independent*, 14/11/2003.

كما يشير التقرير إلى أن التقديرات لعدد الجرحى في الحرب الجارية في العراق أن نسبة الجرحى إلى القتلى هي ثمانية إلى واحد، في حين كانت هذه النسبة خلال الحرب العالمية الثانية ثلاثة إلى واحد. كما يجب الأخذ بنظر الاعتبار أن عدد الجرحى المشاركين ٧٧١٤ كان في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣، أي بعد حوالى ثمانية أشهر من الحرب، ولا بد أن يكون عدد الجرحى الآن أعلى من ذلك بكثير بعض مضي حوالى تسعة أشهر على ذلك التاريخ.

(٣٦) تشير آخر المعلومات إلى أن شهر آب/ أغسطس ٢٠٠٤ قد سجل ارتفاعاً عالياً في عدد ضحايا الولايات المتحدة في العراق، فإن عدد جرحى الجنود الأمريكيين والمارينز خلال شهر آب/ أغسطس وحده بلغت ١١٥٥، وهو أعلى رقم شهري يسجل منذ بدء الحرب. كما قتل خلال هذا الشهر ٦٦ شخصاً عسكرياً، وهو كذلك أعلى رقم شهري منذ أيار/ مايو ٢٠٠٣. كما تقدر المصادر العسكرية الأمريكية أن عدد الهجمات على قواتها قد بلغ معدل ٩٥ هجمة يومياً أي حوالى ٢,٧٠٠ هجمة خلال شهر آب/ أغسطس ٢٠٠٤، وهو أعلى معدل منذ أول أيار/ مايو ٢٠٠٣. انظر Ed Blanche, «The Coming Conflagration in
= Iraq: Insurgents are Slowly Extending their Control,» *Daily Star*, Beirut, 11/9/2004, p. 6.

الـ «CNN» ومعهد غالوب مع صحيفة الـ **يو إس إي توداي** وغيرها أنه لو جرت الانتخابات الآن (من تنتخب؟)، لَحَصَلَ كيري على ٥٢ بالمئة، وبوش على ٤٤ بالمئة. وفي استطلاع آخر قامت به الـ «ABC» القناة التلفزيونية وجريدة **الواشنطن بوست**، كان السؤال: ما مدى نجاح بوش في مكافحة الإرهاب؟ كان ٦٣ بالمئة من المستجيبين في صالح بوش، وعندما سألوهم عن إدارة حرب العراق كان منهم ٤٦ بالمئة فقط مع بوش. وحين سألوهم عن الاقتصاد كان ٣٩ بالمئة منهم مع بوش. هذه أرقام تتغير حسب الظروف، لكنها مؤشر مهم. وقد انخفضت شعبية بوش إلى أقل من ٥٠ بالمئة في الفترة الأخيرة، وهي أقل نسبة منذ أن استلم بوش الإدارة حتى الآن، وهي آخذة في الانخفاض مع استمرار المقاومة. وقد أصابها انخفاض كبير بعد فضيحة التعذيب في سجن «أبو غريب». إلا أن شعبية بوش ارتفعت، كما هو متوقع بعد انعقاد مؤتمر الحزب الجمهوري في أواخر شهر آب/ أغسطس ٢٠٠٤، وتدل آخر استطلاعات الرأي العام على أن الرئيس بوش يتقدم بفارق بسيط على منافسه الديمقراطي جون كيري بالنسبة إلى الناخبين الملتزمين، حيث يتقدم بوش على كيري بـ ٥١ بالمئة مقابل ٤٦ بالمئة مع تأييد ١ بالمئة للمرشح المستقل رالف نادر[٣٧]. وتبقى هذه الأرقام عرضة للتطورات في العراق وفي الاقتصاد الأمريكي والحملة الانتخابية للمرشحين.

فما هي المشاهد المستقبلية المحتملة للاحتلال الأمريكي للعراق في ضوء هذه المتغيرات؟

المشهد الأول: هو المشهد المتفائل بدرجة من الموضوعية، وهو يمكن أن يتحقق في أحد احتمالين، أو كليهما معاً:

في **حالة فشل الرئيس بوش الابن في الانتخابات القادمة** في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤. وهذا يعني نجاح منافسه جون كيري. وهناك تساؤل مشروع في ما إذا كان هناك فرق بين الاثنين بالنسبة إلى احتلال العراق، وبخاصة أن الاثنين يتنافسان على تأييد إسرائيل.

= كما اعترف وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد ورئيس أركان القوات المسلحة ريشارد مايرز في ٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤ أن الثوار السنّة والشيعة يسيطرون على أجزاء مهمة من وسط العراق وأنه من غير الواضح متى ستكون القوات الأمريكية وقوات الحكومة العراقية قادرة على استرجاع هذه المناطق، والتي سيعني عدم استرجاعها تعذر اجراء الانتخابات في أول عام ٢٠٠٥.

(٣٧) قامت بالاستطلاع وكالة «اسوشييتد برس» الأمريكية للأنباء بالتعاون مع مؤسسة «إبسوس» المتخصصة للناخبين المتوقع أن يدلوا بأصواتهم في انتخابات الرئاسة في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل. انظر: **الشرق الأوسط**، ١٢/ ٩/ ٢٠٠٤، ص ٩.

وفي رأيي أن تلك نظرة متسرعة وتغفل الاختلافات بين الاثنين في أمور أساسية وجوهرية:

فلدى الرئيس بوش الإبن مخطط شامل للتغيير في منطقة «الشرق الأوسط» والعراق بدايته، وهو يهدف إلى إعادة رسم خريطة «الشرق الأوسط» بدءاً بالعراق. أما جون كيري، فليس لديه مثل هذا المخطط الشامل للتغيير في المنطقة. أما بالنسبة إلى العراق فهو يقول إن الرئيس بوش أدخل أمريكا في المستنقع العراقي، وأنه سيعمل على إخراج أمريكا من هذا المستنقع.

وفي حين يتصرف الرئيس بوش لتحقيق مخططه على أساس العمل الانفرادي (Unilateralism) والهيمنة على العالم (Hegemony)، فإن الرئيس المرشح جون كيري يؤمن بالعمل الدولي المشترك والجماعي (Multilateralism)، وهو يفهم دور أمريكا في النظام الدولي على أنه دور قيادي (Leadership) وليس هيمنة.

وفي حين يُعْتَبر الرئيس بوش متزمتاً ايديولوجياً وعنيداً وأقلَّ خبرة شخصية ويبدو خارج سربه مع بقية العالم، فإن الرئيس المرشح جون كيري منفتح على آراء الآخرين وذو خبرة شخصية أكبر، ومرتاح أكثر تجاه الثقافة غير الأمريكية.

وفي حين يهدف الرئيس بوش إلى السيطرة على نفط العراق والخليج ومناطق أخرى في العالم، كورقة اقتصادية يتعامل من خلالها مع الاتحاد الأوروبي واليابان والصين والهند وغيرها، يعلن الرئيس المرشح جون كيري في برنامجه الانتخابي أنه يريد إنهاء اعتماد الولايات المتحدة على نفط الشرق الأوسط، مع ما يترتب على كل من النظرتين من استراتيجيات وسياسيات مختلفة.

ومن المتوقع في حالة فشل الرئيس بوش في الانتخابات القادمة ونجاح الرئيس المرشح جون كيري، ولأن **الاحتلال** أصبح **هو المشكلة وليس الحل**، أن تنتقل المسؤولية السياسية والأمنية مؤقتاً إلى الأمم المتحدة، من خلال إدارة انتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة مع قوة متعددة الجنسيات تحت قيادة الأمم المتحدة، يمكن أن تكون من دول عربية صغيرة وليست لديها مصالح خاصة في العراق، كاليمن ولبنان والجزائر على أن يتم إعادة تشكيل الجيش العراقي على أسس غير سياسية، وأن يُمنع على الأحزاب الوطنية في العراق العمل داخل الجيش الوطني، وأن يُخيّر الضباط والأفراد السابقون في الجيش المنحل بين الالتحاق بالجيش والتخلي عن أي نشاط سياسي سابق، إن وجد، أو أن يتركوا الجيش ويلتحقوا بالعمل السياسي أو العمل في وظائف مدنية. ويتم الأمر نفسه بالنسبة إلى قوات الشرطة والأمن والمخابرات.

وتحدد فترة انتقالية لقوات الأمم المتعددة الجنسيات لا تزيد عن ستة أشهر، يتم

خلالها إعادة بناء القوات المسلحة المختلفة، ويتم خلالها أيضاً انسحاب القوات الأمريكية والقوات الأخرى التي شاركت معها في احتلال العراق، وأن لا تتم الانتخابات العامة للمجلس الوطني إلا بعد جلاء القوات المحتلة جميعاً.

الثاني: في حالة نجاح المقاومة بأنواعها المختلفة، المسلحة والسلمية، في إجبار الاحتلال على انسحاب غير مشروط من العراق وإدارة شؤون العراق مباشرة، من خلال سيطرة المقاومة نفسها على معظم العراق، أو من خلال إدارة انتقالية من قبل الأمم المتحدة على غرار ما ذكرناه في المشهد السابق، سواء نجح الرئيس بوش في الانتخابات القادمة أو لم ينجح.

وهنا قد نتساءل عن **مدى الدعم العربي للمقاومة**. ولحسن حظ العراق والمقاومة أن استمرار المقاومة في العراق لا يحتاج إلى دعم عربي مادي، ولو كان بإمكان بعض القوى أن تتدخل ربما كان تدخُّله ضد المقاومة لا معها. لقد كانت الحرب على العراق حرباً أمريكية - عربية، فالأنظمة العربية بدون استثناء، كانت بين «خائف» و«ساكت»، و«متواطئ علناً»، و«متواطئ سراً»[٣٨].

أما لماذا القول إن المقاومة العراقية لا تحتاج إلى الدول العربية، فلأن المقاومة عندها مقاتلون مدربون وعملياتهم تحول حتى الآن بين الأمريكيين وفتح مطار بغداد. إذْ لدى المقاومة صواريخ قادرة على إسقاط الطائرات المروحية «الأباشي» الهليوكوبتر. والتقارير الأمريكية العسكرية تشير إلى أنهم يستعملون تقنية عالية جداً، وكما أشير إلى ذلك سابقاً، وعندهم ما يكفيهم من الأسلحة، أو هي متوفرة في السوق للشراء، وعندهم الحد الأدنى من التمويل، وهم بحاجة إلى دعم معنوي شعبي لوجود تعتيم شديد على المقاومة في العراق. حتى التلفزات العربية كانت في البداية تذكر في نشرات الأخبار أخبار المقاومة في صدارة نشراتها، أما الآن فتذكرها في الوسط، أو تؤخر ترتيبها في نشراتها. هناك الآن تعتيم وتشويش في بعض القنوات. والمقاومة بحاجة إلى دعم من الإعلام المرئي والمسموع والمقروء.

ثم إن هذا المشهد يعتمد على نجاح المقاومة العراقية بأشكالها وأنواعها المختلفة

---

(٣٨) حول بعض الفضائح عن دور بعض الأنظمة العربية في التواطؤ مع الولايات المتحدة في احتلال العراق، انظر: Bob Woodward, *Plan of Attack* (New York; London: Simon and Schuster, 2004), pp. 257 and 312-315,

وانظر أيضاً صفحات أخرى متفرقة حول مصر والسعودية وغيرهما. وحول تأكيد بعض الحكام العرب قبل الحرب أن «العراق يملك أسلحة دمار شامل» وأموراً أخرى مثيرة للأسى، انظر: Malcolm McConnell and Tomy R. Franks, *American Soldier* (New York: Harper Collins, 2004).

في تأليف هيئة وطنية تكون الواجهة السياسية للمقاومة، وأن تكون مؤلفة من التيارات الرئيسة في العراق وهي: التيار القومي، والتيار الإسلامي، والتيار اليساري، بكل أطياف وتشعبات هذه التيارات الثلاثة. ومن المفيد أن تدرك هذه التيارات أن مصيرها في الميزان وأنه إذا (لا قدر الله) نجحت أمريكا في الاستقرار والاستمرار في العراق وفي القواعد العسكرية، فلن يكون أي من هذه التيارات الثلاثة في منجى أو مأمَنٍ من الولايات المتحدة، وأنه ليس بإمكان أي منها لوحده أن يجبر الولايات المتحدة وحلفائها على الانسحاب. كما أن من المفيد أن تعلم جميع قوى المقاومة العراقية أن العراقيين قد خرجوا من «القمقم» السياسي، بعد التاسع من نيسان/ أبريل ٢٠٠٣، رغم كل ما أصابهم من خسائر، وأنه من الصعب على أية جهة كانت أن تعيدهم إلى ذلك «القمقم» السياسي، وأن العراقيين بحاجة إلى «التحرير» و«الديمقراطية» ولا سبيل إلى غير ذلك. أما السياسات الداخلية الأخرى المطلوبة بعد التحرير فقد سبقت معالجتها في مقابلات أخرى منشورة في هذا الكتاب.

المشهد الثاني: السيناريو الثاني بين احتمالات المستقبل هو **مشهد نقل السلطة إلى حكومة مرتبطة بالاحتلال** ولا تملك فعلياً استقلالية القرار الوطني مع بقاء الاحتلال من خلال قواعد عسكرية دائمة.

ويفترض هذا المشهد نجاح الرئيس بوش في الانتخابات القادمة وفشل المقاومة في فرض الانسحاب من العراق على قوات الاحتلال. وهذا هو السيناريو الذي تشتغل عليه الإدارة الأمريكية، وبخاصة منذ إصدار «قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية» وتأليف «حكومة مؤقتة» على نحو ما رأينا، وهي مؤلفة بشكل يجعلها خاضعة لمشيئة الولايات المتحدة. ولذلك تستطيع أن تحصل على أغلبية في أي تشكيل، كما في ما يسمى «المجلس الوطني الانتقالي». وهي التي ستسن قانون الانتخابات وتشرف عليها. ولذلك فهم سيخططون على أساس أن يأتوا بمجلس مؤيد لهم. وهناك في أحد ملاحق القانون إشارة إلى أن «الحكومة المؤقتة» يمكن أن تعقد اتفاقيات عسكرية. وهذا المشهد فيه تفصيلات تدل على أنهم ليسوا في العراق فقط بسبب النفط وإسرائيل. بل إنهم يعتبرون العراق منطقة استراتيجية. وأحد الأهداف المطروحة هو تكوين مجلس أمن خليجي يتكون من دول مجلس التعاون الخليجي «الست زائد واحد» والواحد الزائد هو العراق، والكل تحت الرعاية الأمريكية. وهناك مشروع آخر يسمونه (٦+٢)، أي دول مجلس التعاون الخليجي الست زائد اثنين هما العراق وإيران، بعد أن يتمكنوا من تدجين إيران باعتبار أن إيران قد تضطر إلى ركوب هذا القطار الأمريكي والسير معهم.

المشهد الثالث: مشهد **بقاء الاحتلال وغياب السيادة والاستقلال** لفترة أخرى قادمة ولما بعد الانتخابات الأمريكية، حيث يفترض نجاح الرئيس بوش في الانتخابات القادمة. وهو يعني أن المحاولة الحالية حتى بعد تشكيل «الحكومة الانتقالية» لن تنجح، وقد لا ينجح هدف إقامة قواعد عسكرية أمريكية، أي قد ينجُم عن ذلك انهيار «الحكومة المؤقتة» وعدم التمكن من إجراء انتخابات مباشرة لانتخاب مجلس وطني واختيار حكومة شرعية وإعداد الدستور ثم إجراء انتخابات أخرى لمجلس وطني دائم. في هذه الحالة يبقى الوضع الراهن إلى ما بعد انتخابات الرئاسة الأمريكية، حيث من المتوقع أن يستمر الرئيس بوش ويستمر المحافظون الجدد معه في الإدارة الجديدة في محاولة لتنفيذ مخططه الشامل، مهما كانت الخسائر البشرية، مع ما سيترتب على هذا المشهد من نتائج خطيرة ليس على العراق فقط وإنما على سوريا ومصر والسعودية، وإيران وما بعدها، إضافة إلى تأثيره في استمرار انفراد أمريكا بسياسة الهيمنة على النظام العالمي. والاحتمال الثاني أن يتخلى عن مخططه السابق وعن المحافظين الجدد ويحاول أن يجد صيغة انتقالية تخلصه من المستنقع الذي وجد نفسه فيه في العراق، وهو احتمال ضعيف، إذا ما وجد أنه حصل على تأييد أغلبية الشعب الأمريكي لسياسته السابقة.

خاتمة

هكذا نرى أن جانباً في رسم صورة المستقبل يتوقف على الأمريكيين، وآخر يتوقف على المقاومة في العراق، وإلى أي حد ستؤثر في الناخب الأمريكي في الانتخابات، وثالثاً على العامل الاقتصادي الذي سيؤثر أيضاً في الناخب.

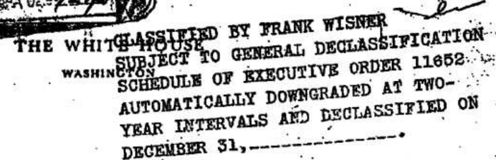
لقد كسبت الولايات المتحدة حتى الآن «معركة» احتلال العراق، ولكن المهم هو من سيكسب «الحرب»[٣٩]، وهناك من الأمور الموضوعية ما يبرر التفاؤل بأن العراق سيكسب «الحرب» مع الاحتلال. ولكنني أعتقد أنه إذا فاتتنا فرصة السنة الحالية ٢٠٠٤ فستكون العملية أطول وأصعب، وستتطلب ضحايا أكثر، لكن ذلك لن يعني فقداناً كلّياً للأمل، ولكنه سيعني زيادة في التضحيات والمعاناة.

(٣٩) التعبير مأخوذ من الرئيس نيكسون الذي أشار، عندما كان نائباً للرئيس، في محاضرة ألقاها في اتحاد الطلبة بجامعة أوكسفورد بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ والاعتداء الثلاثي على مصر «أن عبد الناصر خسر المعركة ولكنه كسب الحرب» (Nasser Lost the Battle but Won the War).

الوثيقة رقم (١)

أ ـ النص الانكليزي

THE WHITE HOUSE
WASHINGTON


CLASSIFIED BY FRANK WISNER
SUBJECT TO GENERAL DECLASSIFICATION
SCHEDULE OF EXECUTIVE ORDER 11652
AUTOMATICALLY DOWNGRADED AT TWO-
YEAR INTERVALS AND DECLASSIFIED ON
DECEMBER 31, ---------------.

SECRET/NODIS/XGDS

MEMORANDUM OF CONVERSATION

SECRET

PARTICIPANTS: Sa'dun Hammadi, Minister of Foreign Affairs of Iraq
Falih Mahdi 'Ammash, Iraq Amb. to France
______ ______, Aide
Dr. Henry A. Kissinger, Secretary of State
Isa Sabbagh, PAO, Amembassy Jidda
Peter W. Rodman, NSC Staff

DATE AND TIME: Wednesday, December 17, 1975
12:20 - 1:18 p.m.

PLACE: Iraqi Ambassador's Residence
Rue d'Andigne
Paris XVI

Kissinger: Our two countries have not had much contact with each other in recent years, and I wanted to take this opportunity to establish contact. I know we won't solve all our problems in one meeting. It will take at least two. [Laughter] I thought a brief exchange of views would be helpful and I appreciate your courtesy in receiving me.

Hammadi: I am glad to see you, Your Excellency. We haven't had contacts, for reasons that you know and we know. It is always useful to exchange views.

Kissinger: Our basic attitude is that we do not think there is a basic clash of national interests between Iraq and the United States. For a variety of reasons, Iraq and the United States have been on opposing sides. But we have managed to normalize relations with most of the other Arabs. On purely national grounds, we see no overwhelming obstacles on our side. Maybe you have a different view.

SECRET/NODIS/XGDS

CLASSIFIED BY Henry A. Kissinger
EXEMPT FROM GENERAL DECLASSIFICATION
SCHEDULE OF EXECUTIVE ORDER 11652
EXEMPTION CATEGORY 5 B(1), (3)
AUTOMATICALLY DECLASSIFIED ON Imp. to det.



Hammadi: We of course have different views, and I will tell you why. Iraq is part of the Arab world. We believe the United States has been the major factor in building up Israel to what it is today.

Kissinger: True.

Hammadi: It was created in 1948 and could not have lived up to this day without the United States.

Kissinger: The Soviet Union was active then too.

Hammadi: True. That is why there were some strained relations with the Soviet Union. Our good relations with the Soviet Union are only more recent. The Communists were not popular with the masses then.

But the difference is you believe Israel is there to stay. We believe Israel was established by force and is a clear-cut case of colonialism. Israel was established on part of our homeland. You don't believe that.

But that is not the whole story. Israel is now a direct threat to Iraq's national security.

Kissinger: How to Iraq?

Hammadi: Israel has built up to a military power that can threaten Iraq, especially with the recent news that we read of the US supplying sophisticated weapons. So it is not only the Arab world that is threatened, and Iraq being part of the Arab world, but Iraq itself. We think the US is building up Israel to have the upper hand in the area.

Even Lebanon -- they say it affects Israel's security. A strong, powerful nuclear Israel with the upper hand in the area. Whatever happens in the Arab world is interpreted as a threat to Israel. Even a change of government in Iraq would be interpreted that way.

Kissinger: My impression is if you change your government in Iraq, they won't object. [Laughter] I understand your problem.

Hammadi: This is my painting of the picture now -- up to 1980. You say the United States is bringing all its weight to bring about a settlement. But this is a settlement, not peace. A new wave of troubles and clashes will start, because Israel is not a state to stay within what they are. Because if there is an opportunity, they will expand. The record shows it. And they are supported by the biggest power in the area. What the United States is doing is not to create peace but to create a situation dominated by Israel, which will create a new wave of clashes.

Kissinger: I understand what you are saying. When I say we are willing to improve relations with Iraq, we can live without it. But it is our policy to move toward better relations.

I think, when we look at history, that when Israel was created in 1948, I don't think anyone understood it. It originated in American domestic politics. It was far away and little understood. So it was not an American design to get a bastion of imperialism in the area. It was much less complicated. And I would say that until 1973 the Jewish community had enormous influence. It is only in the last two years, as a result of the policy we are pursuing, that it has changed.

We don't need Israel for influence in the Arab world. On the contrary, Israel does us more harm than good in the Arab world. You yourself said your objection to us is Israel. Except maybe that we are capitalists.

We can't negotiate about the existence of Israel but we can reduce its size to historical proportions.

I don't agree Israel is a permanent threat. How can a nation of three million be a permanent threat? They have a technical advantage now. But it is inconceivable that peoples with wealth and skill and the tradition of the Arabs won't develop the capacity that is needed. So I think in ten to fifteen years Israel will be like Lebanon -- struggling for existence, with no influence in the Arab world.

You mentioned new weapons. But they will not be delivered in the foreseeable future. All we agreed to is to study it, and we agreed to no deliveries out of current stocks. So many of these things won't be produced until 1980, and we have not agreed to deliver them then.

Our policy is to move our policy towards peace and to improve relations with the Arab world. Iraq is not a negotiator, but I think the policy of Egypt and Syria to improve relations with us helps us to bring pressure for a settlement.

The Israelis like you better than Sadat, because they like to put it in terms of a US-Soviet problem. We don't want you to have unfriendly relations with the Soviet Union; we don't interfere in your relations with the Soviet Union. But basically, the Israelis prefer radical Arabs.

If the issue is the existence of Israel, we can't cooperate. But if the issue is more normal borders, we can cooperate.

We have moved toward normalization with others -- except Libya. South Yemen we will move towards.



Hammadi: We are on the other side of the fence. We have the right to ask many questions.

Kissinger: Please.

Hammadi: Given the record, what can make us believe the United States won't continue the policy of the last twenty years of giving unlimited support.
Kissinger: It depends on what you mean by unlimited support. One important change in America...

Sabbagh was with me when I saw Faisal for the first time. I told him it would take a few years; we would have to move slowly. I have told all the Arabs this. It has now reached the point in America where attitudes have changed. When I testify to Congressional committees, I face increasingly hostile questions about Israel. No one is in favor of Israel's destruction -- I won't midlead you -- nor am I.

But the support in the 1960's was $200-300 million. Now it is $2-3 billion. That is impossible to sustain. We can't even get it for New York. It is just a matter of time before there is a change -- two to three years. After a settlement, Israel will be a small friendly country with no unlimited drawing right. It will be affected by our new electoral law, strangely enough. So the influence of some who financed the elections before isn't so great. This has not been so noticed. It will take a few years before it is fully understood.

So I think the balance in America is shifting. If the Arabs -- if I can be frank -- don't do anything stupid. If there is a crisis tied to the Soviet Union, groups in America could make it an anti-Communist crusade.

Hammadi: So you think the US policy after a settlement wouldn't be the same?

Kissinger: We want the survival of Israel, but not dominating the area. No one can conquer the Arab world. Even if they take Damascus, Cairo and Amman, you will be there, and Libya will be there. So if Israel wants to survive as a state like Lebanon -- as a small state -- we can support them.

Hammadi: What is the Israeli thinking?

Kissinger: First, they want to get rid of me. Because I made them go back. Second, in 1976 they want to provoke the Arabs -- in Lebanon, in Syria -- because they think if there is war they can win and create great



turmoil. Third, they want to pass legislation in America to antagonize as many Arabs as possible. So we get the anti-boycott, anti-discrimination, anti-arms sales legislation. They hope the Arabs will go back to a situation like 1967-1973, when the Syrians and Egyptians adopt an anti-American line. So they can say they are the only American friend in the Middle East. What they want is what you predict -- that they be the only friend. We want other friends, to reduce that argument.

Aide: Your Excellency, do you think a settlement would come through the Palestinians in the area? How do you read it? Is it in your power to create such a thing?

Kissinger: Not in 1976. I have to be perfectly frank with you. I think the Palestinian identity has to be recognized in some form. But we need the thoughtful cooperation of the Arabs. It will take a year or a year and a half to do it, and will be a tremendous fight. An evolution is already taking place.

Aide: You think it will be part of a solution?

Kissinger: It has to be. No solution is possible without it. But the domestic situation is becoming favorable. More and more questions are being asked in Congress favorable to the Palestinians.

Hammadi: Do you think a Palestinian state is possible?

Kissinger: We don't exclude it as a matter of principle. You can't do it now.

Hammadi: What about the Palestinians who are now refugees? The Palestine area is now crowded -- Gaza and the West Bank.

Kissinger: They should have a choice, either to stay where they are or go to a Palestinian state.

Hammadi: You think some in, say, the Galilee area might choose to leave Israel and join the new Palestinian state?

Kissinger: In Galilee?

Hammadi: Arab Israelis.

Kissinger: I have told friends that peace isn't a final end. Wars begin elsewhere between countries that are at peace. Only in the Middle East do wars begin between countries that are at war.

But we support the existence of Israel. We draw the line at the destruction of Israel.

Aide: The Palestinians already put aside this idea. This is my personal view. Because the Israelis are trying to buy land in the Galilee area and there is resistance. The Communist Party in the area is using it in the municipal elections. Is this because the Israelis are looking to the creation of a Palestinian state and want to buy this land?

Kissinger: It could be in their minds. I am not familiar with it.

Aide: This is being used by the Communist Party in the area. The Israelis know you Americans are behind the idea of a Palestinian state.

Kissinger: We have to be careful and move gradually. The Israeli press accuses me. I have said we can't move to the Palestinians until they accept the existence of the State of Israel and Security Council Resolution 242. I have never excluded the recognition of the PLO; I have always tied it to recognition of Israel and 242. The implication is we will do something if they do recognize Israel and 242.

Aide: Kaddumi says: "How can we recognize Israel if they don't recognize the PLO?"

Kissinger: With all respect, what Israel does is less important than what the United States does.

Hammadi: Your Excellency, your and our points of view are different. You are for the existence of Israel; we are not. So on this point I don't think we can agree.

Maybe we can talk of other aspects.

We are not against improving relations with any state, even states with whom we have basic differences.

We read in the newspapers the United States was providing weapons to the Kurdish movement in the north of Iraq. Our attitude is not based on that; we have a reason to believe the US was not out of this. What is your view?

Kissinger: When we thought you were a Soviet satellite, we were not opposed to what Iran was doing in the Kurdish area. Now that Iran and you have resolved it, we have no reason to do any such thing. I can tell you we will engage in no such activity against Iraq's territorial integrity, and are not.

Hammadi: This is a result of that agreement? That you think we are not satellites?

Kissinger: We have a more sophisticated understanding now. We think you are a friend of the Soviet Union but you act on your own principles.

Hammadi: Next year, if we sign an economic agreement with the Soviet Union, will you go back to the other view?

Kissinger: I wouldn't be here if we were not willing to have a new relationship with Iraq. If you have an economic relationship with the Soviet Union, that is your business. We don't interfere. It is our view that you are pursuing your own policies. We don't like what you are doing on your own. [Laughter]

We are moving towards more complex relations with the Arabs. Our policy now we don't think is inconsistent with the integrity and the dignity of Iraq.

Hammadi: We have different concepts. We have relations with the Soviet Union; we import arms from the Soviet Union. That led the United States to intervene and encourage a movement that would cut our country to pieces.

Kissinger: That goes too far. We were not the principal country involved there.

Hammadi: But the United States contributed arms in a way.

Kissinger: In a way.

Hammadi: And the Kurds wanted to cut Iraq to pieces.

Kissinger: There is no purpose discussing the past. I can only tell you what our intentions are. I understand what your concerns and suspicions are. We can wait. We need not draw any practical conclusions from this meeting.

Hammadi: Our concern is, has the United States really changed its position? What would insure that this would not be repeated in the future? Any time any country exercises its sovereign right, the United States gets involved in an activity that goes to heart of its integrity?

Kissinger: Take Syria. Syria gets all its arms from the Soviet Union. The Syrians will confirm we have never interfered in their affairs and never

interferred in their military relationship with the Soviet Union. We have made diplomatic attempts to influence their policy, which is normal. So with more mature relations with the Arabs, that is excluded.

Hammadi: What about Lebanon?

Kissinger: We have stayed out of Lebanon. We have done nothing in Lebanon. My view is that the Moslem weight will have to increase. We have had many talks with the Syrians and the Saudis but we have not engaged in any intelligence activities. That I can tell you. I mean, we collect information but not arms.

Hammadi: The United States is not in favor of dividing the country?

Kissinger: We are opposed.

Hammadi: The United States is not involved but would oppose.

Kissinger: We have not been asked, but if we were, we would oppose. I have made repeated public statements in favor of the integrity of Lebanon.

Hammadi: I am glad to hear it because we in Iraq are very sensitive to territorial integrity. Why are you opposed?

Kissinger: Because we believe the basis for peace in the Middle East is the integrity of the States in the area. Then you would have two more fragments. A Christian state would have to find outside support and a Moslem state would have to find outside support. It would add instability. You must know we are for the unity of Lebanon.

Hammadi: We were concerned about Israeli intervention.

Kissinger: We have strongly warned Israel about it. It would only gain them another few 100,000 Arabs and make a settlement impossible.

Hammadi: Is anyone internationally favoring a split?

Kissinger: No one I can see.

Hammadi: None of the big powers?

Kissinger: The Europeans like to play without risk. In the Middle East you can't play without risk. I tell you flatly, we won't support it.



We are prepared to cooperate to support the unity of Lebanon. We are only afraid that if we become active, the Soviet Union will become active. We have talked to Syria and Saudi Arabia and Egypt and Algeria.

Hammadi: I would like to sum it up -- our concern in our bilateral relations. We differentiate between political and other kinds of relations. A few years ago we lumped them all together. Economically, technically, Iraq is not closed to the United States. There is no objection to developing relations with the United States on the economic and cultural level. Only on the basis of noninterference in internal affairs. There are some U.S. companies in Iraq and they are assured they are treated fairly.

On the political level, we broke relations for a reason and we think the reason stands.

Kissinger: Leaving aside diplomatic relations -- and you will want to think about it -- if we want to exchange views, we could send somewhat more senior people to the Interest Sections in each other's capital.

Hammadi: But the higher the level of representatives, the closer we are getting to diplomatic relations.

Kissinger: But how do we do it? Through the UN mission? Or your people in Washington?

Hammadi: We can do it on a case-by-case basis.

Kissinger: All right. When you come to New York, we can meet. We can do it on a case-by-case basis.

You will see: Our attitude is not unsympathetic to Iraq. Don't believe; watch it.

Hammadi: We are a small state. We have to be more careful.

Kissinger: Things will evolve. We can stay in touch through Washington or New York.

Hammadi: Finally, I would like to say this Kurdish problem is of vital importance to us.

Kissinger: I can assure you. There will be no concern. One can do nothing about the past.

Hammadi: Not always.

[The Foreign Minister escorted Secretary Kissinger and his party to the door.]

ب ـ الترجمة العربية
(ترجمة جريدة الشرق الأوسط)

الشرق الأوسط Asharq Al-Awsat
جريدة العرب الدولية
2 يناير (كانون الثاني) 2004

إطبــــــع هــــــذه الصفحـــــة

«الشرق الأوسط» تنشر وثائق عن أول لقاء بين كيسنجر وسعدون حمادي في ١٩٧٥

كيسنجر لحمادي: إسرائيل تفضل التعامل مع العراق الراديكالي على التعامل مع مصر السادات * لم نمانع بتدخل إيران في شمال العراق لأننا اعتبرناكم تابعين لموسكو.. والآن غيرنا موقفنا لأننا وجدناكم غير ذلك

واشنطن: «الشرق الأوسط»

اظهرت وثيقة رسمية اميركية ترجع الى عام ١٩٧٥ ورفعت عنها السرية مؤخرا ان الولايات المتحدة عرضت على قيادة حزب البعث الحاكم في العراق سابقا الافكار نفسها التي عرضتها على الرئيس المصري انور السادات بخصوص الاعتراف باسرائيل وتطبيع العلاقات معها والقيام بجهد في هذا الاتجاه بين القوى الراديكالية العربية. والوثيقة هي نص حوار جرى في ١٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥ بين وزير الخارجية الاميركية آنذاك هنري كيسنجر ووزير الخارجية العراقية سعدون حمادي (عضو القيادة القطرية لحزب البعث). وهو حوار جرى في منزل السفير العراقي في باريس صالح مهدي عماش الذي كان في السابق وزيرا للدفاع ونائبا لرئيس الجمهورية وعضوا في القيادة القطرية ايضا. وكان ذلك اول لقاء بين الولايات المتحدة والعراق على هذا المستوى منذ انقلاب ١٧ يوليو (تموز) ١٩٦٨ الذي جاء بحزب البعث الى السلطة في العراق. في ذلك اللقاء قال كيسنجر لحمادي: «لا أظن أن هناك أي اصطدام أساسي في المصالح القومية بين العراق والولايات المتحدة». وحين رد حمادي ان الخلاف يبقى بشأن اسرائيل قال كيسنجر انه لا مساومة على وجود إسرائيل، «أما إذا كانت القضية بين العرب وإسرائيل تتعلق بمسألة حدود فإننا يمكن أن نتعاون في ذلك». وفي اللقاء اتفق الوزيران على أنه لا عوائق أمام العلاقات «الاقتصادية والثقافية». وشدد كيسنجر القول لحمادي «الاسرائيليون يفضلونكم اكثر من السادات لانهم يريدون وضع الامر في سياق المشكلة الاميركية ـ السوفياتية.. الإسرائيليون يفضلون العرب الراديكاليون». المشاركون في اللقاء الجانب العراقي: سعدون حمادي وزير الخارجية وصالح مهدي عماش سفير العراق في باريس واحد المساعدين. الجانب الاميركي: هنري كيسنجر وزير الخارجية وعيسى صباغ المسؤول في السفارة الاميركية لدى السعودية وبيتر رودمان من مجلس الامن القومي. التاريخ: الاربعاء ١٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥ الساعة: ١٢:٢٠ ــ ١:١٨ المكان: مقر اقامة السفير العراقي في باريس هنري كيسنجر: لم يكن بين بلدينا الكثير من الاتصالات في السنوات الاخيرة واردت ان انتهز هذه الفرصة لتأسيس اتصالات. اعرف اننا لن نحل كل المشاكل في مقابلة واحدة فذلك سيستغرق على الاقل مقابلتين

«ضحك من الجميع». اعتقد ان تبادلا مختصرا لوجهات النظر قد يساعد وانا اقدر استقبال بلدك لي. حمادي: انا سعيد لرؤيتك يا صاحب الفخامة. لم تكن هناك اتصالات لاسباب تعرفها انت ونعرفها نحن. ولكنه من المفيد دائما تبادل وجهات النظر. كيسنجر: ان منهجنا الاساسي هو اننا لا نظن أن هناك أي تصادم أساسي بين المصالح القومية لكل من العراق والولايات المتحدة الأميركية، فلاسباب عديدة كان العراق والولايات المتحدة على جانبين متعارضين. ولكننا استطعنا تطبيع العلاقات مع معظم العرب الآخرين. وبناء على اسباب أمنية محض قومية لا نرى عوائق كبيرة من جانبنا. وقد تكون لك وجهة نظر مختلفة. حمادي: طبعا لنا وجهة نظر مختلفة وسوف اقول لك لماذا. ان العراق جزء من العالم العربي. ونحن نعتقد ان الولايات المتحدة كانت العامل الاساسي في بناء اسرائيل الى ما هي عليه اليوم. كيسنجر: فعلا. حمادي: لقد تكونت اسرائيل في ١٩٤٨ ولم يكن لها ان تعيش لليوم من دون الولايات المتحدة. كيسنجر: لقد كان الاتحاد السوفياتي نشيطا في ذلك الوقت أيضا. حمادي: حقا. وهذا هو السبب لوجود بعض العلاقات المضطربة مع الاتحاد السوفياتي. ان علاقاتنا الجيدة مع الاتحاد السوفياتي الآن حديثة العهد. ولم يكن الشيوعيون ذوي شعبية مع الجماهير في ذلك الوقت. ولكن الفرق هو انكم تعتقدون ان اسرائيل سوف تبقى للابد. نحن نعتقد ان اسرائيل تم تأسيسها بالقوة وهي حالة ساطعة وجلية من الاستعمار. لقد تم تأسيس اسرائيل على جزء من ارضنا الام. وانتم لا تعتقدون في ذلك. ولكن ليست تلك كل القصة. ان اسرائيل الان هي تهديد مباشر لامن العراق القومي. كيسنجر: وكيف تشكل تهديدا للعراق؟ حمادي: بنت اسرائيل قوة عسكرية يمكن ان تهدد العراق وخصوصا ان الانباء الحديثة التي نقرأها تفيد بان اميركا تمد اسرائيل باسلحة متطورة للغاية. واذا ليس فقط العالم العربي هو مصب التهديد «الاسرائيلي» بل العراق نفسه أيضا باعتباره جزءا من العالم العربي. نحن نعتقد ان اميركا تبني اسرائيل لتكون لها اليد العليا في المنطقة. حتى لبنان — يقولون انه يؤثر على أمن اسرائيل — اسرائيل القوية القادرة النووية التي لها اليد العليا في المنطقة. ان اي شيء يحدث في العالم العربي يترجم على انه تهديد لاسرائيل. حتى اي تغيير للحكومة في العراق يترجم على هذا المنوال. كيسنجر: ان انطباعي هو انكم لو غيرتم حكومتكم في العراق فانهم «اي الاسرائيليين» لن يمانعوا «ضحكات». وانا اتفهم مشكلتك. حمادي: هذا هو تصوري للامور — حتى عام ١٩٨٠. انت تقول ان الولايات المتحدة تلقي بكل ثقلها من اجل الوصول الى تسوية. ولكن تلك مجرد تسوية لا سلام. فموجة جديدة من المشاكل والاصطدامات سوف تبدأ لأن اسرائيل دولة لا تريد ان تبقى ضمن حدود ما هي الآن. لأنه لو هناك فرصة فانهم سيتوسعون. وسجلهم يوضح ذلك. وهم في المنطقة تدعمهم اكبر قوة. ان ما تفعله الولايات المتحدة ليس خلق سلام ولكنها تخلق موقفاً تتم فيه هيمنة اسرائيل وهو ما سيؤدي الى موجة اخرى من الصدامات. كيسنجر: انني اتفهم ما تقوله. فعندما اقول اننا نرغب في تحسين العلاقات مع العراق فاننا ايضا يمكننا ان نعيش من دون ذلك. ولكن سياستنا ان نتحرك باتجاه علاقات افضل. اعتقد انه عندما تنظر الى التاريخ عندما تم تأسيس اسرائيل في ١٩٤٨ لم يتفهم ذلك اي شخص. لقد بدأ الامر في السياسة الاميركية الداخلية. لقد كانت اسرائيل بعيدة ولم يفهما جيدا. لذلك فإن الأمر لم يكن تخطيطا أميركيا ان يكون هناك صرح للامبريالية في المنطقة. كان الأمر اقل تعقيدا من هذا بكثير انني اقول انه حتى عام ١٩٧٣ كان للجالية اليهودية تأثير ضخم في اميركا ولكن في السنتين الأخيرتين، ونتيجة للسياسة التي نتبعها، تغير ذلك. اننا لسنا بحاجة الى اسرائيل من اجل النفوذ في العالم العربي. بل على العكس من ذلك لقد سببت لنا اسرائيل الضرر اكثر من الخير في العالم العربي. ولقد قلت انت نفسك ان اعتراضكم علينا هو اسرائيل غير اننا اناس رأسماليون. ولا يمكننا المناقشة حول وجود اسرائيل ولكن يمكننا انقاص حجمها الى نسب تاريخية. وانا لا اوافقك في ان اسرائيل تهديد دائم. فكيف لأمة من ثلاثة ملايين نسمة ان تكون تهديداً دائماً؟ ان لهم تفوقا فنيا الآن. ولكن من غير المعقول ان شعوبا لها غنى

ومهارات وأصول العرب لا يمكن لها ان تطور القدرات التي تحتاجها. لذلك انا اعتقد انه في عشرة الى خمسة عشر عاماً ستكون اسرائيل مثل لبنان ـــ تناضل من اجل وجودها بلا تأثير في العالم العربي. لقد ذكرت الاسلحة الجديدة ولكنها لن يتم تسليمها في المستقبل القريب فكل ما اتفقنا عليه مع الاسرائيليين هو دراسة الامر كما اتفقنا على عدم تقديم اسلحة من المخزون الحالي. ولذلك فإن الكثير من تلك الأشياء الأسلحة لن يتم انتاجها حتى عام ١٩٨٠ ولم نتفق على تسليمها في ذلك الوقت. إن سياستنا هي التحرك باتجاة السلام وتحسين العلاقات مع العالم العربي. والعراق ليس من المفاوضين ولكني اعتقد ان سياسة مصر وسورية في تحسين العلاقات معنا تساعد على خلق ضغط من اجل احداث تسوية. والإسرائيليون يفضلونكم اكثر من السادات لأنهم يريدون وضع الأمر في سياق المشكلة الأميركية ـــ السوفياتية نحن لا نريد ان تكون لديكم علاقات غير طيبة مع الاتحاد السوفياتي ونحن لا نتدخل في علاقاتكم مع الاتحاد السوفياتي ولكن في الأصل يفضل الإسرائيليون العرب الراديكاليون. واذا كانت المشكلة هي وجود اسرائيل فلن يمكننا ان نتعاون ولكن إذا كانت القضية هي حدود اكثر اعتيادية يمكننا التعاون. لقد تحركنا باتجاة التطبيع مع الآخرين باستثناء ليبيا وسوف نتحرك باتجاة اليمن الجنوبي. حمادي: إننا على جانب آخر من الصورة ولنا الحق في طرح أسئلة عديدة. كيسنجر: تفضل. حمادي: بالنظر إلى السجل ما الذي سيجعلنا نصدق أن الولايات المتحدة لن تستمر في سياسة العشرين سنة الأخيرة في إعطاء الدعم غير المحدود لإسرائيل. كيسنجر: إن الأمر يتوقف على ما تعنيه بكلمة الدعم غير المحدود... كان صباغ معي حينما قابلت الملك فيصل للمرة الأولى. وقلت له ان الأمر سيستغرق عدة سنوات ويجب ان نتحرك ببطء. وقلت لكل العرب ذلك. لقد وصل الأمر في أميركا لنقطة تغيرت فيها المفاهيم. فعندما اتحدث للجان الكونغرس تواجهني أسئلة عدائية بشكل متزايد في ما يتعلق بإسرائيل. لا احد يفضل تدمير اسرائيل ـــ لن اضللك ـــ ولا انا افضل ذلك. لقد كان مقدار الدعم الاميركي لاسرائيل في الستينات حوالي ٢٠٠ إلى ٣٠٠ مليون دولار أما الآن فهو من ٢ إلى ٣ مليارات دولار. إن هذا من المستحيل الحفاظ عليه. إننا حتى لا نستطيع ان نقدم هذا المبلغ لنيويورك إن الأمر كله مسألة وقت قبل ان يحدث تغيير ـــ سنتين أو ثلاثاً. وبعد التسوية ستكون اسرائيل دولة ودودة صغيرة ليس لها حقوق السحب بلا حدود. وسوف تتأثر بقوانيننا الإنتخابية لذلك فإن تأثير بعض ممن مولوا انتخاباتنا من قبل لن يكون كبيرا بهذه الدرجة. وهو الامر الذي لم يلحظه الكثيرون بشكل كبير وسوف يستغرق الامر بضع سنوات قبل ان يتم استيعابه بشكل كامل. لذلك انا اعتقد ان الموازين في اميركا تتغير، إذا لم يقم العرب ـــ ودعني اقول بصراحة ـــ بفعل اي شيء غبي. فإذا كانت هناك أزمة مرتبطة بالإتحاد السوفياتي فإن الجماعات في اميركا يمكن ان تصور الامر حملة عسكرية ضد الشيوعية في المنطقة. حمادي: إذاً أنت تعتقد ان السياسة الأميركية بعد التسوية لن تبقى على حالها الآن؟ كيسنجر: إننا نريد بقاء دولة اسرائيل لا الهيمنة عليها. لا أحد يمكنه غزو العالم العربي. حتى لو اخذوا دمشق، والقاهرة وعمان فإنكم ستبقون هناك وستبقى ليبيا هناك. لذلك إذا كانت إسرائيل ترغب في البقاء على الحياة كدولة مثل لبنان ـــ دولة صغيرة ـــ فإننا سندعمهم. حمادي: وما هو تفكير الإسرائيليين؟ كيسنجر: أولا هم يريدون التخلص مني لأنني جعلتهم يتراجعون. وثانيا في ١٩٧٦ هم يريدون استثارة العرب ـــ في لبنان وفي سورية ـــ لأنهم يعتقدون انه إذا كانت هناك حرب يمكن ان ينتصروا ويخلقوا فوضى كبيرة. ثالثا هم يريدون تمرير قوانين في اميركا لإستعداء أكبر عدد ممكن من العرب. لذلك هناك قوانين ضد المقاطعة وضد التمييز وضد بيع الأسلحة لذلك هم يريدون ويأملون في ان يرجع العرب الى وضع مثل فترة ما بين ١٩٦٧ الى ١٩٧٣، حينما اتخذ السوريون والمصريون منهجا ضد اميركا، لكي يتمكنوا من القول انهم اي في اسرائيل هم صديق اميركا الوحيد في الشرق الأوسط. ان ما يريدونه هو ما يتوقعونه ـــ ان يكونوا هم الصديق الوحيد. ونحن نريد اصدقاء آخرين للتقليل من هذه الحجة. أحد المساعدين

العراقيين: هل تعتقدون أن تسوية ما يمكن ان تأتي عن طريق الفلسطينيين في المنطقة؟ كيف تقرا ذلك الأمر؟ وهل في قدرتكم خلق مثل هذا الشيء؟ كيسنجر: ليس في ١٩٧٦ يجب ان اكون صريحا معك بالكامل. اعتقد ان الهوية الفلسطينية يجب ان يعترف بها بصورة او باخرى. ولكننا نريد التعاون المبكر من العرب. ان الامر سيستغرق سنة أو سنة ونصف للقيام بذلك وستكون معركة ضخمة. فهناك تطور يحدث بالفعل. أحد المساعدين: هل تعتقد ان ذلك سيكون جزءا من الحل؟ كيسنجر: يجب ان يكون الامر كذلك لا يمكن الحل بدونها ولكن الموقف المحلي متاح الآن. والمزيد من الأسئلة التي يتم توجيهها في الكونغرس تميل للفلسطينيين. حمادي: هل تعتقد ان دولة فلسطينية ممكنة؟ كيسنجر: اننا لا نستبعدها كمسألة مبدأ ولكن لا يمكنك فعل ذلك الآن حمادي: ولكن ماذا عن الفلسطينيين اللاجئين الآن؟ كيسنجر: لا بد ان يكون لهم الاختيار إما البقاء حيث هم او يرجعوا الى دولة فلسطينية. حمادي: هل تعتقد ان مثلا من في منطقة الجليل يمكن ان يتركوا اسرائيل وينضموا للدولة الفلسطينية؟ كيسنجر: في الجليل؟ حمادي: اعني عرب اسرائيل. كيسنجر: لقد اخبرت الاصدقاء ان السلام ليس هو النهاية. فالحرب تبدأ في اماكن اخرى بين تلك الدول التي بينها سلام. فقط في الشرق الاوسط تبدأ الحروب بين دول في حالة حرب. نحن ندعم وجود اسرائيل ونضع خطا امام مسألة تدمير اسرائيل. احد المساعدين: لقد طرح الفلسطينيون هذه الفكرة جانبا. تلك هي وجهة نظري الشخصية. لأن الاسرائيليين يحاولون شراء اراض في الضفة الغربية وهناك مقاومة لذلك. الحزب الشيوعي في المنطقة يستخدمها في الانتخابات المحلية. هل ذلك بسبب ان الاسرائيليين يتوقعون دولة فلسطينية ولذلك يرغبون في شراء اراض؟ كيسنجر: يمكن ان يكون ذلك في اذهانهم. لست على معرفة بالامر. احد المساعدين: ان هذا يتم استغلاله من قبل الحزب الشيوعي في المنطقة. فالاسرائيليون يعرفون انكم معشر الاميركيين تقفون خلف فكرة دولة فلسطينية. كيسنجر: يجب ان نكون حريصين ونتحرك في تدرج. فالصحافة الاسرائيلية تتهمني. وقد قلت انه لا يمكننا ان نحرك الفلسطينيين حتى يتقبلوا وجود دولة اسرائيل وقرار مجلس الامن ٢٤٢. لم استبعد ابدا الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، دائما ما ربطت ذلك بالاعتراف بدولة اسرائيل والقرار ٢٤٢. والمغزى هنا اننا سنفعل شيئا اذا اعترفوا بإسرائيل والقرار ٢٤٢ . احد المساعدين: لقد قال قدومي: «كيف يمكن ان نعترف باسرائيل اذا لم يعترفوا بمنظمة التحرير الفلسطينية؟» كيسنجر: مع كل احترامي ان ما تفعله اسرائيل اقل اهمية مما تفعله الولايات المتحدة. حمادي: يا فخامتك، ان وجهات نظرك ووجهات نظرنا مختلفة. انت تدعم وجود اسرائيل، ونحن لا نفعل ذلك. لذلك في هذه النقطة لا اعتقد انه يمكننا ان نتفق. ربما يمكننا التحدث في موضوعات اخرى. فنحن لسنا ضد تحسين العلاقات مع اي دولة حتى الدول التي لنا معها اختلافات اساسية. نحن نقرأ في الجرائد ان الولايات المتحدة كانت تقدم الاسلحة للحركة الكردية في شمال العراق. واسلوبنا لا يعتمد على ذلك، فلدينا اسباب للاعتقاد ان الولايات المتحدة لم تكن خارج الامر. فما رأيك؟ كيسنجر: حينما اعتقدنا انكم مجرد دولة تابعة للاتحاد السوفياتي، لم نمانع ما كانت ايران تقوم به في المناطق الكردية. اما الان وقد حللتم الامر «عن طريق اتفاق التقسيم في مارس من العام نفسه» فليس لدينا سبب لفعل مثل ذلك الامر. يمكنني ان اخبركم اننا لن نشترك في مثل تلك الانشطة ضد وحدة الاراضي العراقية، ونحن لا نفعل ذلك. حمادي: وذلك نتيجة تلك الاتفاقية؟ انك تعتقد الآن اننا لسنا دولة تابعة؟ كيسنجر: لنا فهم اعمق الآن. نعتقد انكم صديق للاتحاد السوفياتي ولكنكم تتصرفون وفق مبادئكم. حمادي: العام القادم اذا وقعنا اتفاقية اقتصادية مع الاتحادى السوفياتي فهل سترجعون الى تلك النظريةالقديمة؟ كيسنجر: لم اكن لاكون هنا اذا لم نكن نريد علاقات جديدة مع العراق. اذا كانت لكم علاقات اقتصادية مع الاتحاد السوفياتي فذلك شأنكم. نحن لا نتدخل فوجهة نظرنا هي انكم تتبعون سياستكم انتم. فنحن لا نحب ما تفعلونه بمفردكم. «ضحك». اننا نتحرك باتجاه علاقات اكثر تعقيدا مع العرب. اننا لا نعتقد ان

سياستنا الان تستقيم مع وحدة وعزة العراق. حمادي: لدينا مفاهيم اخرى. إن لنا علاقات مع الاتحاد السوفياتي ونحن نستورد من الاتحاد السوفياتي وأدى ذلك بالولايات المتحدة الى التدخل وتشجيع حركة ستقطع بلدنا إربا. كيسنجر: هذا مبالغ فيه. لم نكن نحن الدولة الرئيسية المتورطة في ذلك. حمادي: لكن الولايات المتحدة ساهمت بطريقة ما. واراد الاكراد تقطيع العراق قطعا. كيسنجر: ليس هناك فائدة من مناقشة الماضي. يمكنني فقط ان اقول لك ما هي نوايانا انني اتفهم همومك وشكوكك. يمكنني الانتظار. لسنا بحاجة الى الوصول الى اي نتائج عملية من هذا الاجتماع. حمادي: ان ما يقلقنا هو، هل غيرت الولايات المتحدة حقا من موقفها؟ ومن يضمن ان ذلك لن يتكرر في المستقبل؟ في اي وقت تمارس فيه اي دولة حقها في السيادة تتدخل الولايات المتحدة في نشاط يمس جوهر وحدتها؟ كيسنجر: فلنأخذ سورية مثلا، سورية تحصل على كل اسلحتها من الاتحاد السوفياتي. الا ان السوريين يشهدون اننا لم نتدخل ابدا في شؤونهم الداخلية ولم نتدخل ابدا في علاقتهم العسكرية مع الاتحاد السوفياتي. لقد قمنا بمحاولات دبلوماسية للتأثير على سياستهم وهو امر طبيعي ولذلك مع وجود علاقات اكثر نضجا مع العرب سيكون ذلك مستبعدا. حمادي: وماذا عن لبنان؟ كيسنجر: لقد بقينا خارج لبنان لم نفعل اي شيء في لبنان ان وجهة نظري هي ان الثقل الإسلامي يجب ان يزيد هناك. كانت لنا محادثات عديدة مع السوريين والسعوديين لكننا لم نقم بأي انشطة استخباراتية. يمكنني ان اخبرك بذلك. اعني اننا نجمع المعلومات وليست الأسلحة. حمادي: إذاً ليست الولايات المتحدة تفضل تقسيم البلد؟ كيسنجر: نحن ضد ذلك. حمادي: الولايات المتحدة ليست مشتركة هناك ولكنها سوف تعارض. كيسنجر: لم يسألنا احد ولكن إذا سألنا احد فإننا سنعارض لقد ألقيت الكثير من البيانات العلنية التي ادعم فيها وحدة لبنان. حمادي: انا سعيد جدا لسماعي ذلك فنحن في العراق حساسون لوحدة الأراضي. ولكن لماذا انتم معارضون؟ كيسنجر: لأننا نؤمن ان اساس السلام في الشرق الاوسط هو سلامة الدول في المنطقة وبهذا سيكون هناك تقسيمان آخران. دولة مسيحية عليها ان تجد دعم الخارجي ودولة مسلمة عليها ان تجد دعما خارجيا. سوف يضيف ذلك من عدم الاستقرار. يجب ان تعرف اننا ندعم وحدة لبنان. حمادي: لقد كنا قلقين من تدخل اسرائيلي. كيسنجر: لقد حذرنا اسرائيل بقوة ضد ذلك فإن ذلك سوف يكسبهم «تعاطف» قلة من العرب تبلغ ١٠٠٠٠٠ وتجعل التسوية مستحيلة. حمادي: هل هناك من يدعم الانقسام على المستوى الدولي؟ كيسنجر: لا احد يمكنني رؤيته. حمادي: لا احد من القوى العظمى؟ كيسنجر: ان الأوروبيين يحبون اللعب من دون مخاطرات. لكن في الشرق الأوسط لا يمكنك ان تلعب من دون مخاطر وأنا اقول لك بصراحة اننا لا ندعم ذلك اننا مستعدون للتعاون من اجل وحدة لبنان. اننا نخشى فقط انه إذا زاد نشاطنا فسوف يزيد نشاط الاتحاد السوفياتي هناك أيضا. لقد تحدثنا في ذلك مع سورية والسعودية ومصر والجزائر. حمادي: اريد ان اختصر ذلك ان ما يعنينا هو علاقاتنا الثنائية ونحن نفرق بين العلاقات السياسية والأنواع الأخرى من العلاقات. منذ سنوات قليلة مضت كنا نجمعهم مع بعضهم البعض. من الناحية الاقتصادية والفنية. العراق ليس مغلقاً بوجه الولايات المتحدة وليس هناك اعتراض على تطوير العلاقات مع الولايات المتحدة على المستويين الاقتصادي والثقافي ولكن فقط على اساس عدم التدخل في الشؤون الداخلية. هناك بعض الشركات الاميركية في العراق ونحن نضمن معاملتهم بشكل حيادي. ولكن على المستوى السياسي فاننا قطعنا العلاقات لسبب معين ونحن نعتقد ان السبب مازال قائما. كيسنجر: بغض النظر عن العلاقات الدبلوماسية ـــ وانا اعتقد انك ستفكر في ذلك ـــ إذا اردنا تبادل وجهات النظر يمكننا ارسال بعض الناس ذوي المناصب المرتفعة الى اقسام رعاية المصالح في كلٍ من عاصمتينا. حمادي: ولكن كلما ارتفع مستوى التمثيل اقتربنا من العلاقات الدبلوماسية. كيسنجر: ولكن كيف نفعل ذلك؟ عن طريق مكاتب الامم المتحدة؟ أم عن طريق رجالكم في واشنطن؟ حمادي: يمكننا ان نفعل ذلك على اساس كل حالة بمفردها. كيسنجر: حسناً إذاً عندما تأتي الى

نيويورك يمكننا ان نتقابل ونقوم بذلك على اساس كل حالة بمفردها. وسوف ترى ان سياستنا ليست ضد العراق. لا عليك ان تصدق ولكن شاهد بنفسك. حمادي: نحن دولة صغيرة يجب ان نكون اكثر حرصا. كيسنجر: سوف تتطور الامور ويمكن ان نبقى على اتصال عن طريق واشنطن او نيويورك. حمادي: أخيرا ارغب ان اقول ان المسألة الكردية ذات أهمية حيوية بالنسبة لنا. كيسنجر: يمكنني ان اؤكد لك انه لن تكون هناك اية مصادر للقلق ولكن لا احد يستطيع ان يفعل شيئا يتعلق بالماضي. حمادي : ليس دائما. (ثم يرافق وزير الخارجية «العراقي» السيد كيسنجر ورفاقه إلى الباب)

الوثيقة رقم (٢)
موقف الرئيس العراقي من عرض اللوبي اليهودي في أمريكا





سري للغاية وشخصي

السكرتير

العدد/ ٢١٢٢/ك

التاريخ/ ٤ ذو الحجة ١٤١٤هـ

١٥/٥/١٩٩٤م

الرفيق عدي صدام حسين المحترم

رئيس اللجنة الاولمبية الوطنية العراقية

م/ تقرير

اطلع السيد الرئيس القائد حفظه الله على رسالتكم المؤرخة في ٧/٥/١٩٩٤ ومرفقها تقرير لقاء السيد سعد عبد المجيد الفيصل - وكيل وزارة الخارجية بالسيد رؤوف بطرس غالي وعلق سيادته بما يأتي

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اصبحت الاشارة التي وردتنا عن طريق الجاف عن امكانية شقيق بطرس غالي (الأمين العام للأمم المتحدة) لتغيير مواقف شقيقه هي بالنتيجة محاولة بصورة او بأخرى وضياع في وهم التصور ان هنالك امكانية لتغيير موقفنا من الصهيونية تحت التلويح بأمكانية ان يأتي الفرج عن طريقهم ألا خسئوا وخابوا وخاب العرب الذين طمعوهم في امكانية ان يحصل هذا في سياسة بعض الأنظمة الخائبة، ولذلك يبقى هذا الباب مغلقاً الا اذا حاول شقيق بطرس اعادة فتحه فلا مانع من اللقاء به، ولكن بشرط عدم طرح موضوعه اللوبي الصهيوني مطلقاً ابداً.

للتفضل بالعلم .. مع التقدير

ع

سكرتير رئيس الجمهورية

١٥/٥/١٩٩٤

قائمة ببليوغرافية
بمؤلفات الدكتور خير الدين حسيب

أولاً: الكتب والمقالات المنشورة بالعربية

الكتب

تقدير الدخل القومي في العراق ١٩٥٣-١٩٦١. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٤. ٤٤٨ ص.

نتائج تطبيق القرارات الاشتراكية في السنة الأولى. بغداد: مطبعة دار الجمهورية، ١٩٦٥. ٦٢ ص.

قضايا التحويل الاشتراكي: مساهمة العمال في الإدارة في الوطن العربي: دراسة مقارنة. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١. ٢٠٨ ص.

مصادر الفكر العربي في الاقتصاد في العراق. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١. ١٢٠ ص.

مصادر الفكر الاقتصادي العربي في العراق، ١٩٠٠-١٩٧١. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٢. ٤٨٠ ص.

مستقبل الأمة العربية: التحديات. . . والخيارات: التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي. إشراف خير الدين حسيب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨. ٥٧٤ ص. (مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي: التقرير النهائي)

كتب مترجمة

الإصلاح الزراعي بين المبدأ والتطبيق. تأليف دورين ورينر؛ ترجمة خير الدين حسيب وحسن أحمد السلمان. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥. ٤٧٧ ص.

المقالات

«خدمات الدفاع والأمن والدخل القومي في العراق.» **الاقتصادي**: السنة ٤، العدد ٢، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٣. ص ٦١-٦٧.

«نحو سياسة نفطية وطنية في العراق.» **دراسات عربية**: السنة ٤، العدد ٧، أيار/ مايو ١٩٦٨. ص ٣-١٦ و١٢٠-١٢٥.

«لقاء الشهر مع الدكتور خير الدين حسيب: مركز دراسات الوحدة العربية، الدور.. والمستقبل.» **العربي**: العدد ٢٩٣، نيسان/ أبريل ١٩٨٣. ص ٥٧-٦١.

«كلمة **المستقبل العربي**: بعد عشرة أعوام على تأسيس مركز دراسات الوحدة العربية.» **المستقبل العربي**: السنة ٧، العدد ٧٣، آذار/ مارس ١٩٨٥. ص ٤-٧.

«كلمة **المستقبل العربي** بعد عشر سنوات.» **المستقبل العربي**: السنة ١١، العدد ١١١، أيار/ مايو ١٩٨٨. ص ٤-٥.

«الديمقراطية قادمة: استفيقوا... أيها العرب.» **المستقبل العربي**: السنة ١٢، العدد ١٢٨، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٩. ص ٤-٥.

«كارثة الخليج مجموعة من الأخطاء والخطايا: مقابلة.» **المنتدى**: السنة ٦، العدد ٧١، آب/ أغسطس ١٩٩١. ص ١٠-١١.

«المؤتمر القومي العربي الثالث: كلمة الافتتاح.» **المستقبل العربي**: السنة ١٥، العدد ١٥٩، أيار/ مايو ١٩٩٢. ص ٤٧-٥١.

«لبنان بعد اتفاق الطائف: الإيجابيات والسلبيات (حلقة دراسية): كلمة الافتتاح.» **المستقبل العربي**: السنة ١٥، العدد ١٦٥، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٢. ص ٦٦-٦٧.

«مشروع خطة عمل للحركة القومية العربية على المستوى الشعبي خلال التسعينيات.» **المستقبل العربي**: السنة ١٦، العدد ١٧٢، حزيران/ يونيو ١٩٩٣. ص ١٢٦-١٣٦.

«المؤتمر القومي العربي الرابع: كلمة الافتتاح.» **المستقبل العربي**: السنة ١٦، العدد ١٧٢، حزيران/ يونيو ١٩٩٣. ص ٥٦-٦١.

«ندوة: «الوطن العربي والتحديات «الشرق أوسطية» الجديدة»: كلمة الافتتاح.» **المستقبل العربي**: السنة ١٦، العدد ١٧٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٩٤. ص ٤٩-٥٣.

«الأنظمة العربية والخطوط الحمر.» كلمة ألقيت في حفل العشاء السنوي لتجمع اللجان والروابط الشعبية، ١٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٩.» **المنابر**: السنة ١٣، العدد ٩٩، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٩. ص ١٨-٢٤.

«ثلاثون عاماً على وفاة جمال عبد الناصر (ملف): كلمة الدكتور خير الدين حسيب مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٣، العدد ٢٦٢، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٠. ص ٨١-٨٢.

«افتتاحية العدد: العيد الفضي لمركز دراسات الوحدة العربية: وقفة تقويمية.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٥، العدد ٢٨٧، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٣. ص ٤-١١.

«الحرب الأمريكية على العراق. . . إلى أين؟» **المستقبل العربي**: السنة ٢٥، العدد ٢٩٠، نيسان/ أبريل ٢٠٠٣. ص ٦-٢٣.

«افتتاحية العدد: التياران القومي العربي والإسلامي: جناحان لا يحلقان إلا معاً.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٦، العدد ٢٩٥، أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣. ص ٦-١٤.

«افتتاحية العدد: تحية إلى محمد حسنين هيكل بمناسبة عيد ميلاده الثمانين.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٦، العدد ٢٩٦، تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٣. ص ٦-٨.

«افتتاحية العدد: مصير الأمة العربية في ميزان العراق ٢٠٠٤.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٦، العدد ٢٩٩، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٤. ص ٦-١٠.

«حوار حول الملف العراقي.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٧، العدد ٣٠٣، أيار/ مايو ٢٠٠٤. ص ٦-٣٠.

«حوار حول مستقبل العراق.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٧، العدد ٣٠٤، حزيران/ يونيو ٢٠٠٤. ص ٦-٢١.

«في تأبين يوسف صايغ: عقل اقتصادي عربي رائد.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٧، العدد ٣٠٥، تموز/ يوليو ٢٠٠٤. ص ٦-١٤.

«حوار حول الوضع العراقي الراهن وبعض قضايا المستقبل.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٧، العدد ٣٠٦، آب/ أغسطس ٢٠٠٤. ص ٦-٣٩.

«المشاهد المستقبلية المحتملة في العراق.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٧، العدد ٣٠٧، أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤. ص ٦-٣٠.

ثانياً: المنشورات بالأجنبية

Books

Arab Monetary Integration: Issues and Prerequisites. Edited by Khair el-DinHaseeb and Samir Makdisi. Beirut: Centre for Arab Unity Studies; London: Croom Helm, [n. d.]. 475 p.

«*An Estimate of the National Income of Iraq*.» (Doctoral Dissertation, University of Cambridge, 1959-1960).

The National Income of Iraq, 1953-1961. London; New York: Oxford University Press, 1964. 184 p.

The Arabs and Africa. Edited by Khair el-Din Haseeb. Beirut: Centre for Arab Unity Studies; London: Croom Helm, 1985. 717 p.

The Future of the Arab Nation: Challenges and Options. Khair el-Din Haseeb [et al.]. Beirut: Centre for Arab Unity Studies; London: Routledge, 1991. xiv, 520 p.

Arab-Iranian Relations. Edited by Khair el-Din Haseeb. Beirut: Centre for Arab Unity Studies, 1998. xiv, 564 p.

Articles

«The National Income of Iraq, 1962 and 1963.» *Egypte contemporaine*: vol. 55, no. 37, juillet 1964. pp. 19-66.

المؤهلات العلمية للدكتور خير الدين حسيب

١ ـ بكالوريوس في الاقتصاد والتجارة ـ جامعة بغداد، ١٩٥٤ .

٢ ـ ماجستير في الاقتصاد ـ مدرسة لندن للاقتصاد (London School of Economics)، ١٩٥٧ .

٣ ـ دكتوراه في الاقتصاد (الدخل القومي) ـ جامعة كمبردج، ١٩٦٠ .

الخبرات والمسؤوليات

(١)	١٩٨١ ـ حتى الآن	مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية
(٢)	١٩٧٦ ـ ٢ آب/ أغسطس ١٩٨٤	رئيس قسم الموارد الطبيعية والعلوم التقانة ـ اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا التابعة للأمم المتحدة
(٣)	١٩٧٤ ـ ١٩٧٥	رئيس وحدة البرامج والتنسيق ـ اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا التابعة للأمم المتحدة.
(٤)	١٩٦٥ ـ ١٩٧٤	أستاذ الاقتصاد ـ جامعة بغداد
(٥)	١٩٦٣ ـ ١٩٦٥	محافظ ورئيس مجلس أمناء البنك المركزي في العراق
(٦)	١٩٦٤ ـ ١٩٦٥	رئيس المؤسسة الاقتصادية بالوكالة ـ العراق
(٧)	١٩٦٤ ـ ١٩٦٥	رئيس المؤسسة العامة للمصارف ـ العراق
(٨)	١٩٦٠ ـ ١٩٦٣	مدير عام اتحاد الصناعات العراقية
(٩)	١٩٥٩ ـ ١٩٦٠	رئيس قسم البحوث والإحصاء ـ شركة نفط العراق ـ بغداد

فهـــرس

ـ أ ـ

- ب -

- ت -

- ث -

- ج -

- خ -

- د -

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ض ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

ـ ي ـ